TAMER EMAM

يوسف 2049

تامر إمام

الحلم للنشر والتوزيع

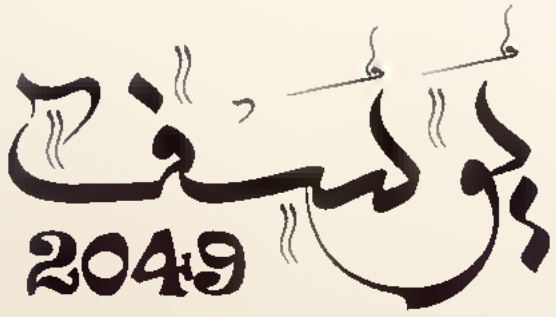
يوسف
2049

الكاتب: تامر إمام

رقم الإيداع:

ISBN:

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail com

info.darel7elm@Gmail com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره
عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظه للدار
ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت
إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

يوسف 2049

الكاتب

تامر إمام

إهداء

إلى والديَّ اللذان فعلا ما لم يكن حتى في وسعهما لأصير على ما أنا عليه الآن.. إلى زوجتي التي صبرت على انشغالي ووقفت بجانبي طوال فترة كتابة الرواية والتي كانت بمثابة الناقد الأول لها، إلى أختي الصغيرة التي يكفي وجودها في حياتنا ليمنحنا السعادة، إلى صديقي (أكرم عريشة) الذي شجعني أن أبدأ في كتابة أولى رواياتي بكلمات أخرَجَت ما في جعبتي من كلمات، وإلى صديقي الصدوق (حسام سامي) الذي أعطاني وقته الثمين والذي كان لآرائه الحكيمة دورا كبيرا في أن تصير الرواية على ما هي عليه الآن.. وإلى روح العراب، أستاذي ومثلي الأعلى (أحمد خالد توفيق)..

إلى كل هؤلاء، ما كان لتلك الرواية أن ترى النور لولا وجودكم في عالمي..

❁ ❁ ❁

"١"

- "أقطع دراعي إن ماكانش الروبوت ده منوفي"
- "يا هندسة ماتقولش روبوت بس، ماتوديناش في داهية، هما أصلا ما بيحبوش نسميهم كده، اسمه (بلاتو)"
- "يا عم ماتبقاش جبان كده، فيه إيه؟ ثم هو اسمه (بوتو) مش (بلاتو)"
- "هو يعني إيه منوفي؟"
- "منوفي ده يعني من المنوفية يا عم الحاج"
- "آه، وإيه هي إيه المنوفية ده بقى يا هندسة؟"
- "لأ، ده ما توعاش عليها أنت ده"

قالها (هيثم) ردا على (ساجي) وهو يضحك بسخرية، كان دائما ما يتعجب من افتقار (ساجي) إلى أيّة معلومات عن تلك التغيرات التي أحدثتها ثورة ٢٠٣٠ بمصر، صحيح أن (ساجي) يصغره بعشرين عاما على الأقل، صحيح أنه وُلِدَ تقريبا إبان الثورة، لكن هذا لم يمنعه من أن يندهش كلما سأل (ساجي) تلك الأسئلة التي تفتقر إلى المعرفة ولو القليلة بتاريخ هذا البلد .

كانت ليلة صافية تلك من أواخر فصل الشتاء، سماء بلا غيوم، لا يظهر فيها سوى القمر وذلك المنطاد عجيب الشكل الذي يعلو في الفضاء ماسحا

طبقات القشرة الأرضية والذي تملكه وزارة الفضاء المصرية. لم يكن عملهم بمركز الجيولوجيا الفلكية بالمُسَلِّي، أو على الأقل لا يمكنك أن تطلق عليه ذلك الوصف بضمير مستريح، ولكنه كان يكفل لهم حياة كريمة ودخل معقول يُمَكِّنهم من إرسال أولادهم إلى الصومال – ذلك البلد الذي كان يوما من الأيام يعاني من المجاعة ويتلقى الإعانات – ليكملوا تعليمهم الأساسي مثل كافة أبناء هذا البلد من ميسوري الحال..

- "الروبوت ده سويدي، يعني زي Volvo كدة، أكيد فاكر الشركة دي يعني، دي كانت موجودة على أيامكوا، ثم إن اللي عامل البرنامج بتاعة واحدة سويدية اسمها، (Wilma Ludvig)، طب أنت عارف بقى إنها من ساعة الثورة وهي قاعدة في أدنبرة في اسكوتلاندا وسابت ستوكهولم؟"

أمسك (هيثم) بإحدى ضفائر لحيته الطويلة ذات الضفيرتين، والتي جعلته أشبه بأحد محاربي الفايكنج، تلك الصيحة التي انتشرت مؤخراً بين من هم دون الأربعين حتى لتشعر – لولا ملابسهم العصرية – أنك تسير في الطريق وسط مجموعة من قبائل الجيرمان، وضحك بصوتٍ عالٍ وهو يقول لـ(ساجي) وعينيه تلمع من كثرة الضحك:

- "يابني بطل تقعد على الفيسبوك بقى، بتجيب معلومات مالهاش أي تلاتين لازمة، بص يا عم (ساجي)، تبقى دي على سوسن لو ماكانش اللي عامل البرنامج بتاعه منوفي"

- "إسم سوسن ده أساسا انتهى من ١٠٠ سنة مثلا، انت اللى بتجيب الحاجات دي منين يا هندسة؟"

ابتسم (هيثم) في تشفٍّ ولم يرد.. ما هم بعمر (ساجي) لا يعلموا إلا القليل عن ثورة ٢٠٣٠، فثورة ٢٠٤٠ أخذت منها الأضواء وأصبحت تلك الأجيال لا تتذكر إلا "ثورة المبرمجين"... لا عجب في أن ذلك الجيل لا يعرف شيئًا عن تلك المحافظة القديمة المسماه بـ"المنوفية" والتي كانت مهد للمخترعين والأدباء والرؤساء – كما تقول كتب التاريخ – فيما قبل الثورة إلى أن قام ثوار ٢٠٣٠ بإلقاء قنبلة نووية محدودة المدى لضمان إنهاء نسل هذه المدينة إلى الأبد.. يبدو أن هناك من هرب منهم إلى السويد وعَمِلَ مبرمجا هناك قبل إلقاء القنبلة!

- "والله منوفي بقى مش منوفي، أنا شايف إننا ندي فرصة لواحد تاني غير "بلاتو""
- "يابني واحد تاني إيه، احنا حنهزر؟"

قالها بصوت مرتفع جعل (ساجي) يتراجع قليلا في مقعده. أحيانا يشعر (هيثم) وكأن (ساجي) لا يعلم أي شيء عن أي شيء، هو مجرد طفل آخر تخرج من الجامعة ليجد نفسه يعمل جانبا إلى جنب مع من يكبره بعشرين عاما على الأقل، خبرته العملية لا تختلف كثيرا عن خبرته الدنيوية، كان دائما ما يفتخر بمعلوماته عن "ثورة المبرمجين" تلك مع أن عمره وقت أن اندلعت عام ٢٠٤٠ كان لا يزيد عن العشرة أعوام ..

هو عاصرها، ويذكر تفاصيلها كأنها حدثت البارحة.. بعض الشباب المبرمجين عباقرة الكمبيوتر في الدول الإسكندنافية اكتشفوا فجأة أنهم قد ملّوا من البقاء خارج الصورة، من الجميل أن تستيقظ يوما لتشعر بملل مماثل، المهم أنهم رأوا أن العالم على شفا حرب نووية وأنهم يجب ألا يقفوا هكذا مكتوفي الأيدي يشاهدون تلك الحرب وهي تطيح بكل ما وصلت إليه الانسانية من تقدم.

استيقظ العالم يومها ليجد أن هؤلاء المبرمجون الشباب قد قاموا - بالاشتراك مع مبرمجين آخرين شباب أيضا من كافة أنحاء العالم- بالسيطرة تماما على الشبكة العنكبوتية ومن ثم أحكموا سيطرتهم على جميع الأسلحة النووية والحاسبات الآلية، وقيادة البيت الأبيض في أقوى عملية قرصنة إلكترونية حدثت في التاريخ، تزامن ذلك مع اعتقال للرئيس الأمريكي قام به مجموعة من حراسه الشخصيين والتابعين لنفس الحركة. ومن ثم تم إعلان مبادئ ثورة المبرمجين أو ال Developers Revolution والتي أنهت العالم كما نعرفه كما أطلقوا على أنفسهم وقتها "مبرمجي العالم" أو ال "World-Wide Developers (WWD)". الجميل في الموضوع أن أول مبدأ من مبادئ تلك الثورة كان هو إعلان أن حكم الإنسان لنفسه قد انتهى، حيث صرحوا أنه سيتم إدارة الدول في العالم أجمع عن طريق جيل متقدم من الروبوتات، تم كتابة برنامجها بالفعل من قبل هؤلاء المبرمجين، وذلك لضمان انتشار "العدالة، السلام والمساواة"، هذا لأن الإنسان -على حد قولهم- لم ينجح

سوى في أن يسوق العالم إلى حرب تلو الأخرى على مدار فترة حكمه على هذا الكوكب .

ولم تكن تلك الروبوتات إلا نسخة متطورة من الجيل الأول لتلك الروبوتات الشبيهة بالبشر.. (صوفيا).. ذلك الروبوت الذي صممته شركة "هانسون روبوتيكس" والتي كانت موجودة وقتها في هونغ كونغ. صممت (صوفيا) حينها كي تتعلم وتتأقلم مع السلوك البشري وتصرفاته، ولكي تعمل مع البشر. (صوفيا) -والتي صممت شكليًّا بناءً على الممثلة البريطانية (أودري هيبورن)، وعرفت وقتها بمظهرها وتصرفاتها الشبيهان بالبشر مقارنة بالروبوتات الأخرى السابقة- كان لديها ذكاءً صناعيًّا ومعالجة بيانات بصرية وقدرة على تمييز الوجوه ما يسمح لها أن تحاكي الإيحاءات البشرية وتعابير الوجه، كما كان لديها القدرة أيضًا على الإجابة على أسئلة معينة وإجراء حوارات بسيطة في مواضيع محددة، كالطقس على سبيل المثال وصمم برنامجها ليصبح أذكى مع الوقت. الطريف في القصة أن (صوفيا) قد حصلت في أكتوبر ٢٠١٧ على الجنسية السعودية، لتكون بذلك أول روبوت يحصل على جنسية!

(صوفيا) كانت في أوائل الأجيال التي اعتمدت كليا على الذكاء الصناعي والتعلم الذاتي، تصور العالم وقتها أن هذا سيكون بداية الاستفادة الحقيقية من الروبوتات في خدمة الإنسان والتعاون معه في شتى المجالات، ولم يتوقع أكثر المتفائلين أن الموضوع قد يصل إلى المحاكاة التامة للكثير من

الصفات البشرية فيما عدا أن (صوفيا) لم تكن تأكل، تشرب، تنام أو تتزوج لحسن الحظ. وإن كان حدثت وقتها بعض البلبلة إثر سؤال أحد العرب - دون داعي لذكر جنسيته- إذا ما كان بإمكانه أن يتزوج منها! ظهر بعد (صوفيا) عدة أجيال من الروبوتات وازداد تطورها مع الوقت، وبدأت تظهر في الحياة العامة وأصبح من الطبيعي أن تجد روبوت يمشي مع أحد المسنين في الشارع ليساعده على الحركة أو أن تفتح بابك لتجد روبوت يرتدي قميص عليه شعار شركة نقل بضائع يبتسم لك ويسلمك طرد ما أو تجد إحدى هذه الروبوتات بجانبك في السوبر ماركت يمسك بثمرة فاكهة يرفعها بيده تجاه الضوء ليتأكد من كونها جيدة. لم يتخيل أحد أن يصل التطور بتلك الروبوتات إلى حكم بلد بأكمله أو خوض انتخابات رئاسية..

ولضمان سيادة الديمقراطية، أعلنت وقتها ال WWD أنه سيكون هناك عدد من المرشحين الروبوتات في كل بلد، كلٌ سيأتي ببرنامج انتخابي أعده الروبوت حسب ما تم برمجته به، قالوا أنه سيكون هناك بالطبع انتخابات نزيهة تضمن تداول السلطة بين الروبوتات، وأنه سيشرف على إتمامها ال WWD شخصيا ... الجميل في الموضوع أنهم أضافوا بندا صغيرا في الدستور العالمي الذي كُتِبَ وقتها، وهو أنه "إذا أثبت روبوت ما نجاحه في إدارة ذلك البلد الذي يرأسه فسيكون مسموح له بفترات حكم لا نهائية إلى أن تأتي انتخابات أخرى تطيح به وتأتي بروبوت آخر لإدارة البلاد"، ومن ثم تم إجراء الانتخابات وفاز الروبوت (بلاتو) -الاسم اللاتيني لـ(أفلاطون)- برئاسة

جمهورية مصر العربية، ليصير أول رئيس من غير بني البشر- مدني، منتخب - يجلس على عرش مصر. الطريف أن المصريين لم يستسيغوا اسم (بلاتو) هذا، ومن ثم صار الاسم الدارج له، والذي أطلقه عليه شريحة عريضة من المصريون وقتها هو (بوتو)، وهكذا أمضى (بوتو) فترتين في الحكم ويستعد في هذه الأثناء للانتخابات التي ستضمن له -حسب المؤشرات الحالية- بفترة رئاسية ثالثة..

- "بص يا عم الجمال؟ الناس كلها عايزاه أهو، التليفزيون المصري مابيكدبش"
- "ما بيكدبش إزاي يعني؟ أنا عمرى ما شفت كمية التع..."

قاطعه (هيثم) وقد بدأ يفقد أعصابه:

- "(بلاتو) حيكسب يا عم (ساجي)، والله شوية العيال اللي عاملين نفسهم ثورجية دول حيودونا في داهية، عايزن روبوت جديد؟ الروبوت ده حفظنا وفهمنا، لسة حنجيب واحد تاني مش عارفين اللي مبرمجه ده حاطط في برنامج أمه إيه؟"

قال (ساجي) بعصبية:

- "برضو نفس الطريقة، الشباب مش فاهمين حاجة، الشباب حيودونا في داهية، انتو بتعملوا كده ليه؟ ليه بتعاملونا ليه على إننا عيال؟"

صاح فيه (هيثم):

- "علشان انتو عيال يا (ساجي)"

احمر وجه (ساجي) وألقى نظرة لا إرادية على (حلا) زميلتهم التي كانت تجلس أمام الكمبيوتر وعلى وجهها ابتسامه لم تستطع منعها من الظهور، شعر بالغضب أكثر، فلم يكن يحب أن يظهر بهذا المظهر الطفولي أمامها هي بالذات. التفت إلى (هيثم) وقال له بعصبيه بدت طفولية رغما عنه:

- "يا باشمهندس (هيثم) إحنا مش عيال، الثورة اللي جابت (بلاتو) اللي عملوها ناس كانوا قدنا ساعتها"
- "دول كانوا غيركوا يا عم (ساجي)، لو الكلام ده كان أيامكو ماكانش اتعمل ثورة ولا نيلة، ثم أيامها كانت الدنيا بايظة، انما دلوقتي الوضع مستقر"
- "مستقر؟! انتوا عاجبكوا يعني اللي بيحصل؟"
- "هو ايه اللي بيحصل؟ أنت مش حاسس بالإنجازات؟"
- "ما توطوا صوتكوا شويه بقى، مش عارف أركز في الشغل والله"

قالها (وليد) -المهندس المسئول عن أعمال المنطاد- بطريقة عصبية، محاولا أن يعلو صوته فوق صوت زملائه لعلهم يتوقفون قليلا عن الكلام...

قال له (هيثم) بتهكم:

- "ما تيجي تشترك معانا في الحوار ده يا عم (وليد)، الواد (ساجي) بيقولك شباب وبتاع"

- "برضو بتقول "الواد" يا باشمهندس؟"
- "اللي يمسك يمسك يا (هيثم)، روبوت قديم بقى جديد، إن شالله يجيبوا بطريق حتى، والله ما حيفرق"

قالها (وليد) محاولا رسم ملامح الجدية على وجهه ليخرسهم قليلا، ثم عاد ينظر إلى المجسمات الهولوجرامية التي تظهر أمامه في الهواء متابعا تلك المؤشرات والمنحنيات البيانية المتعلقة بعمله. كان كل ما يريده الآن هو أن يغرق نفسه في العمل حتى يضمن أن يخرس عقله الباطن قليلا.. لعنهم في سره وقد تبخر تركيزه وصارت عودته إلى القيام بما كان يفعله ضربا من الخيال.

- "فاضل شهر عالانتخابات، لو (بوتو) كسب، Molten cake لكل اللي في الأوضة"
- "لأ أنا عايز Donuts"
- "ماشي يا (رامي)، حجيبلك أنت بالذات Donuts عندًا في اخوك (ساجي)"
- "يا رب تموتوا وانتوا بتاكلوها"
- "بتقول إيه يا (ساجي)؟"
- "بقول لو ليكوا نصيب حتكسبوها"
- "انتوا ما وراكوش شغل يا جدعان؟"
- "ما تهدى علينا يا عم (وليد)، مش لسا بنفطر؟"

قالها (هيثم) ومد يده إلى طبق الفول فشعر أنه يهتز، نظر للطبق باستغراب، وضحك ضحكة عصبية وقال مازحا وقد أحس أنه ولابد قد توهم ما رآه بسبب داء السكري الذي أصيب به منذ فترة:

- "أنت خايف ليه يا عم، هو أنا حاكلك؟"

ثم بدأ يشعر بالهزة في المقعد الذي يجلس عليه هو الآخر، نظر إلى من حوله ليجد وجوههم توحي بأنه لا يتوهم ما يحدث الآن...

- "زلزال تاني يا جدعان، انزلوا تحت الترابيزات"

- "ده اللي فات كان من أسبوع، إحنا بقينا اليابان ولا إيه؟"

- "آه، بس في الزلازل بس"

بدأوا يتحركون بعصبية، كلٌ يحاول أن يجد شيء ما يختفي تحته

- "أنت بتعمل ايه عندك يا (وليد)، شوفلك ترابيزة وانزل تحتها"

لم يتلق (هيثم) رد من (وليد)، فكرر نداءه بصوت أعلى هذه المرة:

- "(وليد)؟ أنت نمت ولا ايه؟ اخلص أحسن حاجة تقع عليك"

لم يرد (وليد) أيضا، كان يتابع شيء ما على المجسمات التي تظهر أمامه في اهتمام بالغ.

- "يا باشمهندس (وليد) تعالى علشان خاطري"

قالتها (حلا) بصوتها الأنثوي الرقيق، فالتفت لها، حتى في أحلك المواقف لم يتوقف الدلال الأنثوي عن أن يتسرب مباشرة إلى عقله الذي حل الفراغ العاطفي فيه محل ال Grey matter.

- "ما تقلقيش يا (حلا)، ال spectrum قدامي بينزل، شويه والدنيا تهدى"
- "ده أنت جاحد يا أخي"

وبالفعل بدأ الاهتزاز يهدأ شيئا فشيئا وبدأ الجميع يخرج من تحت المناضد.

- "من امتى الشجاعة دي يا (وليد)؟ مانت طول عمرك أكتر واحد فينا بيخاف على نفسه، دا أنت ما بتشربش vape حتى يا جدع؟!"

قال (وليد) وهو لا يزال ينظر إلى المجسمات التي أمامه:

- "أنا أصلي كنت متابع القرايات ساعة الزلزال، ال spectrum كان كويس، وأكبر Peak كانت كلام فاضي"

قالت (حلا) وهي تنفض ما علق ببنطالها من غبار أثر جلوسها على الأرض:

- "هو أنا قدامي قد إيه يا باشمهندس علشان أبقى بافهم في شغلى زيك كده؟"

لم يلتفت لها (وليد)، فقط ظهر شبح ابتسامة على وجهه ولم يرد. احمر وجه (حلا) خجلا واتجهت بسرعة إلى مكتبها وهي تحاول رسم الجدية على ملامحها لتداري ما تشعر به من إحراج، تابعها (هيثم) بنظره مبتسما ثم أخذ ينقل بصره بينها وبين (ساجي) بعد أن لاحظ أن الأخير كان يتابعها

بنظره هو الآخر. ثم ضحك وهز رأسه واتجه إلى (وليد) الذي كان ينظر إلى ما أمامه الآن في اهتمام بالغ ومال على أذنه وقال له وهو يضع يده على كتفه:

- "ابقى تف على وشي لو اتجوزت يا وِل"

التفت إليه (وليد) وقد بدا شارد الذهن ثم قال كمن أفاق لتوه من غيبوبة:

- "ايه؟"
- "لا باشا، انت تمام، كمل قعدتك كده قدام الكمبيوتر، بإذن الله ربنا حيرزقكم بكمبيوترات صغيرة"

قالها واتجه إلى مقعده، نظر له (وليد) للحظات بنظرة خاوية ثم عاد ينظر من فوره إلى تلك المجسمات مرة أخرى باهتمام وهو يدعو الله في سره أن يكون مخطئا، فلو كان ما يراه الآن من المؤشرات صحيحا فلن يكون هناك داع لا للزواج، ولا للانتخابات الروبوتية ولا لأي شيء آخر..

❁ ❁ ❁

"٢"

- "يابا انزل ورايا تقرير الله يخربيتك"

أخرجه هتاف زميله الذي يجلس بجانبه في تلك الحافلة التي تنقلهم إلى العمل من شروده... كان قد سرح تماما في تلك الأغنية العتيقة " Painter Song" لمغنيته المفضلة (Norah Jones) وساعده عدم وجود صوت تقريبا لموتور الحافلة الكهربي من أن يسرح بخياله بعيدا مع الأغنية. يجب أن زميله قد كرر نداءه عدة مرات قبل أن يلحظ هو. كانت نظارته الطبية تتيح له سماع الموسيقى عن طريق تكنولوجيا التوصيل العظمي، حيث تقوم مجموعة من محولات الطاقة أو ال Transducers بتشغيل الصوت مباشرة في عظام الفك، مما يسمح للصوت بالوصول إلى قوقعة الأذن مباشرة حتى لتشعر أن الصوت يأتي من داخل رأسك. ما هو أكثر من ذلك، أنه يترك أذنيك الحرة لإجراء محادثات خارجية.. ذلك الاختراع -والذي تحدث عنه الروائي الراحل (دان براون) في إحدى رواياته- كان قد حل تماما محل السماعات التقليدية. الجدير بالذكر أن (لودفيغ فان بيتهوفن)، المؤلف الموسيقي المشهور كان هو المخترع الأصلي لتكنولوجيا التوصيل العظمي في القرن الثامن عشر، حيث اكتشف -بعد فقده لحاسة السمع- أن بإمكانه أن يضع قضيبًا معدنيًا على البيانو ويعض عليه أثناء لعبه، مما مكنه من سماع صوته بشكل مثالي من خلال الاهتزازات في عظم الفك له..

التفت إلى زميله وقال له:

- "يلا يا رب تولع أنت والتقرير بتاعك"

هبط من الحافلة وتمطى محاولا إعادة النشاط إلى جسده. كان يشعر أنه لا زال ما بين الصحوة والنوم، لا يمكن أن يلقب تلك الأمسية التي قضاها نائما في سيارته ال Tesla أمام المنزل بالمريحة، ولكنها كانت أفضل كثيرا من أن يقضيها مع (ماهي) ..

ساعة ونصف مرت كالدهر، تلك التي أمضاها ليلة أمس وهو في انتظارها حتى تخرج من الجاكوزي، فكر خلالها في بدء الخليقة، في كيفية دخول البعوض إلى المنزل مع وجود تلك الستارة الكهرومغناطيسية، في الانتخابات الرئاسية القادمة، وفي سبب خروج (بلوتو) من المجموعة الشمسية ليحل محله كوكب (ميراندا) تماما كما خرج فريق الزمالك كعادته من دور المجموعات ليصعد بدلا منه نادي بلدية المحلة..

حياته مع (ماهي) أصبحت لا تطاق، اهتمامها المبالغ بشكلها، ليس من أجله بالطبع ولكن من أجل أن تحظى بعدد أكبر من الإعجابات على أنستجرام، كانت تمضي ساعات داخل ذلك الجاكوزي الذي لا يخلو منه أي بيت الآن، فقط هي كانت تمضي وقت أطول من أي امرأة في العالم تقريبا، لا يعتقد أن زوجة مخترع ذلك الجاكوزي الرقمي كانت ستمضي فيه نفس الوقت التي تمضيه فيه (ماهي) ...

كان ينتظرها أمس في حجرتهما وهو يتساءل: هل يطَلّقها؟ هل يقفز من الشباك الآن؟ ستصاب حتما بالاتهاب الرئوي إذا ما خرجت من الجاكوزي ووجدت الشباك مفتوح بعد أن يقفز، نعم لابد أنها ستفعل، دائما ما تخرج من الحمام نصف مبتلة، شباك واحد مفتوح سيكفي أن تصاب بالإيبولا وليس فقط بالالتهاب الرئوي، ستمرض وتموت، يا لها من فكرة، لماذا هو عبقري دائما؟ سيقفز الآن ويترك الشباك مفتوحا وراءه، ترى هل ستبدأ بالصراخ على الفور أم ستغلق الشباك أولا ثم تغير ملابسها وتضع يدها في ذلك الجهاز الذي يرسم لها المناكير في ثواني ثم تبدأ بالعويل بعدها حتى يصير شكلها أجمل وهي تضع يدها المصبوغة بالأرجواني على فمها وهي تصرخ؟ ثم ماذا عن تلك الطفلة؟ دائما ما تقف (زينة) حائلا بينه وبين تركه لتلك اللعينة حتى في أحلامه..

استقل المصعد الهوائي لذلك المبنى عجيب الشكل.. لا يفهم أبدا ما الذي يجذب الناس في تلك التصميمات المعدنية الحديثة! كان يشعر بالاكتئاب كلما نظر إلى المبنى الذي يعمل به من الخارج، لون معدني براق، نوافذ ذات زجاج داكن، لو لم يستطع مبنى مثل هذا أن يثير فيك الاكتئاب فلن يستطيع شيئا آخر.. لم يكن يحب شركته كثيرا ولكنه لم يصرح بذلك بالطبع لأن لديه طفلة يريد أن يربيها.. يكفي أنه يعمل في وظيفة جيدة في شركة تصنع مادة "الجيوبوليمر" البديلة للأسمنت، مما يعني أن سوقها رائج حقا حتى يأتي باحثون آخرون ويكتشفوا مادة أخرى بديلة لها مثل

هؤلاء الباحثون في الجامعة التقنية دارمشتات TU Darmstadt بألمانيا والذين تسببوا بعد اكتشافهم لتلك المادة عام ٢٠١٧ في غلق جميع مصانع الأسمنت واحدا تلو الآخر.

دخل من الباب الإلكتروني الذي تصاعد منه على الفور صوت أنثوي معدني يقول بلغة عربية سليمة وبلهجة حاول من سجلها بالبرنامج أن يجعلها رقيقة:

- "صباح الخير مهندس يوسف"
- "صباح الخير يا ولية"

دخل من الباب ومشى في خطوات ثقيلة، بطيئة، تعكس مدى المتعة التي ينتظرها في عمله، كان يمشي وهو ينظر للأسفل كعادته، وصل إلى مكتبه ووضع حقيبة الظهر التي يحملها على المكتب ثم ألقى نظرة على زملائه المنهمكين في إعداد التقارير على تلك الشاشات الهولوجرامية العملاقة والتي تعمل بتقنية الحقل الضوئي.. وجوه سائمة، نظرات فقدت ذلك البريق الذي يتركه الدافع في العيون، زومبيز، ليسوا سوى مجموعة من الموتى الأحياء الذين ينتظرون نهاية الشهر للحصول على الراتب ليشتروا أشياء لا يحتاجوها حقا لتساعدهم على حياة لا يحبونها!.. كانت التعيينات متوقفة منذ فترة لانخفاض درجة البطالة، ليس للتقدم الذي وصلت له مصر بالطبع ولكن لأن عدد الشباب والأطفال الذين توفوا إبان ثورة ٢٠٣٠ كان قد تجاوز العشرة ملايين، لذا لم تكن هناك وجوه ذات أعين لا يزال فيها

بعض البريق، حمد الله في سره، لم يكن يحب أن يرى تلك الأعين البكر وهي ينطفئ فيها البريق شيئا فشيء..

- "ايه يابا، هو مهندس (موسى) موقفك علينا النهاردة ولا ايه؟"

نظر لـ(رامي) زميله ونجح في رسم ابتسامة مرحة على وجهه إلى حد ما وقال:

- "بلاش تجيب سيرته أحسن ده بيحضر"
- "أنت يابني مش عندك تقرير تعمله؟"
- "عامله من امبارح قبل ما أمشي"
- "حبيبي يا updated"
- "تسلم"
- "لا بس لعيب والله، فضلت سهران لغاية ما عملت التقرير بتاع ال Reactor اللي ضرب امبارح؟"
- "Reactor ايه اللي ضرب إمبارح؟، يابني فكك بقى من الهري ده"

احمر وجه (رامي) وتوقف عن المزاح وقد أحس أن (يوسف) لا يعرف فعلا ما حدث أمس. ابتلع ريقه ثم قال:

- "أصلهم كلموني امبارح بالليل عشان أبعتلهم روبوت من عندي علشان ال Alignment"
- "يابني أنت حتهري؟"
- "هو ماحدش كلمك بجد؟"

على صوت (يوسف) وهو يقول بغضب:

- "أنت بتتكلم بجد ولا بتهزر؟"

شعر (رامي) بالحرج الشديد وقال لـ(يوسف) وهو يحاول أن يمتص غضبه:

- "(يوسف)، تقريبا هما كلموا مهندس (أحمد) وهو اللي كان متابع الموضوع امبارح، بس أنا قلت إنه أكيد كلمك، هو كلمك صح؟"

- "باشمهندس (يوسف)"

كان هذا صوت مهندس (موسى)، الرأس الكبرى في ذلك المبنى الذي يعملون به، التفت كلا من (رامي) و(يوسف) إليه وهم ينتظرون الهول القادم..

- "تعالى عايزك"

تسمرت عيون الجميع على (يوسف)، كان عبوس وجهه كفيلا بمعرفة ما يشعر به، فلم يكن من شيم (موسى) أن يستدعي من هم في "مَعَزّة" (يوسف) لديه ليعطيه بيضة كيندر مكافأة له على مجهوداته.. سيعطيه الآن نوع آخر من البيض بالتأكيد .. أخذ (يوسف) نفسا عميقا ودلف إلى المكتب وهو يتلو ما يحفظ من الأدعية في سره. لم يدعه (موسى) إلى الجلوس فوقف (يوسف) أمام مكتبه منتظرا ما سيحدث. نظر له (موسى) من فوق نظارته وقال:

- "مهندس (يوسف) أنت شغال ايه هنا؟"

ابتلع (يوسف) ريقه وقال في لهجة بدت مهزوزة نوعا:

- "يعنى ايه شغال ايه هنا يا ريس؟"
- "عايز اعرف بس، سمعهالي كدة"
- "ايه لازمة الكلام ده يا ريس بس؟"
- "أنت عارف ان المصنع ده هو اللي بيأكلك عيش ولا لأ؟"
- "هو اللي بيأكلنا كلنا عيش يا ريس ماختلفناش"

اعتدل (موسى) في جلسته ووضع ساقا تحته كما يحب أن يفعل كلما أحس برفعة شأن الكرسي الذي يجلس علية وأشار إلى (يوسف) بالجلوس فجلس على الكرسي المقابل لمكتبه ثم قال بلهجة حاول أن تبدو هادئة:

- "بص يا أخي"

تبا، سيرتدي الثوب الديني الآن، كان يكره كلما فعل (موسى) ذلك، كلمة "يا أخي" التي جعلت زملاءه ممن يشتكي لهم من (موسى) يخبروه كم هو "متبتر على النعمة" لأنه يتذمر وهو يعمل مع رجل خلوق لا يقول لمن يخاطبه سوى كلمة "يا أخي" مع ابتسامة بشوش.. رآه ذات مرة يصلي منفردا، أنهى وقتها صلاة العصر في وقت لا يزيد -بدون مبالغة- عن العشرين ثانية، في حركات بهلوانية سريعة يحسده عليها لاعبو السيرك فبدت كأنها فيديو لشرح الصلاة تم تشغيله بطريقة ال Fast Forward، كان يتأمله مندهشا دون أن يفهم ما الذي يفعله (موسى) بالضبط، عرف بعدها أنه فعل ذلك فقط ليلحق بسيارة العمل التي كادت أن ترحل دونه!.. ألقى (موسى) وقتها نظرة

غاضبة عليه بعد أن انتهى من صلاته، لم يكن يحب أن يراه أحدهم وهو يفعل شيء يظهر حقيقته، كان يحب أن يفعل ما يفعله في الخفاء.. يدبر المكائد، يوقع الجزاءات، ويتحدث عن هذا بسوء، فقط في الغرف المغلقة، بين من هم على شاكلته من المقربين، بعيدا عن أعين الناس، ثم يدخل هذا ليسأله عن خصم ما بالراتب فيخبره أن "استريح يا أخي" فيذهب عن القادم أي شك في أنه بريء مما يدعون وأنه ولابد شخص آخر هو السبب في هذا الجزاء ..

- "إحنا هنا كلنا جايين ناكل عيش، كلنا وأنا أولكم، بس بالحلال"
- "هو أنا يا ريس قصرت ف..."
- "اسمعني للآخر، إحنا بنيجي نشتغل، نشيل زلط ويتحرق دمنا علشان لقمة العيش، المفاعل اللي وقف امبارح ده وأنت ما فكرتش حتى إنك تيجي تبص عليه أكل عيشك، قوللي كده بقى بشويش أنت ما جيتش ليه امبارح؟"
- "يا ريس والله ما كنتش أعرف حاجة عن الموضوع ده خالص، أنا لسا عارف حالا من (رامي) إن كان في عطل امبارح"
- "إزاي يعني ماحدش كلمك؟ مهندس (أحمد) كان متابع الموضوع بنفسه وكان بيديني feedback أول بأول"
- "كلمته يا ريس وما ردش عليا"

كان هذا صوت مديره، (أحمد النرش). التفت ليجده واقفا عند مدخل حجرة مكتب (موسى)، يده اليمنى في جيبه، والأخرى تمسك بعلبة السجائر المعدنية التي يفرغ فيها سجائره المارلبورو.. كان من القلائل الذين لم يقلعوا عن التدخين في وقت صار فيه من يصل عمره لثلاثين عاما دون أن يموت بذلك النوع المتطور من نقص الأكسجين المزمن أو ال Chronic Hypoxia بالمحظوظ ..

كان في عينيه نظرة من يعرف الكثير، من عارك الحياة وعاركته، من مر عليه كل أنواع الأعطال.. مُدَّعٍ، هو يعلم أنه يعلم أنه مُدَّعٍ، كان تحت عينيه سواد حتى لتشعر أنه أمضى ليلته كلها يشرب شيء ما مما يشربونه هؤلاء الذين هم على شاكلته، طويل القامة هو، ذو بشرة خمرية داكنة بعض الشيء، تشعر وكأنه كحيل الأعين، ك "Antonio Banderas" في فيلم المحارب الثالث عشر "The thirteen's warrior" وكان يسيطر تماما على المهندس (موسى) الذي طالما وثق في الرعاع ولم يعط ثقته بتاتا لأهل الثقة..

- "تعالى يا باشمهندس أحمد"

دخل (أحمد) في ثقة وجلس على الكرسي المقابل لـ(يوسف) دون أن يلقي عليه السلام، كانت حركة ذكية من أبيه أن يسمي ابنه (أحمد).. من الجيد أن تجد اسما يوحي بالقوة خلال هذا النسل الطويل من الـ(هيثم) والـ(تامر) والـ(وائل). لا اندهاش من كون مديره (أحمد) لا يذكر أبدا اسميّ أبيه وجده

(راجي) و(كريم)، ويغضب كلما ذكر أحدهم اسمه بالكامل، كان يفخر بلقب (النرش) هذا الذي لا يدري من هو ذلك المريض الذي سمى ابنه (النرش) في ذلك الزمن الذي كان فيه (تامر حسني) هو رمز الرجولة!

نظر إلى (يوسف) بسخرية لم يلحظها إلا (يوسف) نفسه وذقنه مرفوعة قليلا دليلا على الكبرياء الذي يشعر به ولسان حاله يقول (أنا "أصْيَع" شخص في محيط ثلاثة كيلو مترات على الأقل"، خسر Freud كثيرا أنه مات ولم يقابله!.. قال (أحمد) لـ(موسى) أخيرا:

- "خير يا ريس؟!"
- "ماردش عليك، ها؟"
- "أيوا يا ريس، كلمتة كذا مرة ما ردش"

صعد الدم إلى رأس (يوسف) وقام بالضغط على ساعته فانبعث منها مجسم هولوجرامي، ثم قربه من (موسى) وقال له:

- "أهو ال call log بتاعي يا ريس، ها، فين بقى يا باشمهندس (أحمد) المكالمة بتاعتك؟"

أشعل (أحمد) سيجارته ونفسها تجاه (يوسف) الذي كتم أنفاسه ونظر للجهة الأخرة خشية أن تلتقط أنفه بعض الدخان:

- "أنت مسحت ال call log اللي فيه المكالمة بتاعتي يا باشمهندس (يوسف)؟"

سعل (يوسف) ليخرج هذا الدخان الذي استنشقه فجأة من رئتيه، ثم قال:

- "طب ما تورينا أنت ال call log بتاعك يا باشمهندس (أحمد)"

نظر (أحمد) إلى (موسى) وقال له بغضب:

- "أهو شفت يا ريس؟، ده إللي بقولك عليه، مش بس بيكدب، لأ ده عايز يكدبني كمان، أنا مش محتاج أطلع ال call log علشان أثبت إني كلمتك يا باشمهندس (يوسف)، مهندس (موسى) عارف مين (أحمد النرش) كويس"

نظر (يوسف) إلى (موسى) الذي كان ينظر إليه الآن بغضب وقال محاولا توضيح موقفه:

- "يا ريس أنا .."

قاطعة (موسى) قائلا:

- "مهندس (يوسف)، خلاص، مهندس (أحمد) مديرك راجل محترم، عيب قوي الكلام اللي أنت بتقوله ده"
- "يا ريس ما أنا وريتك ال call log، هو عايز يـ.."

قاطعه (موسى) مرة ثانية:

- "قلت خلاص، (يوسف)، أنت ماسك مكان مهم، وقفة المصنع ده بتكلفنا كتير، وماحدش فيكو بيطلع معايا الإجتماع اللي فوق يتشبشب علشان الانتاج اللي نقص"

- "طب افهمني بس حضرتك، مهندس أ.."
- "من الواضح كده إن أنت زي ما بيقول مهندس (أحمد) بالضبط، جِدال واعتراض وبس، الكلام ده ما ينفعش معانا يا (يوسف)، الناس اللي بتسمع الكلام عندنا في حتة تانية خالص، بص كدة على مهندس (مهند)، كان في مكان كويس زيك كدا بس ما كانش بيسمع الكلام، بص هو فين دلوقتي، تفتكر في يوم من الأيام حيبقى زيي ولا زي مهندس (أحمد)؟"
- "لو فضل على كدة حيبقى زيه يا ريس"

أحس (يوسف) أنه كرة بنج ما بين اثنين من الصينيين المحترفين، صمت (يوسف) تماما ونظر إلى الأرض وهو يحاول جاهدا ألا يرد أيا من تلك الردود التي تدور في رأسه الآن، سيكون حسن الحظ وقتها أن يلحق بمهندس (مهند) فقط ..

- "(يوسف)، أنت شاطر، بس ال Attitude عندك في مشكلة، حاول تشتغل على نفسك أكتر، ماشي؟"

لم يستطع (يوسف) الكلام وإن اكتفى بهز رأسه ببطء وقد قتلهم داخل رأسه بأفظع الطرق الممكنة.

- "اتفضل دلوقتي يا باشمهندس (يوسف)، أنا حاتكلم مع مهندس (أحمد) شوية"

خرج (يوسف) من المكتب وهو يشعر بصداع شديد، سيصاب بجلطة غالبا قبل أن ينفذ (أحمد) ما يخطط له. وما أن وصل إلى مكتبه حتى أسرع إليه اثنان من المهندسين الذين يرأسهم...

- "إيه يا ريس إيه اللي حصل؟"
- "ولاد مرة"
- "معلش يا ريس"
- "أنت في حد بلغك أنت أو (إيساف) بموضوع ال Reactor اللي ضرب امبارح ده؟"
- "لا يا ريس، إحنا لسه عارفين دلوقتي حالا لما جينا"
- "شكل مهندس (أحمد) خلص الموضوع مع حاج (سيف) على طول"
- "طب كلموا (سيف) دلوقتي بقى واعرفولي إيه اللي تم بالضبط علشان نحطه في التقرير"
- "حاضر يا ريس"

تصاعد صوت ضحكات عالية وصخب ثم خرج (أحمد) من مكتب (موسى) وهو يضحك بصوتٍ عالٍ، دائما ما كانت سعادتهم تنم على أن هناك مصيبة ما ستقع لأحد الأشخاص في الإدارة، فهؤلاء القوم لا يضحكون لأسباب جيدة أبدا. تابعه (يوسف) بنظره حتى وصل إلى مكتبه ووضع ما في يده على المكتب ثم اتجه (يوسف) إليه وجلس على الكرسي

المقابل لمكتبه وقال له وهو يبذل كل ما في قوته كي لا يظهر ما يشعر به في داخله الآن:

- "فهمني كده يا ريس اللي حصل جوه ده"
- "أنت عملت ايه الأسبوع اللي فات يا (يوسف)؟"
- "عملت ايه في ايه؟ ما أنت كنت أجازة يا ريس، العَمرة عدت تمام وبعتلك التقرير"
- "والروبوت اللي بعتهولك؟"
- "اللي كان حيشيل التربينة؟ ده كان رايح في داهية"
- "مشيته صح؟"
- "مشيته طبعا يا ريس، ده كان حيقع وهو شايل التربينة، كان حيبقى منظرنا زي الزفت"
- "لأ كان حيشيلها يا باشمهندس (يوسف)"
- "يا ريس بقولك كان حيقع، أنا أول مرة أشوف روبوت كدة مش عارف جابوه منين ده"
- "بص يا (يوسف)، لما ابعتلك حاجة بعد كده ابقى خدها زي ما هي كدا، أوعى بعد كده حاجة تيجي عن طريقي وترجعها"
- "يا ريس ما أنا اللي كنت في الوش"

"زي ما سمعت يا (يوسف) مش عايز كلام كتير، الناس بتوع الروبوت كلموني وزعلانين قوي، أنت عارف، طلعة الروبوت دي بتكلف"

- "اه، ده كان تبعك"
- "الناس دي تهمني، ما ينفعش نقف لهم في لقمة العيش كده وش"
- "يعني نلبس في الحيطة علشان ما نقفلهمش في لقمة العيش؟"
- "كدة كدة كان حيشيل الشغلانة، حيشيلها واحدة واحدة، حيشيلها على مهله، حيشيلها ويعمل مصيبة، المهم حيشيلها"
- "وأنا ألبس"
- "مش حتلبس ولا حاجة، كنت حتلاقيني في ضهرك يا عم (يوسف)"
- "آه، يعني أنت كنت بتعاقبني بقى علشان مشيت الروبوت اللي تبعك؟"
- "أنت عارف، أنا ممكن أعمل أي حاجة علشان الشغل يمشي"
- "شغل الشركة ولا شغلك يا ريس؟"
- "ممم، مش جي معايا سكة أنت يا (يوسف)، اللي أنت بتعمله ده مش بتاع واحد فاهم. أبعتلك بعد كده جرار، أصربة بعجل، كلب بلدي، اللى أقولك تشغله تشغله"
- معلش يا ريس، بس الكلام ده مش حيحصل طول ما أنا هنا، ابقى هات حضرتك حد تاني يعملك الكلام ده"
- "أوي أوي، أجيب، ماجيبش ليه؟ أنت شكلك زهقت من الشغلانة دي، في أماكن كتير في الشركة مخصوص علشان الناس اللي زهقت، نشوفلك مكان حلو كده يناسبك"

- "تحت أمرك يا ريس"
- "حلو قوي الكلام ده، يلا، تقرير الشغلانة اللي محضرتهاش بقى امبارح يكون على مكتبي بعد عشر دقايق من دلوقتي، أنا ماليش دعوة انك ماحضرتهاش، حقي ولا مش حقي؟"
- "حقك يا ريس"

قام (يوسف) ويداه مضمومتان بشدة حتى ابيضت مفاصل أصابعه، واتجه لمكتبه وهو لا يكاد يرى ما أمامه.

- "صباح الخير"

أفاقه الصوت الأنثوي من شروده وإن لم يكفي لتبديل ما كان يشعر به..

- "صباح الخير يا (سارة)"

لم تكن (سارة) من تلك النساء اللاتي تستدير لمرورها الأعناق، كانت محجبة، ضئيلة الجسد، ملامحها ذات جمال هادئ، لم تكن ملفتة بأي شكل من الأشكال، لكن شيء ما في عينيها كان يجعله دائما يفكر.. كان كلما يراها يفهم معنى كلمة "there's a lot more to her than meets the eye"، والتي تعني أن هناك الكثير بالنسبة لها أكثر مما تراه العين.. كانت موجودة في قائمة أصدقائه على Facebook، كثيرا ما كانت تكتب كلمات لا يفهمها أحد، فيدخل أحد الظرفاء من زملائهم في العمل ليخبرها بسماجة أنه سيحتاج حتما لأن يدرس الفلسفة حتى يفهم ما تعنيه، لكنه كان يفهمها، يفهم أن تلك الابتسامة التي تعودت أن ترسمها على وجهها ليست حقيقية،

بداخلها شيء ما لا تطلع عليه أحد، كانت هذه إحدى صفاته التي لا يدري من أين اكتسبها، هو يذكر ذات مرة عندما كان في المصنع فرأى أحد العمال وشعر أنه لا يبدو على ما يرام، سأله عما به فنظر له العامل بدهشة وقال له "عرفت ازاي يا هندسة، سبحان الله، ده مافيش حد إلا لما صبح عليا ولا حد فهم خد باله، مافيش عند ميتين أبوهم إحساس باين!" ثم أخذ يحكي له عن مشكلته التي كانت أعقد مما يتخيل ...

- "شكلك مش في المود النهاردة"

قالتها (سارة) وهي تقطب حاجبيها وتنظر له بتساؤل دون أن تفارق الابتسامة وجهها، كأن مجرد تقطيب حاجبيها وحده قادر على أن يسبر أغوار ما يشعر به..

- "لأ عادي، كله تمام"
- "شايفة مهندس (موسى) بيناديك في المكتب بتاعه، هو ده السبب؟"
- "لا ما تقلقيش، هو حيموت في يوم من الأيام إن شاء الله، حادثة بقى ولا ربنا ياخدة، Eventually حيموت"

أطلقت ضحكة عفوية أظهرت أسنانها البيضاء الصغيرة وغمازتين قادرتين على جعل عالمه أفضل، آه يا (سارة) لو كنت قد رأيتك قبل أن أتزوج، Sophisticated، هذه الفتاة Sophisticated وليقطع ذراعه إن لم تكن كذلك... قالت له وهي تنظر في ساعتها:

- "يلا، أنا حنزل بقى علشان عندي Audit.. حاول تطلع من المود بقى و Sheer-up"
- "حـ sheer-up حالا"

ابتسمت ابتسامة خفيفة ثم اتجهت إلى الباب وهو يتبعها بناظريه حتى اختفت

- "طب ماحضرتش الطوارئ وقلنا ماشي، بس اعمل التقرير زي ما قلتلك على الأقل"

كان هذا الصوت الجهوري لمديره، (أحمد النرش)، نظر إليه وحاول ألَّا يحمل وجهه أيًّا مما يشعر به في داخله الآن، ثم قال له دون أن تفارق عيناه عيني (أحمد):

- "حالا يا ريس، حدخلهولك في الإجتماع"
- "بس أنا عايزه دلوقتي"
- "أنا مش حالحق أدهولك هنا يا ريس، حديهولك جوه في الاجتماع، حضرتك ادخل بس وأنا حاجي بنفسي أحطهولك، ... عالمكتب"

لم يرد عليه (أحمد) وقد فهم ما يرمي إليه، تلاقت أعينهم لعدة ثواني ثم أخذ ما يحمل من أوراق ودخل إلى الاجتماع.

- "أنت بتعمل ايه الله يخربيتك؟ هو فهم أنت بتقول إيه على فكرة"

لم يرد (يوسف) على (رامي) واتجه إلى مكتبه...

- "ها، لميتوا الداتا؟"

- "أيوا يا ريس والتقرير دقيقتين وبيقى جاهز"
- "تمام، خلصه واطبعه ودخله للحيوان اللي جوا ده"
- "أطبعه؟ هو لسا في حد بيشتغل بورق؟"
- " مهندس (موسى) زفت بيحب الورق، بافكر أبلغ البيئة عن إنه لسة فيه Printer هنا أصلا"
- "يستاهلوها"
- "عارف والله"
- "بس يا ريس هو كان بيقول لحضرتك أنت ... احم، تدخلهوله"
- "(زياد)، اعمل زي ما بقولك معلش"

بهت وجه (زياد) وإن كان قد أيقن أن المعركة ما بين (يوسف) و(أحمد) قد خرجت عن السيطرة تماما..

- "حاضر يا هندسة، حاضر"
- "يلا أنا نازل المصنع أشوف (سيف) بيه التاني ده اللي ماكلمنيش هو كمان امبارح، لو في حاجة كلموني، ماشي؟"
- "ماشي يا ريس"

اتجه (يوسف) إلى الباب، وهو يتخيل نفسه يقتل (أحمد) و(موسى) بإحدى الطرق الشنيعة التي شاهدها في ذلك المسلسل القديم "لعبة العروش" أو "Game Of Thrones" - والذي أصر جده على أن يشاهده - ، كان (زياد) و(إيساف) يمسكان (أحمد) من يديه الآن، اقترب (يوسف) منه

وهو يمسك قدرا به ذهب مصهور ثم قال له وهو يرفع القدر عاليا: "موت يا ابن المره" ثم أفرغ محتويات القدر على رأسه وسط صرخات (أحمد) العالية وضحكات (زياد) و(إيساف) المتقطعة الشريرة. كان قد وصل الآن إلى المصعد الهوائي فاستقله وهو يبتسم ابتسامة عريضة أظهرت أسنانه وهو ينظر إلى جسد (أحمد) الذي كان قد سكن تماما الآن...

"٣"

شعر (يوسف) بكتفه يكاد يئن إثر حمله لحقيبته طوال ما يقرب من النصف ساعة قضاها وهو يدور حول البيت مترددا في الصعود.. لا يريد أن يرى (ماهي)، بات يشعر بضغطه يعلو ورأسه يكاد ينفجر كلما رآها.. كان يتخيل ما سيحدث: سيصعد، سيدخل البيت دون أن يلقي عليها السلام، كبرياؤها الشديد سيمنعها من أن تسأله إن كان على ما يرام أم لا، ستتركه ثم ستبدأ في إطلاق شحنة غضبها الدفين على (زينة)، ستفشل (زينة) حتما في نطق كلمة "Grandparents" بالضغط على حرف ال "P" كما ينبغي.. كيف لا تنطقها بصوت مكتوم كما يجب أيتها البائسة وأنت ابنة (ماهي)؟ ماذا ستقول سيدات المجتمع إذا سمعوها؟، كيف تكون Influencer وابنتها لا تنطق ال P بطريقة جيدة؟ ستنقلب الدنيا حتما، ستصير أضحوكة عالمها الافتراضي، لا، لن يصعد، طوال حياته فشل في أن يضع ابتسامة على وجهه في وجود من لم يعد يطيقه، ولن يتعلمها الآن من أجل تلك اللعينة ..

كان قد كون رأيًا لا يحتمل النقاش في أنه لا يمكن لحياة زوجية أن تستمر بهذه الطريقة، هي فارغة، بيضاء العقل من غير سوء، تراها وهي تعبث بذلك المتجر الهولوجرامي لساعة كاملة، تنحي هذه الحقيبة جانبا وتزيح هذا البنطال حتى تجد ما يناسبها، سيلتقط لها صورة ذات مرة دون

علمها وسيرسلها إلى وزارة الكفاءة العقلية لعلهم يرسلون طائرة تأخذها إلى حيث تنتمي فعلا!

فقد الشعور تماما بكتفه الآن، فليذهب المنزل إلى الجحيم، سيجلس في المقهى لينهي هذه الوصلة المؤلمة من الحوار مع النفس، لا شيء مثل الجلوس على المقهى منفردا ليساعد على التفكير.. سار في طريقه إلى المقهى وهو يشاهد مظاهر الدعاية الانتخابية لـ(بلاتو) وتلك المرشحة الأخرى (بينتا).. لافتات إلكترونية تحمل علم مصر والذي حل نسر معدني محل النسر الأصلي بعد ثورة المبرمجين، طوال حياته لم يفهم السر وراء تعليق مثل تلك اللافتات الإلكترونية والتي تحمل اسم "حاج فلان" أو "أبناء علان" أو "شركة كذا" يبايعون الرئيس (بلاتو) لفترة رئاسية قادمة. ستتم الانتخابات وسيذهب الناس للتصويت ثم يفوز من يفوز وبعدها ينتهي كل شيء، لِمَ المبالغة إذن؟ قال له أحدهم أنه موروث قديم من عهد ما قبل الثورة، قال آخر إنه جزء من الوجدان الجمعي لمواطني هذا البلد، قال آخرون أشياء كثيرة ولكنه لم يفهمها، يبدو أنه لن يفهم هذا الشعب العجيب الذي ينتمي إليه أبدا ..

وصل إلى المقهى، كانت هناك يافطة إلكترونية عملاقة تعلو مدخل المقهى وتحمل عبارة "مقهى الفردوس يبايع ويؤيد الرئيس (بلاتو) لفترة رئاسية قادمة". كانت الكلمات تتحرك من اليمين إلى اليسار ثم تختفي ويظهر علم مصر ثم يتحرك النسر المعدني ويطير من مكانه في منتصف العلم

ليهبط على كتف (بلاتو) الذي ظهر على يسار اليافطة الإلكترونية عاقدا ساعديه أمام صدره في شموخ واضح.. وقف (يوسف) يتأمل اليافطة الإلكترونية لبرهه من الزمن، ثم هز رأسه واقترب من جهاز الاستقبال على بوابة المقهى وقرب ساعته منه فأصدر الجهاز أزيزا خافتا ثم انبعث منه صوت إلكتروني لرجل يحمل الطابع الشعبي يقول:

- "مساء الفل، يا برنس"
- "مساء الفل يا حيلتها"

صمت الجهاز قليلا، لابد أنه يحاول فهم كلمة "حيلتها"، ثم انبعث الصوت مرة أخرى يقول:

- "قهوة حليب زي كل مره"
- "آه"
- "كباية زي كل مرة ولا فنجان؟"
- "كباية، اخلص"
- "مضبوط زي كل مره؟"
- "مضبوط آه"
- "ميه مع القهوة؟"
- "مش ناقصه أمك عالمسا أنت راخر، هات الزفت القهوة وخلاص"

قالها وترك الجهاز يطلق أزيزا آخر محاولا فهم تلك الجملة الأخيرة ثم اتجه إلى مكانه المفضل وجلس فانبعث صوت خافت من الحائط خلف المنضدة وخرج ماسِك معدني وضع كوب مليء بالقهوة أمامه ثم تحرك ليختفي داخل الحائط الذي انغلق وراء الماسك وأطلقت الساعة صوت جرس خفيف ثم ظهر على شاشة الساعة سعر القهوة ..

- "دول غلوا القهوة ولاد الجزمة!"

شعر بالغيظ لحظة ثم تناسى الأمر برمته وجلس يشاهد الجالسين في المقهى والمارين في الشارع.. حياته مؤخرا صارت مجرد مشاهدة ليس إلا، سواء في المنزل أو في المقهى أو حتى في العمل، أراد كثيرا أن يكون جزء من المشهد، أن يكون هو داخل الشاشة والآخرون يشاهدونه، لكن ليس بمقدور كل الناس أن يكون لهم دور البطولة..

لم يمر الكثير من الوقت حتى وجد (وليد) عند مدخل المقهى ويتبادل هو الآخر الكلمات مع الصوت الإلكتروني. سيطلب الجهاز حتما نقله إلى مكان آخر إذا ما استمر هو و(وليد) بالقدوم إلى هنا!

- "شفت، غلوا القهوة"

- "لا ولسه، كله حيغلى بعد مع (بلاتو) يكسب، اتقل تاخد حاجة نضيفة"

- "احنا لبسنا، صح؟"

- "بنلبس، طول ماحنا عايشين هنا ال verb ده بياخد ing"

أخذ (يوسف) رشفة من القهوة وتغير وجهه في اشمئزاز من طعمها السيء، ثم نظر لـ(وليد) الذي كان يتابع الشاي الزردة الذي طلبه وهو يخرج من جدار المقهى وفي عينيه نظرة متجهمة وقال:

- "إيه أخبار الشغل؟ شكلك مضلم"

- "لا، زي الفل"

- "لا يا راجل؟"

- "زي ما بقولك كدة، أنت إيه أخبارك طمني"

- "والله أنا مابقيتش عارف ألاقيها من الشغل ولا من البيت"

أخذ (وليد) رشفة من الشاي وقال وهو يضع الكوب على المنضدة:

- "مراتك حلوة يا (يوسف) ربنا يباركلك فيها، بس أول ما تفتح بقها وتتكلم بحس أنت قد إيه اتغفلت"

ابتسم (يوسف) لتعليق (وليد) ثم شرد ببصره، كان قد رأى منذ يومين فيديو لرجل وزوجته -والتي كانت حامل بالمناسبة- وهم يعزفون سويًّا أغنية قديمة تسمى "ديسباسيتو"، هي تعزف على البيانو وهو يعزف على التشيلو، تمنى ساعتها أن يوجد ولو شيء واحد مشترك بينه وبين (ماهي) ثم تذكر أنه اختارها من أجل أن يعود للبيت ليجد تلك المرأة رائعة الجمال في انتظاره،

وها هو الآن يجلس في المقهى مع (وليد) ولا يطيق حتى أن يصعد إلى البيت حتى لا يرى تلك المرأة الفاتنة..

التفت إلى (وليد) الذي كان يبدو شاردا وهو ممسك بكوب الشاي. أخذ (يوسف) رشفة أخرى من قهوته وهو يلعن من أعدها في سره ثم قال لـ(وليد):

- "فاكر الواد (فارس) اللي كان كان بيقعد معانا في القهوة؟"
- "اللي كان مجنون كورة ده؟"
- "آه"
- "ماله؟"
- "الواد ده كان نازل مرة كدة مع واحدة اتعرف عليها في كورس علشان يتفرجوا على ماتش سوا"
- "آه، ماهو مقضيها"
- "المهم يا سيدي هجمة للأهلي ضاعت قالتله المفروض يلاعب (سليم مروان) ارتكاز. اتقدملها بعد الماتش واتجوزوا بقالهم حبه كدة"
- "قول والمصحف؟"
- "زي ما بقولك كده. شوفتهم من كام يوم ضاربين تيشيرتات بارشيلونا وقاعدين بيشجعوا عالقهوة اللي جنب بيتنا"

- "طب أيه؟ فين المهم في اللي أنت بتحكيه ده يعني؟"

- "عارف يا (وليد)، هو اختار واحدة حتعمل معاه اللي هوا بيحبه، انا اخترت واحدة حلوة "و مابصتش اذا كان في حاجة مشتركة مابينا ولا لأ"

- "كل ما بشوفك يا (يوسف) باحمد ربنا إني متجوزتش، تلاقيكوا ما بتكلموش بعض أساسا انت وهي وانتوا قاعدين في البيت"

ابتسم (يوسف) في مرارة ولم يرد، هو يذكر عندما حاول ذات مرة أن يقنعها أن تشاهد معه إحدى المسلسلات الأجنبية التي يتابعها، كانت تشاور للكاميرا الطائرة "drone" طوال الوقت تقريبا لتلتقط لها صورا وهي تبدو جذابة ب "بوز البطة" -أسوأ موروث تركه أجدادهم على الإطلاق- أو كانت تتحدث لإحدى صديقاتها عبر ساعتها، ثم تنظر لشاشة التليفزيون لتجد أشخاص لا تعرف عنهم شيئا، فتطلب منه أن يشرح لها ذلك المشهد الذي فاتها وماذا كان تقوله تلك الممثلة. كان رد فعل طبيعي بعدها أن تجده يشاهد مسلسل آخر وحيدا دون أن يطلب منها أن تشاهد معه أي مسلسلات أخرى ..

التفت (يوسف) إلى (وليد) محاولا تغيير الموضوع وقال له:

- "قوللي انت بقى، عامل كده ليه"

ابتسم (وليد) ابتسامة باهتة وقال له:

- "لأ، حواركده في الشغل"
- "آه، حد نفخ عليك؟"
- "لأ، يعني مش عارف المفروض أقولك ولا لأ"
- "إيه، في واحدة حامل منك في الشغل؟"
- "لا للأسف، لم تستحق أحدهم بعد أن تحمل إبني لهذا العالم البغيض"
- "يا عم اتنيل"
- "زي ما بقولك كدة"
- "ما علينا، ها، في إيه بقى؟"
- "إنهاردة كان في زلزال في الشغل"
- "إيه، خفتي يا بطة؟ معلش"
- "يابني اسمعني بقى وبطل سخافة أهلك دي"
- "sorry"
- "حاجة وسخة، المهم كان في حاجة كدة في القرايات اللي كانت باينالي ساعتها، مش عارف أفهمهالك إزاي، بس لو الموضوع اللي في دماغي صح، يبقى هو السبب في الزلازل اللي كترت دي"
- "elaborate يا عم الحج، elaborate، أنا برضك مهندس وأعجبك يعني"

نظر له (وليد) بغيظ ثم قال:

- "والله يا (يوسف) أنا مش عارف أنا ما قطعتش معاك ليه من أيام ابتدائي"
- "يابني بقولك كمل أنا سماعك، فهمني بس الموضوع كدة واحدة واحدة"
- "مش حاعرف أقولك بالتفصيل من غير ما أتأكد، بس لو الموضوع صح، يبقى بح"
- "بح إزاي؟"
- "نهاية العالم"
- "Armageddon؟"
- "انا مش عارف أنت مستحمل نفسك إزاي وانت تافه كدة"
- "مانت بتقولي نهاية العالم وبتاع، يابني ما يغركش إنك عامل دكتوراه ودارس برة وجوة، عايزك تبقى واثق إن لو نهاية العالم جت، مصر حتبقى آخر دولة تعرفها، ده مش بعيد العالم ينتهي واحنا مكملين عادي، اشطة يعني"
- "ماهي دي المفاجئة بقى، احنا أول ناس تظهر عندها الظواهر دي، وزي ما أنت شايف، موضوع الزلازل اللي زاد ده ما حصلش غير في مصر"

- "شوف إزاي!"

ارتشف (وليد) ما تبقى في كوبه دفعة واحدة ثم قال ليوسف وهو يلملم أشياءه ويقف:

- "إطلع يا يوسف، اطلع لـ(ماهي)، انت تستاهلها والله، طول عمري بقول إنك أكيد عملت حاجة زفت ربنا بيحاسبك عليها بيها بس دلوقتي عرفت، السخافة أكيد عليها ذنب برضو"
- "طيب خلاص اقعد وحبطل سخافة"
- "لا أنا ورايا حاجات أعملها قبل ما أنام، يالا سلام يا سخيف"
- "يالا غور في داهية"

تابعه (يوسف) بنظره ورفع الكوب إلى فمه وهم بأخذ رشفة من القهوة ثم تراجع وقد تذكر طعمها السيء، وضع الكوب على المنضدة ثم نظر إلى اللافتة الإلكترونية مرة أخرى وتابع ذلك النسر وهو يطير بلا توقف ليرسو على كتف (بلاتو)، ذكره ذلك بـ(برومسيوس) -سارق النار- والذي عوقب بأن يأتيه نسر عملاق كل صباح يدعى (أثون) ينهش كبده، ليعود فينمو من جديد في المساء ليستمر عقابه في الصباح، لابد وأن صانع اللافتة يهوى الأساطير الإغريقية... استمر في النظر بعض الوقت ثم قام واتجه ناحية باب المقهى.

"٤"

وصل (وليد) إلى بيته في ناطحة السحاب تلك بمنطقة سموحة، ظل ينظر في المرآة طيلة الدقيقة التي أخذها المصعد الهوائي حتى وصل للدور المائة والعشرين، وضع (وليد) إبهامه على ذلك المكان المخصص له بجانب الباب وانتظر حتى سمع صوت القفل وهو يفتح ثم دفع الباب ولم يدخل على الفور، أخذ يتأمل الصالة الواسعة لبعض الوقت.. كانت أنوار البيت مضاءة بالكامل كما تركها، لم يكن يحب أن يعود ليجد البيت مظلما، البيت كان موحشا بما يكفي ولا يحتاج للظلام أيضا لجعله لا يطاق..

كئيبٌ هو البيت بعد رحيل من نحب، لماذا يمضي معنا الأبوان كل هذا الوقت؟ كان يجب ألا يفعلوا، كان يجب أن يعرفوا كم سنعاني بعد رحيلهما، نحن أطفال كبار ليس إلا، لم نخلق لنحيا وحدنا في هذه الدنيا، كان يجب أن يعود ليجد أمه فيحكي لها، يشكو لها كل تلك الأشياء التي لن تفهمها فتهز رأسها وتخبره أنها أعدت له الطعام الذي يحبه فيذهب معها إلى المطبخ ويتناسى كل شيء..

هو الآن في السادسة والثلاثين من العمر ولم يمل قط من إيهام نفسه أنه يعشق عمله.. منذ تخرجه من كلية الهندسة قسم جيولوجيا الفضاء وهو يعمل في هذا المركز، لم يكن قد تزوج بعد، توفى والده في العام الماضي، بعد

وفاة أمه بشهور قليلة، وكأنه لم يطيق أن تفارقه رفيقة دربه.. ماتا قبل أن ينجح (وليد) في تحقيق حلمهما بأن يحملوا أبناءه، على الأقل حاول ذات مرة، خِطبة استمرت ما يزيد قليلا عن العام قرر بعدها أنه لن يتزوج فقط ليسعد أشخاص آخرين، حتى لو كانوا والديه.. إن لم يقابل من يريدها حقا فلن يتزوج، لا يعتقد أن العالم سيفتقد كثيرا أبناءه الذين لن يأتي بهم إلى الدنيا، سيبحث لنفسه بالتأكيد عن زوجه ما عندما يمل.. برنامج التزاوج البشري أو ال Human Mating Program هذا سيتكفل بالتفاصيل، صحيح أن اسمه يوحي بأنه برنامج لتزاوج الكلاب من النوع ال"شيواوا" حفاظا على بقاء سلالتها، لكنه لم يعد يهمه تلك الأمور الشكلية، طالما سيتكفل بإيجاد رفيقة له بنسبة توافق تصل إلى ال ٩٩ في المائة فليسمونه "سامية" حتى ..

كل شيء في العالم تقريبا صار يدار إلكترونيا، فقط في مصر، تلك اللجنة التي انبثقت عن لجنة منبثقة عن لجنة أخرى والتي رفعت تقريرا إلى الحكومة الدولية وقتها متمثلة في مبرمجي العالم أو ال World Wide Developers (WWD)"، قالت فيه أنها ستحتفظ ببعض التدخل اليدوي وأنهم سيكتفون بال Human Machine Interface (HMI)"، قالوا شيء ما عن البطالة التي ستنتشر، عن المحليات التي لا يمكن أن تدار إلا بالعقلية المصرية الجهنمية، عن ضرورة أن يكون هناك "مجلس رئاسي" يساعد "الروبوت" في عمله في قيادة الدولة والمرور بها من "عنق الزجاجة" وعن

أشياء أخرى لم يفهم منها سوى أنهم لا يريدون أن يتم نزع أيديهم تماما من السلطة ...

دخل البيت وأغلق الباب خلفه، طوال الطريق من المقهى كان يتلهف إلى الطعام لكنه بمجرد أن دخل إلى البيت تبخر أي إحساس لديه بالجوع، دلف إلى حجرته ثم فتح التليفزيون، لم يكن يخطط لمشاهدة شيء بعينه لكنه كان يحتاج لأي صوت يشعره أنه ليس وحده، ستكتفي تلك المذيعة ذات الصوت الرقيق والتي تجسدت أماه الآن في تبديد تلك الوحدة قليلا، لن يستمع إليها بالطبع ولكنه يحتاج إلى صوتها في خلفية تلك الأمسية الكئيبة إلى أن يرزقه الله بزوال الأرق وينزل عليه أَمَنَةً نُّعَاسًا ...

فتح الكمبيوتر ووضع ناقل البيانات في المكان المخصص له، وهو يشكر في سره تلك التقنية الخاصة بنقل البيانات عن طريق شعاع الليزر فيما يعرف بنقل فوريه السريع أو fast Fourier transfer التي لولاها لما استطاع أن ينقل كل هذا الكم من المعلومات بهذه السرعة.. أخذ يعبث بتلك المجسمات الهولوجرامية التي ظهرت أمامه، سيواجه مشكلة كبيرة حقا إذا عرف أحدهم أنه قد أخذ كل تلك البيانات من العمل، سيكون موقفه صعبا بعض الشيء وهو يحاول إقناعهم أن بعض الأشياء يمكن إباحتها إذا ما تعلق الأمر بنهاية العالم، لا يعتقد أنهم سيكترثون كثيرا لما يقول..

كان هو المهندس الوحيد الذي سافر إلى موسكو من جمهورية مصر العربية في تلك البعثة الدولية ليكون أول مهندس مصري يحصل على درجة

الدكتوراه في ذلك العلم الجديد "الجيوفيزياء الكوكبية"، ليعود ويعمل في وزارة الفضاء في مهنة رتيبة، لم تزده إلا إحباطًا بعد إحباط، حتى هذا اليوم، ما رآه أمامه متجسدا على شاشة الكمبيوتر الهولوغرامية ذكره بالمعلومات التي عرفها أثناء دراسته، تلك المعلومات التي تم تخزينها -إلى جانب مثيلاتها- على أحد الأرف بالفص الصدغي بمخه. القراءات التي يراها أمامه الآن عجيبة.. ليست المرة الأولى بالطبع التي يسجل فيها زلزال لكنها بالتأكيد المرة الأولى التي يتيقن فيها تمام التيقن أن تلك ليست هزة أرضية عادية..

الزلازل في طبيعتها ما هي إلا اهتزاز أو سلسلة من الاهتزازات الارتجاجية المتتالية للأرض والناتجة عن تحرك الصفائح أو الألواح الصخرية المكونة للقشرة الأرضية والتي يحمل كل لوح منها قارة من القارات أو أكثر. وعندما يزيد الشحن أو الضغط عن قدرة هذه الصخور على الاحتمال لا يكون بوسعها سوى إطلاق سراح هذه الطاقة فجأة في صورة موجات حركة قوية تنتشر في جميع الاتجاهات عبر مناطق التقاء هذه الألواح بعضها مع بعض، والتي يطلق عليها الصدوع أو الفوالق التي تحدّد نهايات وبدايات الألواح الحاملة للقارات. نشأت على الأرض مجموعة من المناطق الضعيفة في القشرة الأرضية تعتبر مراكز النشاط الزلزالي أو مخارج تنفس من خلالها الأرض عما يعتمل داخلها من طاقة قلقة تحتاج للانطلاق، ويطلق عليها "أحزمة الزلازل" وبمقارنة خريطتي توزيع الزلازل وحدود تلك الصفائح

التكتونية في العالم، نجد ارتباطًا وثيقًا بين حدود الصفائح ومناطق النشاط الزلزالي، وعلى هذا الأساس أمكن تحديد ما يسمى بالأحزمة الزلزالية وأهمها حزام حلقة النار "حول المحيط الهادي" Pacific BeltThe Circum.

مصر لا تقع على أي من تلك الأحزمة، وبالتالي طبيعة الزلازل الذي يمكن أن يحدث فيها هو ناتج فقط عن موجات تتمركز في داخل الصفيحة ويطلق على هذا النوع من الزلازل الـ Intraplate Earthquakes، وهذا النوع قد يكون مدمرًا بسبب عدم توقعه كما حدث في زلزال القاهرة في أكتوبر ١٩٩٢م. المذهل في الموضوع أن الزلزال الذي حدث اليوم ليس من النوع الحادث داخل صفائح القشرة الأرضية، ولكنه حدث – كما تقول القراءات – عن طريق حركة انزلاقية لتلك الصفائح، بمعنى آخر، هناك شق جديد حدث في القشرة الأرضية وانقسم اللوح الأفريقي الحامل للقارة الإفريقية إلى نصفين، تحت مصر مباشرة!.. أو بمعنى أكثر وضوحا، مصر أصبحت تقع على حزام زلازل جديد صنع من أجلها خصيصا!..

شيء آخر أثار انتباهه، ما حدث منذ أسبوع في تلك المدرسة الابتدائية في أسوان.. كان أهالي التلاميذ قد اشتكوا من ظهور كدمات وبقع على جلد أطفالهم، اتهموا المدرسة وقتها بسوء معاملة التلاميذ وكادوا أن يحطموا المدرسة ويفتكوا بالمدرسين، أعلنت المدرسة أنه لم يتم إساءة معاملة أي من التلاميذ وأنه لم يتعرض أي منهم للضرب من المعلمين. ومن ثم تم تشكيل لجنة من الوزارة للتحقيق في الأمر ونفى التلاميذ كذلك تعرضهم لأي

معاملة سيئة، كما وجدوا أن هؤلاء التلاميذ يعانون أيضا من آلام في العظام، ضعف عام ونقص في الوزن وفقدان للشهية، مع تضخم في بعض المناطق بالجسم والعقد اللمفاوية، وبالكشف عليهم تم اكتشاف أن هؤلاء الأطفال قد أصيبوا بمرض سرطان الدم أو اللوكيميا.. قامت الدنيا وقتها ولم تقعد، تحدث الجميع عن النفايات الذرية التي تلقى في صحراء مصر بالقرب من أسوان، عن المناعة التي انخفضت لهؤلاء الأطفال، عن سوء التغذية، ثم تناسى الناس الموضوع تماما خلال أيام كما هي العادة في مصر. لم يفطن أحدهم أن مرض اللوكيميا قد يكون أحد مسبباته التعرض للإشعاعات المؤينة..

والأشعة المؤينة، إذا ما ربطنا الأحداث ببعضها البعض يمكن أن تكون ببساطة هي الأشعة الكونية. ولتكون الأشعة الكونية بهذه القوة لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا اختفى الواقي الطبيعي لها والذي حبا الله به الأرض لحمايتها مما يحدث حولها في الكون والذي لولاه لما وجدت حياة على سطح الأرض...المجال المغناطيسي للأرض.. وهذا يعني شيئا واحدا فقط: لقد ضعف الحقل المغناطيسي للأرض..

لا يوجد تفسير آخر...

فهذا الحقل المغنطيسي يقوم بدور الدرع الواقي للأرض من السيل الجارف من الجسيمات المشحونة، والتي تُدعى الأشعة الكونية أو ال cosmic

rays التي ترد إلى الأرض من الشمس والفضاء الخارجي، والتي يمكن أن تقضي على كل حياة على سطح الأرض في حال غياب الحقل المغنطيسي.. بناءً على هذه الفكرة وضعت نظرية تفسير اختفاء الديناصورات والعديد من الأحياء التي ظهرت على سطح الأرض بسبب ضعف الحقل المغنطيسي الأرضي في تلك الفترة الزمنية مما سمح للأشعة الكونية بالوصول إلى الأرض بكميات كبيرة أدت إلى القضاء عليها تماما..

العالم سينتهي، سيلحقون بالديناصورات قبل حتى أن يتزوج هو.. سيموت بِكرًا كما قال له (يوسف) من قبل..

ما الذي يحدث؟ شق لم تحدثه أيا من الظواهر الطبيعية على مدى ملايين السنين يحدث فجأة، الحقل المغناطيسي للأرض يضعف فجأة، ما السبب؟ حدث جلل مثل هذا لا يمكن أن يحدث إلا لو..

اعتدل في مجلسه وقد بدا له الحل متجليا أمامه كأوضح ما يكون.. يا للغباء، لقد شاهد التفسير بالفعل في القراءات التي رآها مع الزلزال، الموضوع أكبر وأخطر بكثير مما تخيل، يجب أن يعرف من بيده القرار هذا الأمر والآن.. وبلهفة متوترة رفع ساعة يده وضغط على الشاشة فانبعث ذلك المجسم الهولوغرامي أمامه وطلب الرقم الذي لم يظن أنه سيستخدمه مطلقا طوال حياته.. رقم رئاسة الجمهورية..

"٥"

وضع (يوسف) إبهامه على القفل بجوار باب الشقة وهو يسمع صرخات (ماهي) وبكاء (زينة) بوضوح، سيحتاج السكان لأن يكونوا من الصم كي لا يسمعوا ذلك الصراخ العابر للأبواب.. فتح الباب وأغلقه خلفه واتجه إلى الصالة حيث تصدر تلك الأصوات المحببة للنفس، وما أن وصل حتى جرت عليه (زينة) واحتضنت خصره وهي تدفن رأسها في بطنه...

- "زينة، قلتلك إن كده naughty، ميت مرة أقولك إن كده naughty وانتي مابتسمعيش الكلام"

كانت (ماهي) تقف واضعة يدا على خصرها بينما تشير لـ(زينة) بسبابة اليد الأخرى والممسكة في نفس الوقت بال vape ببقية الأصابع، هذه المرأة لم تدرس علم النفس لكنها تعرف بالتأكيد كيف تقف على أعصاب من تتحدث إليه..

- "يا مامي الميس هيا إللي قالتلي أنطقها كده والله، هي اللي قالتلي"
- "(زينة)، أنا عارفة إن الميس ماقالتلكيش تنطقيها كدة، انتي مش عارفة تنطقيها صح أصلا، أنا قلتلك تنطقيها صح كذا مرة وكل مرة برضو بتنطقيها غلط، it's too much الحقيقة"

دفنت (زينة) رأسها في بطن (يوسف) مرة أخرى وهي تبكي وشعر (يوسف) بدموعها تبلل قميصه..

- "في إيه يا (ماهي)، بتزعقي كده ليه؟"

وضعت (ماهي) ال vape بين شفتيها وأخذت منها نفسا عميقا ونفخته وهي رافعة رأسها لأعلى ومغمضة العينين، ثم نظرت لـ(يوسف) وقد بدت عليها العصبية..

- "زينة مش عارفة تنطق الحروف صح يا (يوسف)، انا تعبت، كل الحروف غلط، parents بتنطقها barents، skirt بتنتقها "اسكيرت" وبتضغط على ال R كده زي "رمان" مثلا، أنا مش عارفة أعمل ايه معاها"

نظر (يوسف) إلى (ماهي) رافعا حاجبيه إلى أعلى شاعرا بضغطه يعلو كعادته كلما سمعها وهي تتحدث..

- "مش بس كدة، الهانم قاعدة في البيت كدة، بمنظرها ده، بص شعرها منكوش إزاي؟ وبص لابسة إيه؟ ال training suit الغريب اللي أنت كنت جايبهلها ده، إيه ده أصلا؟ أنا تعبت يا (يوسف)، تعبت"

ربَّت (يوسف) على رأس (زينة) وقال لها وهو ينظر إلى (ماهي) نظرة كارهة:

- "ادخلى أوضتك يا حبيبتي دلوقتي"

وكأنها كانت تنتظر مثل هذا الأمر بفارغ الصبر فانطلقت تجري إلى حجرتها وتغلق بابها خلفها.. تابعها (يوسف) بنظره حتى اختفت و(ماهي) تنظر له في تحد.. التفت (يوسف) إلى (ماهي) وقال لها بعصبية:

"انتي بتعملي إيه يا (ماهي)؟ البنت زي الفل، نُطْق إيه وزفت إيه بس عالمسا؟"

نظرت إليه (ماهي) وعيناها متسعتان غير مصدقة أن (يوسف) يقول ما يقوله الآن:

- "يوسف أنت جاي من برة الساعة ٩:٠٠ وبتقولي في إيه؟"

"معلش، أصل الملاهي بتقفل متاخر ويادوبك لحقت ألعبلي كام لعبة كده قبل ماجي"

- "ملاهي؟ (يوسف) ماتهزرش، بطل طريقتك دي بقى، انت كل حاجة تقلبها هزار وتأليس، أنا زهقت"
- "ماهو سيادتك بتقوليلي راجع الساعة ٩:٠٠، ده على أساس إني كنت بالعب مش كنت في الشغل يعني"

أخذت (ماهي) نفسا عميقا من ال vape محاولة تهدئة أعصابها قليلا ثم قالت لـ(يوسف) وهي تلوح بيدها الممسكة بال vape أمام وجهها:

- "أنت عايز تقنعني إنك كل ده كنت في الشغل؟ أكيد كنت عالقهوة طبعا وسايبني هنا أربي (زينة) لوحدي"

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه (يوسف). هذه المرأة الواقفة أمامه تتحدث عن التربية..

- "بتربيها! بتربيها على إيه يا (ماهي)؟"

- "بربيها إنها تبقى classy، تبقى fashionable، تعرف تتكلم، تعرف تلبس، تبقى بنت"

كان صوت (ماهي) الآن يتحول إلى الصراخ أكثر منه إلى الكلام وهي لا تزال ترسم خطوطا وهمية بيدها الممسكة بال vape.. هو يعرف تماما أن هذه إحدى المحادثات التي لن تنتهي على خير.. هي تتحدث بيديها عندما تكون عصبية، ثم يتحول الأمر إلى مباراة ملاكمة مع خصم وهمي عندما تفقد السيطرة على أعصابها.. هذه امرأة رأت أمها وهي تنهر أباها وهي صغيرة، فليسقط ميتا الآن إن لم تكن قد فعلت..

- "قصدك حتربيها إنها تهتم بشكلها من برة ومن جوة تبقى فاضية وتافهة"
- "أنت قصدك إني فاضية وتافهة يا (يوسف)؟"
- "أنا ماقولتش كده يا (ماهي)، بس إللي انتي عايزة تعمليه ده حيخلي البنت تطلع كده"

اقتربت (ماهي) منه وهي لا تزال تلوح بال vape في الهواء

- "أمال عايزها تطلع زي مين؟ زيك مثلا يا (يوسف)؟ (يوسف)، أنت بطلت تهتم بنفسك، مابتروحش الجيم زي الأول، (يوسف) أنت عندك كرش، أنا المفروض أفضل مستحمله إن جوزي يبقى شكله كده؟ لأ وكمان عايز البنت تطلع زيه، لأ wow الحقيقة!"

شعر (يوسف) بالدم يصعد إلى رأسه ويفسد ما بقيَ لديه من قدرة على السيطرة على أعصابه... هما يتحدثان بلغتين مختلفتين...

- " بقولك تربية تقوليلي كرش؟!، انتي بتفكري إزاي؟ جيم إيه وزفت إيه؟ التربية إنها تعرف الصح من الغلط، تعرف تختار صح، تعرف تختار أصلا، مايبقاش كل همها إن المانيكير اللي لونه حيمشي مع الجزمة اللي هيا حتلبسها النهاردة خلص... (ماهي) أنا نفسي أتكلم معاكي، نفسي نتكلم، أحكيلك عن الشغل، نتكلم في تربية (زينة)، (ماهي) نفسي نقرا كتاب سوا ونتناقش فيه، إحنا مافيش بينا أي حاجة مشتركة"

كانت (ماهي) تسمعه الآن وهي تدخن بشراهة وتهز قدمها بشدة وتنظر له في غيظ...

- "يوسف، أنت اتجوزتني ليه؟"

صمت (يوسف) طويلا هذه المرة ثم عقد ذراعيه أمام صدره وقال:

- "(ماهي) انتي ليه وافقتي انك تتجوزيني؟"
- "بترد على سؤالي بسؤال؟ مش عايز تجاوب يا (يوسف)؟"
- (ماهي)، انتي عجبتيني، اتقدمتلك، وافقتي عليا، أنا شفت فيكي الانثى اللي نفسي لما أرجع البيت بعد يوم شغل مالوش لازمة ألاقيها مستنياني، انتي وافقتي عليا ليه؟"

- "يعني أنت كنت عايز واحدة حلوة وبس؟ ما اخترتنيش عشان أنا الواحدة دي؟"
- "لأ يا (ماهي)، اذا كان ده حيريحك"
- "أنا بقى غيرك يا (يوسف)، أنا اخترتك ساعتها عشان كنت عايزاك أنت بالذات، كنت عايزة المهندس الناجح، الطموح، إللي مهتم بنفسه ولبسه شيك، شوف يا (يوسف) دلوقتي، دايما بسمعك بتتكلم على مشاكل في الشغل حتخليك عمرك ما حتكبر في شغلك، عمرك ما حتوصل، بقيت بتعلق على لبس واحد بالأسبوع من غير ما تغيره، (يوسف)، أنت اتغيرت"
- "اللي بتقوليه دلوقتي يا (ماهي) هو اللي مخليني متأكد إنك زيي برضو اتجوزتي مواصفات مش شخص، عايزة واحد ناجح ووسيم وشيك، ولو اتغير، يبقى بح، ماينفعش"
- "أنت مش عارف بتقول إيه يا (يوسف)"
- "للأسف يا (ماهي) أنا شايف إن ده أكتر حوار حقيقي ما بينا من ساعة ما اتجوزنا"
- "لأ، أنت بقيت لا تطاق"

قالتها واتجهت لحجرة (زينة) وفتحت الباب بعنف..

- "(زينة)، يلا بينا، إلبسي بسرعة، حنروح عند تيتا"

- "مش عايزة أروح عند تيتا"

صرخت (ماهي):

- "يلا يا زينة"

بدأت (زينة) في وصلة أخرى من البكاء وقامت تستعد للنزول .. (يوسف) كان يشاهد ما يحدث دون أن يتدخل... بداخله يريد بشدة أن تذهب (ماهي)، إلى أمها أو إلى الجحيم، لا يهم، المهم ألا يراها أمامه، بالتأكيد سيكون البيت أكثر هدوءًا وأقل ضغطا على الأعصاب مما هو عليه الآن.. دقائق مرت ثم ها هي (ماهي) تجر (زينة) ورائها... آلمته كثيرا نظرة (زينة) المترجية أن يفعل شيئ، لكنه استمر في مشاهدة ما يحدث كأنه مسلسل تدور أحداثه في مكان آخر، وبعنف أغلقت (ماهي) الباب وراءها...

"٦"

(يوسف) لم يعد هو نفس الرجل الذي تزوجته..

هي لم تختر ذلك الشخص العجيب الذي صار زوجها فجأة، بالتأكيد هذا شخص آخر، سيظهر (يوسف) الحقيقي قريبا، سيحتضنها وهو يقول إنه قد تم اختطافه بواسطة كائنات فضائية طوال السنوات السابقة.. نعم هذا أفضل كثيرا، الذي يبيت معها في البيت ليلا هو كائن فضائي ليس أكثر..

ابتسمت للفكرة، لماذا هي عبقرية دائما؟ كانت تقف في ركن بعيد من الصيدلية التي تملكها تتابع بشغف ما يفعله (صلاح)... كانت الصيدلية - والتي تقع أسفل البناية التي تقطن بها هي و(يوسف)- كبيرة نوعا، قام أبوها بشرائها لها منذ أن دخلت كلية الصيدلة الرقمية Digital Pharmacy، تخرجت لتجد مقر عملها موجودًا، لم تحتج إلى التفكير في ال " career path" كزملائها، ولا للبحث عن صيدلية توافق على أن تعمل فيها بأجر زهيد لتتعلم "الصنعة" بل وجدت كل شيء معد مسبقا... (يوسف) أيضا قام بشراء شقتهم في نفس البناية، هكذا لتصير حياتها حلم لكل النساء والرجال على حد سواء... ذلك العمل الذي لا تذهب إليه بمواصلات ويدر في نفس الوقت دخلا لا بأس به أبدا، ومع وجود زوج مثل (يوسف) لا يعبأ بما تكسبه هي صار يدخل جيبها أموال أكثر مما تحتاج إليه، فـ(يوسف) كان

صريحا معها منذ البداية في أن ما تكسبه من دخل يخصها وحدها ولا علاقة له به، ومن ثم أصبح لديها مهمة كبيرة تقع على عاتقها دائما... أن تصرف تلك الأموال لكي تصير أجمل، أكثر شهرة وأكثر سعادة بنفسها، باختصار أن تصير (ماهي) أكثر "ماهي" مما هي عليه الآن، وقد كان...

هي الآن ممن يطلقون عليهم **Influencers**، شديدة التأنق، لها متابعين بعدد وهمي، تستطيع أن تضع صورة لها وهي تتثاءب لتجد آلاف الإعجابات وتعليقات على غرار "متى سيمكنني أن أتثاءب برقة مثلك؟" أو "الجميل جميل حتى لو لسة قايم من السرير"، كانت ترى تلك التعليقات فتسعد، تزداد نشوة، غريزتها الأنثوية التواقة دائما للإحساس بأنوثتها تخبرها أنها على الطريق الصحيح...

متى بدأت علاقتها تسوء بـ(يوسف)؟ لا تذكر، كل ما تذكره أنه رويدا رويدا كانت الفجوة بينهما تتسع حتى صارت كفيلة بعبور خرتيت... يمر الوقت وتزداد أكثر أنوثة ويزداد هو أكثر كآبة... ليس مهندس روبوتات، هو ميكانيكي ليث أكثر، هذه الملابس ملابس ميكانيكي، هو يضحك كميكانيكي، حتى مزاحه، طريقته... عمله يجره معه إلى المزيد من اللامبالاة في مظهره وأسلوبه، منذ يومين رأت جارهم الموظف في ذلك البنك الشهير وهو يخرج من البناية صباحا ذاهبا إلى عمله، لماذا لا يبدو (يوسف) هكذا؟ حلة كاملة، نظارة شمس أنيقة، نظرة واثقة، رائحة عطرية رجالية جدا، مثيرة جدا، لماذا لا يعمل (يوسف) في شيء مماثل ويصير مثله؟

سرحت ببصرها لوهلة ثم عادت مرة أخرى تنظر لـ(صلاح)... صلاح كان أحد الصيادلة الذين يعملون معها في الصيدلية، هو و(لانا)، (صلاح) كان مختلفا، (صلاح) عبقري، (صلاح) وسيم، كان هذا كافيا تماما كي لا تنزل عينيها من عليه... كان ما يفعله (صلاح) الآن معقدا جدا، حتى في نظرها هي خريجة الصيدلة الرقمية... فمنذ فترة كفت الفيروسات والمكروبات عن كونهم لطفاء، تكفي عدة جرعات من الدواء للقضاء عليهم... صار تحور الميكروبات والفيروسات يحدث عدة مرات في الثانية الواحدة على حسب مناعة المريض وطبيعة جسده، مما جعل وجود دواء واحد لعلاج البرد مثلا لكل الناس شيء شبه مستحيل دون أخذ عينة من المريض ووضعها في الجهاز الخاص بإعداد الدواء وكتابة كود معقد بواسطة الصيدلي حسب التحور البيولوجي الخاص بالمريض نفسه، هكذا ليظهر ذلك العلم جديد الذي سمي بالصيدلة الرقمية، ويبدو مما يفعله (صلاح) الآن أنه صار واعدا جدا في هذا المجال...

أخذت تراقب أصابعه وهي تتنقل بسرعة بين أزرار لوحة المفاتيح الهولوجرامية الموصولة بذلك الجهاز الخاص بتركيب الدواء، لم تستطع منع نفسها من تأمل شعره الكستنائي وعضلة الباي-سيبس التي كانت تحاول تمزيق كُم ذلك التي شيرت الضيق الذي يرتديه والذي يظهر تحته جسدا رياضيا وبشرة برونزية بعض الشيء تشي بأوقات زائدة عن اللزوم قضاها صاحبها على شاطئ البحر أو في الجيم...

أخيرا أخذ (صلاح) نفسا عميقا وفرد ظهره وهو يرفع يديه لأعلى طالبا بعض الاستطالة لعضلاته وقال وهو يتابع الجهاز وهو يخلط السوائل الكيميائية لإعداد الدواء المطلوب:

- "الفيروس كان صعب المرة دي، معدل التحور بقى فظيع"

نظرت إلى عينية -الخضراء قليلا- مباشرة وقالت في دلال:

- "والله أنت اللي فظيع، (صلاح) أنت عملت الكود المرة دي In no time،لأ بجد good job الحقيقة"

- "ميرسي يا دكتور"

- "على إيه يا (صلاح)، أنت فعلا شاطر جدا "

سرح (صلاح) في عينيها لثوانٍ ثم أشاح بنظره تجاه الكاونتر ليجد (لانا) تنظر إليهما وقد رفعت حاجبيها وهي تتابع هذه اللقطة الرومانسية المشوهة مابين هذه المرأة الثلاثينية وذلك الشاب في أوائل العشرينات، وما أن نظر ناحيتها حتى أدارت نظرها إلى أحد الأدوية على الكاونتر وقطبت حاجبيها دليلا على التركيز العميق في زجاجة الدواء كأن بها شيء يتحرك...

استمر صلاح في النظر إلى (لانا) فأدارت (ماهي) نظرها إليها هي الأخرى وتأملتها في غيظ ثم نظرت لـ(صلاح) مرة أخرى وقالت في محاولة لجذب انتباهه:

- "(صلاح)، أنت بتروح الجيم بس، ولا بتلعب حاجة تانية؟"

- "لا جيم بس، كنت بالعب باسكت زمان بس بطلت بقالي كتير"

- "لأ بس واو بجد، أنا شايفة إن الجيم بس كفاية"

ابتسم (صلاح) مجاملا ونظر مرة أخرى إلى (لانا) التي استمرت في التركيز في نفس علبة الدواء وقد بدأت تهز قدمها في حركة عصبية وهي تمط زاوية فمها كناية عن السأم...

- "عارف يا (صلاح)، في مجموعة كده بنروح كل يوم جمعة نجري سوا، يعني، ستريتشز، اسكواتس، بنجري كام كيلو، وبنروح بعدها نقعد في كافيه عالبحر. إيه رأيك، تحب تيجي معانا؟"
- "ممم هو يوم الجمعة؟"
- "آه، ممكن أعدي عليك بالعربية لو عايز"

نظر إلى (لانا) التي تركت الآن محاولتها لإظهار عدم اكتراثها لما يحدث وباتت تتابع المشهد الآن وهي تسند ذقنها على يديها... نظر مرة أخرى إلى (ماهي) التي كانت نظرتها إليه الآن كفيلة بإقناع فيل بالقفز في نهر مليء بالتماسيح ثم قال دون أن تفارق عيناه عيناها:

- "آآآ ماشي، يوم الجمعة ده اللي هو بكرة، صح؟"
- "آه"
- "ممم طيب، خلاص، انتوا بتتقابلوا الساعة كام؟"
- "يعني، ٧:٣٠ بالكتير بنبقى هناك، ها، أعدي عليك على ٧:٠٠ كده؟"
- "لأ، أنا حاجي بالعربية علشان حيبقى عندي مشوار بعدها"

قطبت (ماهي) حاجبيها ورسمت على وجهها تكشيرة طفولية وقالت بدلال:

- "إيه ده، يعني مش حتيجي معانا الكافيه بعدها؟"

- "لأ ححح.. حاجي، بش مش حأقعد كتير"

نظرت (ماهي) إلى (لانا) التي لم تدر وجهها بل كانت تنظر تجاهها مباشرة ووجهها لا يحمل أي انفعالات، لم تكن (ماهي) تحبها أبدا ولكنها كانت والحق يقال تجيد ما تفعله هي الأخرى، استمرت أعينهما في التلاقي دون أن تشيح إحداهما بنظرها ثم قالت (ماهي) بهدوء مستفز:

- "تحبي تيجي معانا يا (لانا)، ولا مش فاضية يوم الجمعة؟"

ردت (لانا) دون أن تتغير النظرة على وجهها:

- "لأ، أنا بحب أصحى براحتي يوم الجمعة، مش طالبة فرهدة وعرق"

ألقت عليها (ماهي) نظرة كارهة ثم قالت وهي تنظر لـ(صلاح):

- "أنا حامشي دلوقتي بقى، ماتنساش بكرة، أوعى تروح عليك نومة، ولا أصحيك الصبح أول ما أصحى؟"

نظر صلاح مرة أخرى إلى (لانا) ثم إلى (ماهي) وقال وقد احمر وجهه:

- "لأ حاصحى بدري، ماتقلقيش"

- "أوك، يلا، see you"

وألقت نظرة أخيرة على (لانا) ثم أخذت حقيبتها وخرجت...

دار (صلاح) على عقبيه واتجه ناحية الكمبيوتر الخاص به فتحركت (لانا) من مكانها وقطعت عليه طريق الوصول ثم وقفت أمامه وعقدت ساعديها أمام صدرها وقالت وهي تنظر إلى عينيه مباشرة:

- "إيه إللي بيحصل ده؟"
- "هو إيه ده إللي بيحصل؟"
- "صلاح، (ماهي) دي متجوزة، وعندها بنت، أنت فاهم؟ ده غير إن إحنا حرفيا بنشتغل عندها"
- "أديكي قلتي بنفسك، بنشتغل عندها، عايزاني أعمل إيه يعني؟"
- "آه يعني أنت بتمشي حالك"
- "لانا، انتي عايزة إيه؟"

نظرت (لانا) في عينيه طويلا، كانت تعرف أن (صلاح) لا يعبأ بها ولا يعيرها أي اهتمام، هي بالنسبة إليه ليست سوى زميلة عمل ليس أكثر... كم كان هذا يقتلها، دائما ما تأتي إلى الصيدلية زبونة متأنقة، ودائما ما كان يقوم (صلاح) بالمزاح معها، ودائما ما تستجيب الزبونة طبعا، لا أحد يرفض (صلاح)... ذلك القوام الرياضي المفتول العضلات، وتلك الأعين الخضراء التي تبحث هي الأخرى عن الجمال كما يبحث الرجال جميعهم... لا يمكنك أن تطلق على (لانا) لفظ "جميلة" دون أن تشعر بوخز في ضميرك، لكنها

كانت عاقلة، وهي لعمري كفيلة لجعلها أجمل النساء، كانت بشوش، وهذا لعمري كاف في زمن تطور فيه النكد ليصير حرفة تصقل بالمران، لا يمكنك بأي حال من الأحوال أن تمل من وجودك مع (لانا)، لكن وجودها في حياتك -أيها الباحث عن الجمال- لن يخرج عن إطار كونها زميلة مفضلة، صديقة تحكي لها كم تحب تلك الفتاة الفاتنة... الزبونة تخرج ويتابعها صلاح بناظريه وهي تتمايل في محاولة ناجحة لجعل المشهد الذي يراه صلاح أكثر متعة ... آه يا صلاح لو عرفت ما أكنه لك... مرت برهة وهي تنظر لعينيه... ابتلعت ريقها بصوت مسموع وهي تبذل مجهودا إضافيا كي لا تعترف له بما تشعر به الآن...

- "صلاح، (ماهي) دِي..."

- "إحم"

انتفض كلاهما وهما ينظران إلى ذلك الرجل الذي كان بالفعل واقفا داخل الصيدلية ينظر إليهما نظرة متشككة، ابتعدت (لانا) عن (صلاح) وعادت إلى الكاونتر ووجهها يشبه الطماطم في لونه. نظر (صلاح) إلى الزبون وفي عينيه نظرة بلهاء وقال له في لهجة حاول أن يجعلها رسمية فبدت أكثر بلاهة من ابتسامته:

- "أهلا يا فندم، آآآ حضرتك معاك الروشتة؟"

❁ ❁ ❁

"٧"

المقهى مرة أخرى ...

لسبب ما بدأ (يوسف) يشعر أن هذا هو بيته الحقيقي، فيه يجد السكينة والراحة، وكل تلك الأشياء التي يفتقدها في بيته مع (ماهي) ... حتى بعد رحيلها إلى بيت أمها لا يزال يشعر بتلك الطاقة السلبية التي تغلف كل شيء في البيت...

وصل إلى المقهى بعد وصلة مشي دامت لساعة تقريبا، حاول فيها أن يفرغ ذلك الكم الهائل من الإحباط لعله يعود إلى البيت وقد خارت قواه فينام من شدة الإرهاق... لماذا بعد كل هذا الكم من التطور التكنولوجي لم يخترع أحدهم شيء ما يبدد الطاقة السلبية أو يمنعها؟ لماذا لا يجيد الانسان سوى ابتكار أشياء تؤول في النهاية إلى أن تصير نقمة؟ خذ عندك مثلا (ألكسندر جراهام بِل) مخترع التليفون، ذلك الجهاز الذي لا يرن إلا ويأتي بالمشاكل أو أعطال المصانع أو "هات معاك وأنت جاي"... كان يتمنى أن يكون (جراهام بل) على قيد الحياة الآن حتى يستقبل رسالة WhatsApp من زوجته تخبره فيها أن يحضر معه بعض البيض واللبن عند عودته إلى المنزل في نفس الوقت الذي يكون فيه متوقا لبعض الرومانسية!... أعتقد أنه كان سيتنازل عن براءة اختراعه ويعتذر للبشرية عن فعلته السوداء، لا

أحد يحب أن يحمل على كتفيه وزر تلك النوعية من الرسائل الجالبة للاكتئاب، لكن ذلك الأسكتلندي لم يكن يكترث كثيرا وقتها، فوالدته وزوجته صموتين، بل إنه اعتبر الهاتف متدخلا على عمله الحقيقي كعالم ورفض أن يكون له هاتفا في مكتبه!

اقترب من جهاز الاستقبال بالمقهى ونظر إليه وهو يحاول رسم ابتسامة على وجهه وقرب ساعته منه كالمعتاد:

- "مساء الفل، يا برنس"

- "مساء الفل، أخبارك إيه؟"

صمت الجهاز قليلا، ثم انبعث الصوت مرة أخرى يقول:

- "أنت أول مرة تسألني أخبارك إيه يا برنس"

- "معلش بقى كنت مقصر معاك"

- "قهوة حليب زي كل مره"

- "آه"

- "كباية زي كل مرة ولا فنجان؟"

- "كباية، مضبوط، وعايز مية لو سمحت"

صمت الجهاز هذه المرة مدة أطول ثم قال:

- "أنت كويس انهاردة يا برنس؟ طريقتك متغيرة يابن عمي"

- "عليا النعمة أنت بتحس أكتر من مراتي"

- "شكرا يا برنس، ليلتك فل إن شاء الله"

- "حبيبي"

ترك الجهاز واتجه إلى مكانه المفضل وهو رافع حاجبيه وعلى وجهه ابتسامة عجيبة...

- "الله يخربيتك يا (ماهي)، أنا بقيت بحب الكلام مع البتاع ده أكتر منك يا بعيدة"

جلس وانتظر حتى وضع ذلك الذراع المعدني كوب القهوة أمامه ثم أخذ منها رشفة ليجد أن مذاقها أفضل كثيرا عن المرة السابقة. يبدو أنه حتى الأجهزة تحتاج إلى الكلمة الطيبة حتى تصنع لك شيئا ما بنفس راضية...

كان ينتظر قدوم (وليد)، تعودا أن يتقابلا في هذه المقهى حتى صارت هي عالمهما المشترك، يذهبا كل إلى عمله ويعودا ليفرغا شحنتيهما في سيل من الدعابات عن كل شيء حتى يشعرا بالملل فيتفارقا ويذهبا كل إلى بيته أفضل حالا... رائعة هي نعمة الصداقة... فقط إن وجدت ذلك الصديق الحقيقي، وهو ما يحدث كل سنة ضوئية ...

أخذ يتأمل الجالسين كنوع من التسلية، حتى توقف نظره على أحد الجالسين كبار السن ممن يراهم دوما في المقهى، لابد وأنه على المعاش، لو صح استنتاجه فهو في منتصف الستينات على الأقل. كان وجهه عبوس وهو

يتابع تلك الجريدة الإلكترونية التي كانت تظهر على الشاشة التي أمامه، وكأنما شعر بنظرات (يوسف) إليه، التفت الرجل ناحية (يوسف) ليجد (يوسف) ينظر إليه مباشرة. ارتبك (يوسف) وفكر في أن يدير رأسه متحججا بشرود الذهن ولكنه وجد نفسه يبتسم للعجوز نفس الابتسامة البلهاء ويهز رأسه محييا إياه فنظر إليه العجوز برهة دون أن تتغير ملامح وجهه العبوس مما جعل وجه (يوسف) يحمر بشدة وبدأت قطرات العرق تعلو جبينه كعادته كلما أحرجه شخص ما ثم تفتق وجه العجوز عن ابتسامة وقور وقال وهو يرفع يديه بالتحية إلى (يوسف):

- "أهلا بالشباب الجميل"

اتسعت ابتسامة (يوسف) البلهاء، لم يكن ينوي أن يفتح حوارا مع العجوز على أي حال ولكن فضوله هو ما وضعه في هذا المأزق. فليكمل التجربة للنهاية إذن...

- "أهلا بحضرتك"

- "وشكم حلو يا شباب، أخبار كويسة كنت لسه بقراها، (بلاتو) باذن الله حيكسب"

استمرت نفس الابتسامة البلهاء على وجهه وهو لا يعرف كيف يرد ثم أشار بيديه إشارة غير ذات معنى وقال للعجوز:

- "آآآآ كويس"

- "لأ، متقوليش انك مش متابع الدعايا الانتخابية"

لم يرد (يوسف) وإنما رفع يديه ليشير إلى اللافتة فوق المقهى...

- "لأ، مش قصدي على الحاجات دي، دي مجرد تعبير عن حب الناس لـ(بلاتو)، أنا قصدي على المؤشرات بتاعة المحافظات، الناس عايزاه، الشعب عايزه يكمل"

أشار (يوسف) بيديه إشارة تحمل الكثير من "يكش تولع" فأدار العجوز جزعه ليواجه (يوسف) مباشرة. من الواضح أن عدم اكتراث (يوسف) قد أثاره بشدة، ثم قال بلهجه بدأت تحمل بعض العصبية:

- "أنت شكلك مش مهتم فعلا، دي يابني مصلحة بلدك"

لم يرد (يوسف) أيضا واكتفى بالنظر إلى العجوز نظرة بلاستيكية لا تحمل أية مشاعر لعله يشعر بالإحراج ويصمت.

- "شكلك مش حتنزل الانتخابات، والله الواحد بيستغرب من الشباب اللي مش خايف على مصلحة بلده دول"

وضع (يوسف) كوب القهوة وقال بعصبية وقد استطاع العجوز أن يفسد محاولته للظهور بمظهر الشاب المحترم:

- "بص حضرتك، هي كده كده بايظة"
- "بايظه، ماانتو مش شايفين حاجة"
- "طيب مادام احنا مش شايفين حاجة، بتسألني رأيي ليه؟"
- "يابني أنا عايزكو تبقوا إيجابيين"

- "عمي، انت عدى عليك كام رئيس؟"

- "كتير، بس (بلاتو) أحسنهم طبعا"

- "كنتوا بتقولوا كده على اللي قبليه واللي قبليه"

- "لأ طبعا"

- "أنت شايف يا عمي ان في حاجة اتغيرت؟"

- "أنت مش شايف الانجازات؟ القهوة الاكتروني اللي أنت قاعد فيها دي أكبر دليل على الانجازات"

- "قهوة الكتروني ايه بس يا عمي؟ بص حواليك كدة، كل حاجة زي ما هيه، نفس الفساد، نفس الجهل، حتى لما قلنا رئيس روبوت وحيظبط الدنيا جالنا (بلاتو) ده اللي مش عارف مين ابن الفاسدة ده اللي كاتب البرنامج بتاعه"

- "أهو ده اللي بناخده من الشباب، هزار وتقليس على أي حاجة، حتى لو كان رئيس بلدك"

- "يا عمي ده روبوت، عارف يعني إيه روبوت؟ يعني حتى مش حنقول بيشرب ميه معدنية ومودي عياله مدارس انترناشيونال، لأ ده فاسد بلا هدف، مش مستبعد إن إللي عامل البرنامج بتاعه يبقى مظبط مع أي رجل أعمال من بتوع الحكومة"

- "أنا مسمحلكش تتكلم على ممثل الدولة كدة"

- "ولا تسمح، أنا كده كده ماشي، استمتع بقى يا عمي بالانجازات"

قالها وقام واقفا ثم اتجه إلى الباب وسط نظرات كل الجالسين بالمقهى، وصل إلى الباب فأصدر جهاز الاستقبال أزيزا وخرج الصوت يقول:

- "اعتبره أبوك يا أخي!"

توقف (يوسف) ونظر إلى الجهاز باستغراب لثواني، ثم هز رأسه ومشى وهو يلعن اليوم الذي أتى فيه إلى ذلك المقهى اللعين. نظر في ساعته التي قاربت على الثامنة مساء ورفع رأسه وهو يتساءل: ترى أين (وليد) الآن؟

* * *

مشى تجاه المنزل وهو يتمنى أن يأتيه النوم دون تلك الساعات الطويلة من النظر للسقف وهو في الفراش... نقاشه مع ذلك العجوز رفع ضغطه بشدة وقلل فرص النوم السريع إلى النصف تقريبا... ذكره ذلك النقاش بوالده... كان والده قد حكى له أن والده -جد (يوسف)- كان يحدثه دائما عن إنجازات الرئيس الذي حكم مصر في أيامه مع إنه -على حد قول أباه- كان أداؤه سيئًا بشكل ملحوظ. حكى له أيضا كم المرات التي تناقش فيها مع أبيه -جد (يوسف)- في ذلك الموضوع وقال له أن تلك النقاشات كانت تنتهي في كل مرة بوصفه بأنه غير مسؤول وأن سنه الصغيرة تمنعه من رؤية المشهد بشكل جيد... الطريف أنه عندما قال (يوسف) وقتها لأبيه أنه غير

راض تماما عن أداء (بلاتو) انتهى النقاش بينهما على أن (يوسف) شخص غير مسؤول وسنه الصغيرة تمنعه من رؤية المشهد بشكل جيد! ... يبدو أن رؤية المشهد بشكل جيد تحتاج إلى بصيرة معينة لا تظهر إلا بعد سن معين...

وصل إلى شقته وفتح الباب، (ماهي) غير موجودة، زينة غير موجودة، هذا جميل، لا يحتاج الآن إلى المزيد من الطاقة السلبية التي تنتشر في المكان الذي تتواجد فيه (ماهي) كأنها نوع من المواد المشعة...

وعلى ذلك الكرسي المفضل بجانب الشرفة جلس ورفع قدماه على الكرسي المقابل ووضع سبابته على شاشة ساعته فظهرت القائمة الهولوجرامية على زجاج نظارته، اختار منها الفيسبوك بالطبع... جده وأبوه أخبراه كم أدمنا الفيسبوك عندما كانا في مثل عمره ونصحاه كثيرا ألا يمضي في تصفحه وقتا كثيرا... العجيب أنه كلما دخل وجد أباه online، لابد أن هناك عادة فرعونية قديمة تنص على أن ننصح أبنائنا بألا يفعلوا شيء ما حتى لو كنا من مدمني هذا الشيء...

الجميل أن (سارة) كانت online...

(سارة) في بيتها الآن، تستمع إلى Walkin' After Midnight ل تلك المغنية العتيقة "Madeleine Peyroux". وتشعر بالغربة، جميل هو شعور أن تستحم في صالة بيتكم هذا، كل ما تفعله الآن يعرفه من ليدك في قائمى الأصدقاء.. لابد أن مخترع الفيسبوك فخور في قبره لما آل إليه اختراعه...

اقتربت يده من صورتها، ثم توقفت وتراجعت وضمها (يوسف) ووضعها على أنفه... دقيقة كاملة مرت وهو على هذا الوضع ثم قرر أخيرا وضغط على صورتها فتجسدت شاشة الشات الهولوجرامية أمامه وكتب "إزيك" تتبعها ابتسامة الشات السخيفة ثم تسمرت عينية على الشاشة وهو يلعن نفسه في سره...

(سارة) تكتب الآن... تباً... ماذا فعلت أيها التعس؟

- "تمام"

تردد قليلا ثم كتب:

- "لقيتك online وتشعرين بالغربة وكده"

- "لأ عادي، دي حركات بس، أنا كويسة"

هل يتمادى؟ ...

- "طب كويس، أصل بقالك فترة شكلك متغير فقلت أسألك"

- "متغير ازاي؟"

- "يعني، حاسس إنك بتضحكي، بتبتسمي بس جواكي حاجة تانية، زي ما تكوني حاطة screen saver"

لم ترد (سارة)... هنيئا لك أيها المغفل، لقد نجحت في إخافتها... دقيقتان مرت، فكر في اعتذار مناسب وشرع في كتابته ليجد أن (سارة) تكتب هي الأخرى... توقف عن الكتابة وهو يتوقع رسالة من نوعية "حضرتك عايز ايه

يا باشمهندس (يوسف)"، اللهجة الرسمية تكون عادة أكثر إهانة من السباب... أنت تناسيت نفسك وتباسطت معي، فلأذكرنك بالطريقة التي يجب أن تتحدث بها أيها المتحرش... أخيرا ظهرت رسالة (سارة)...

- "هو باين عليا للدرجة دي؟"

ماذا يحدث؟ ... فكر قليلا ثم كتب:

- "يعني، على الأقل أنا أخدت بالي"

- "أصل المفروض ماحدش ياخد باله، المفروض ال screen saver ما يبينش حاجة"

(سارة) لازالت تكتب... ضربات قلب (يوسف) تسرع...

- "أنت عارف إن أنت الوحيد اللي أخدت بالك؟"

تبا... (سارة) تستمر في الكتابة...

- "كل الناس مش واخده بالها، كل الناس شايفاني بهزر، بضحك، حتى أختي، أختي اللي معايا في البيت، أنت متخيل؟"

لابد أنها تسمع صوت ضربات قلبه الآن حيث تجلس... انتظر قليلا ثم قرر أن يفعلها...

- "(سارة)، لو عايزه تحكي أنا حسمعك، لو عايزة يعني"

- "لأ عايزه"

كان رد (سارة) شبه فوري... وها هي تكتب مرة أخرى...

- "(يوسف)، أنا خلاص، بقيت حاسة إني عايشة علشان أخلص المدة اللي فضلالي، طريق لازم أمشيه فحمشيه، مش مستنية حاجة تحصل، المهم الطريق يخلص"

ماذا تفعل أيها التعس؟ لا ينبغي أن تعرف تلك المعلومات... (سارة) زميلتك في العمل، ليس إلا، توقف الآن... لكنه لم يعد يسيطر على يديه اللتين كانتا تتلقيان أوامر من قلبه مباشرة الآن دون أخذ موافقة من عقله...

- "عارفة يا (سارة)، أنا علطول باخد بالي إنك بتتكلمي ب symbolism، زي ماتكوني بتبعتي رسايل مشفرة علشان تقولي انتي حاسة بإيه والمفروض ماحدش يفهمها غير اللي فاهم ال symbolism ده"
- "المفروض ما حدش يفهمها أصلا، أنا ساعات كتير بكتب لنفسي، بكلم نفسي عن طريق الفيسبوك"
- "(سارة)، انتي كنتي بتحبي حد؟"
- "كنت بحبه زي مايكون ابني، كنت حافظة كل ريأكشناته، عارفه بيحب إيه ومابيحبش إيه، كان ليا، وكنت ليه، وكان المفروض إنه ليا"
- "خانك؟"
- "عارف يا (يوسف)، أنا صاحبتي الانتيم قالتلي إني لما بحب ببقى عاملة زي المِعزة الصغيرة كده، بقعد أتنطط وأنا ماشيه وراه زي الهبلة"

- "(يوسف)، أنا كنت حستناه، جه كلم بابا، قعد معاه، اتفقوا حتى على معاد الفرح. أنا شقتي كانت اتشطبت يا (يوسف)"
- "واكتشفتي إنه بيخونك إمتى؟"
- "قبل الفرح اكتشف إن عنده cancer في الغده النخامية، مرحلة متأخرة، الوقت اللي كنا المفروض نقعد فيه مع بعض علشان نجهز نفسنا للجواز بقيت بقعد مع حد بيموت وحياخد معاه كل حاجة، مشاعري، أحلامي، أنا مع كل زيارة ليه كنت بحس إنه بياخد حتة معاه وهو ماشي"
- "الموضوع ده بقاله قد إيه؟"
- "كنت لسه عنده امبارح، حالته بقت ماتتوصفش"
- "(سارة)، أنا آسف، أنا مش عارف أقولك إيه"
- "ماتقولش حاجة، أنا متعايشة، حاسة إني بَفَرَّحُه، على الأقل بعمل له حاجة"
- "(سارة) انتي مختلفة"
- "ليه بتقول كده؟ ليه بتقول إني مختلفة يا (يوسف)؟"
- "لأنك كده يا (سارة)، أي واحدة تعدي باللي انتي عدتيه وماحدش يحس بانها شايلة كل ده جواها تبقى مش عادية، sophisticated، انتي sophisticated يا سارة"

- ""ولا sophisticated ولا حاجة، أنا متعايشة، بضحك، باشتغل، لو ماعملتش كدا حموت... سيبك يا (يوسف)، أنت سايبني أحكي عنِّي وبس"
- "وإيه المشكلة"
- "أنا عايزاك أنت كمان تحكي"
- "أنا أكيد مشاكلي بالنسبة للي عندك ده ولا حاجة"
- "طيب بالنسبة ليك أنت و(ماهي)؟"
- "مالنا؟"
- "(يوسف)، أنت بيبان عليك إنك مش مبسوط"
- "معلش، أصلي مش sophisticated زي حضرتك"
- "معلش، ربنا يكرمك إن شاء الله وتبقى sophisticated قد الدنيا"
- "عشتي"
- "☺"
- "أنت إيه مشكلتك مع (ماهي)؟"
- "ببساطة أنا اخترت غلط يا (سارة)"
- "إزاي؟"

- "ماهي جميلة يا (سارة)، جميلة زيادة عن اللزوم الحقيقة"

- "ممم فهمت"

- "فهمتي إيه؟"

- "بدام جميلة قوي كدة يبقى أكيد دماغها على قدها، مش كده؟"

- "أنا أعرف سلاحف كتير أذكى منها يا (سارة)"

- "حرام عليك، ما تقولش كدة"

- "الموضوع أكبر من كده... (ماهي) يهمها تبقى حلوة، بس مش عشاني، عشانها، هي عايزة تبان حلوة، عايزة الناس تبصلها وتقول شايفين القمر؟"

- "وأنت راضي بالكلام ده؟"

- "انتي جيتي عالجرح، أنا مش عارف إيه اللي أنا عملته في نفسي ده. أنا مراتي بتلبس حلو علشان الناس تقول عليها جميلة. أنا فخور بنفسي الحقيقة"

- "طب انت حتفضل فخور بنفسك كتير؟ أصل كده مش صح يا (يوسف)"

- "فيه (زينة) يا (سارة)"

- "أنا مش بقولك سيبها، أنا بقولك لازم تقف قدامها، تقولها إن كده غلط، تبقى جوزها بجد يا (يوسف)"

- "أنا عارفة إني كلامي تقيل وغلس، أنا آسفة، المفروض ماكنتش أتدخل"

- "لأ يا (سارة)، انتي عندك حق، انتي زي ما قولت عنك بالضبط، sophisticated"

- "أنت عارف إن احنا بقالنا كتير قوي بنتكلم؟"

- "فعلا"

- "شكرا"

- "على إيه يا (سارة)؟"

- "على إنك كدة، على إنك مش زي الباقي"

- "بص، معلش، أنا لازم أمشي دلوقتي... نتكلم بعدين، أوك؟"

- "ماشي... تصبحين على خير أيتها الفتاة الجميلة"

- "أنا ماحدش عمره قالي أيتها الفتاة الجميلة دي خالص قبل كده. (يوسف)، ادخل نام، تصبح على خير"

- "(سارة)، لو في أي وقت حبيتي تتكلمي، تحكي، أنا موجود، هنا، إحكيلي"

- "تصبح على خير"

- "sweet dreams sophisticated lady"

- "☺"

استمر (يوسف) في التحديق في الشاشة لبعض الوقت... لقد تحدث مع (سارة)... لقد حكت له، لقد فهمها، هي sophisticated، هو سعيد... رفع عينيه وقد تذكر أنه يجلس الآن في غرفته هو و(ماهي)... (ماهي)... لا يعتقد أنه يستطيع أن يتصورها تنام بجواره الآن، (سارة) أمامه الآن، تقول له "تصبح على خير وتستعد للنوم بجانبه، نفض الفكرة عن خياله وهو يحاول إبعاد صورة (سارة) من مخيلته، فلتحتفظ ببعض من مبادئك أيها التعس، (سارة) ليست لك، هي حلم ليس أكثر، حلم يتكسر على هذا الفراش الذي يرقد أمامه بمجرد أن تفترشه (ماهي) وهي تقول له "تصبح على خير"...

"٨"

لا يزال الوقت مبكرا جدا للنوم...

لم يأتيه النعاس كما توقع، ظل يقرأ محادثته مع (سارة) عدة مرات وهو يرسم بخياله أحلام وردية تتكسر على شواطئ عقله الباطن حتى شعر أنه بدأ يُجَن... يجب أن يتحدث مع شخص ما، يجب أن تتحول هذه الأفكار إلى كلمات ثم تصب في أذن أحدهم حتى يستعيد صفاء ذهنه مرة أخرى... ضغط على ساعته وطلب رقم (وليد) وانتظر قليلا... هاتفه مغلق، كانت فكرة أن الهاتف مغلق نفسها عجيبة، فالبطاريات التي يتم شحنها كل عشر سنوات جعلت فكرة أن يغلق أحدهم الهاتف مستبعدة تماما، نظر إلى ساعته مرة أخرى، ترى ماذا يفعل ذلك المعتوه الآن؟

ظل على نفس الوضع برهة من الزمن ثم قرر أخيرا ما سيفعله... اتجه بخطوات سريعة إلى الباب ولم تمض دقيقة حتى كان ينطلق بسيارته ...

كان الزحام قد بدأ يهدأ في ذلك الوقت من أواخر فصل الشتاء فلم يحتاج إلى أكثر من الربع ساعة ليصل إلى منطقة سموحة حيث يسكن (وليد). بحث قليلا حتى وجد مكان لسيارته بالقرب من المنزل ثم طلب من السيارة أن تطفئ ماتورها وارتجل منها واتجه إلى ناطحة السحاب التي يقطن بها (وليد).

لم يكن البواب موجودا لذا استقل المصعد الهوائي وصعد للطابق المائة والعشرين ثم اتجه لشقة (وليد) وضرب الجرس وانتظر فلم يرد أحد. أعاد الكرة مرة أخرى، ولم يتلقى رد أيضا. كان (وليد) قد أرغمه على تسجيل بصمة إبهامه في القفل الخاص بباب شقته بعد رحيل أبويه رغم رفض (يوسف) لهذا، قال له أنه سيحتاج يوما ما إلى الدخول دون كسر قفل الشقة حيث سيشتكي الجيران من الرائحة العفنة التي تخرج من شقته فيفتح (يوسف) ليجده قد مات منذ شهرين على الأقل دون أن يشعر به أحد سوى عن طريق الرائحة، كان دائما يتحدث عن موته بسخرية، قال أنه سيموت ميتة تافهة، سيُحشر جزء من الطعام في حلقه وهو يأكل، سيموت من السأم وهو يراجع أحد التقارير الخاصة بالعمل، المهم أنها ستكون ميتة لن يفخر بها بالتأكيد، من الجيد أنه لم يحضر إلى العالم بعض الأولاد حتى لا يعايرهم أحدهم بميتة أبيهم التافهة تلك ...

ابتسم (يوسف) للذكرى، من النادر أن يحصل على صديق مثل (وليد) في هذه الأيام، جرب الجرس مرة ثانية ثم حاول الاتصال بـ(وليد) مرة أخرى، نفس الشيء، وقف مكانه قليلا لا يدري ماذا يفعل، ثم اتخذ قراره أخيرا وقام بوضع إبهامه على المكان الخاص به على القفل بجوار الباب، ثواني قليلة وانفتح القفل، فدفع الباب لينفرج قليلا... حاول أن يرى شيئا من تلك الفرجة في الباب لكنه لم يستطع. دفع الباب مرة أخرى لينفتح على مصراعيه...

الشقة مظلمة تماما، غريب هذا، (وليد) كان يترك أضواء البيت كله مضاءة ويدفع فاتورة الكهرباء الباهظة بنفس راضية حتى لا يعود ليجد الشقة تسبح في الظلام، لابد وأنه في الداخل، لابد وأنه قد سأم دفع تلك الفواتير أو أراد النوم بهدوء، سيدخل الآن ليجده نائما، سيقترب منه بهدوء ويضع فمه بجوار أذنه ويصرخ "تووووت" عالية.

ابتسم للفكرة، هو مراهق صغير ليس إلا، سيجن جنون (وليد)، سيطرده من الشقة مع كثير من السب والحلفان بقطع كل صلته به، لكن كل هذا سيذهب بعد أول جلسة لهم على المقهى، لكن التجربة قطعا تستحق.

مشى على أطراف أصابعه تجاه غرفة (وليد)، وفجأة ارتطمت ساقه بشيء ما في الظلام وكاد أن يقع لكنه تماسك في اللحظة الأخيرة، نظر للأسفل في محاولة لاستبيان ذلك للشيء الذي ارتطم به في الظلام وهو ينثني ليمسك بساقه التي باتت تؤلمه الآن بشدة... هذا كرسي من كراسي السفرة لكنه ملقى على الأرض، أدار (يوسف) عينية -التي قد بدأت تتكيف مع الظلام- في أرجاء الشقة وبدأ يرى أشياء غريبة... هو قد دخل شقة (وليد) كثيرا بحكم صداقتهما، لا يحتاج إلى أنوار ليعرف أنه لا يوجد شيء في الصالة في موضعه، الكراسي، المناضد، بدأ القلق يسري في نفسه وتلفت حوله لعله يلمح شيئا آخر في الظلام، فكر أن يوقد أنوار الصالة لكن شيء ما بداخله جعله يتراجع عن هذا، هو أكثر أمانا في الظلام، لحسن الحظ لم

يصدر ارتطامه بالكرسي صوت ملحوظ، لذا استمر في اتجاهه ناحية حجرة (وليد) وقد بدأ قلبه ينبض بعنف...

كان قد وصل إلى الطرقة المؤدية إلى غرف النوم، غرفة (وليد) توجد في نهاية الطرقة والغرفتين الأخريين توجدان على جانبي الممر، واحدة بعد الأخرى ثم الحمام قبل نهاية الطرقة ثم حجرة (وليد) في نهايتها في المقابل، أبواب الغرف كلها كانت مفتوحة، لم تكن الصالة وحدها هي ما تم انتهاكها، وصل إلى الحمام وهو يتجه لغرفة (وليد) ليجد أن قدميه قد وطئتا شيئا سائلا لتصدر صوت مثل صوت مرورك ببركة مياه ضحلة في الشارع... نظر إلى قدميه، كان هناك بعض الضوء يأتي الآن من الخارج من خلال نوافذ الغرف، هل هو يتوهم أم أن ما يقف فيه الآن هو بركة من الدماء؟ استمر في التحديق في ذلك السائل الذي يقف فيه وقد زادت سرعة ضربات قلبه حتى صار يشعر بكل نبضة في جانب رأسه، رفع رأسه إلى الباب الشبه مغلق ورأى بقع داكنة تلوثه، لابد أنها آثار دماء، مد يدا مرتجفة ثم تراجع وقد فقد السيطرة تماما عليها، تسمر مكانه لا يدري ماذا يفعل ثم استجمع ما تبقى لديه من شجاعة وقام بدفع الباب مرة واحدة ...

كان ما يراه الآن أمامه أكبر من قدرته على التصديق، كان (وليد) -أو ما تبقى منه- ملقى على أرض الحمام، جزعه مفصول من أعلى الحوض ونصفه الأسفل يبعد قليلا عن النصف الأعلى في حين تتدلى الأحشاء من

بطنه المبقورة على الأرض ... كانت ذراعه اليمنى ملقاة بجانب حوض الاستحمام في حين كانت الذراع اليسرى في مكانها ولكن بلا يد، حيث استقرت اليد عند زاوية الحمام، النصف الأسفل من فك (وليد) كان غير موجود وبدت أسنانه العليا وسقف حلقه واضحان فيما كانت عيناه الملوثتان بالدماء تنظران إلى السقف ... كانت الرائحة لا توصف، رائحة فضلات مختلطة برائحة الدم في مزيج لا يمكن تحمله...

استمر (يوسف) في التحديق فيما يراه رغما عنه وقد فقد القدرة على جسده تماما الآن، كانت ساقه قد بدأت تهتز بشكل لا إرادي، وبدون سابق إنذار وجد نفسه ينثني ليفرغ ما في معدته، لم تستطع قدماه حمله فسند على يديه وركبتيه حتى لم يبق شيء في معدته ليخرجه، هدأ قليلا فرفع ظهره ورفع يديه ليجدها ملوثة تماما بالدماء، لم يستطع النظر إلى وجه (وليد) مرة أخرى فأدار وجهه وتحامل حتى وقف واستند على الباب...

أراد أن يفكر، أراد أن يعرف ماذا يفعل، هل هو يتخيل؟ هل هو تحت تأثير عقار ما؟ ربما القهوة التي شربها في المقهى؟ نعم هي القهوة، لا يمكن أن يكون هذا حقيقيا، لا يمكن أن يموت (وليد) بهذه الطريقة البشعة، أغمض عينيه وهو يحاول أن يأخذ أنفاسا أعمق، بدأ يستجمع نفسه قليلا وبدأ تفكيره يعمل رغما عنه، من فعل هذا لا يمكن أن يكون آدميا، لا توجد قوة آدمية قادرة على فعل ذلك الهول الذي يراه أمامه الآن...

ثم سمع ذلك الصوت فأجفل ... هناك شيء ما يتحرك في الخارج...

القاتل لم يغادر الشقة بعد...

تحامل (يوسف) ووقف على قدميه وهو يحاول ألا يصدر أي صوت... ظل على هذا الحال بعض الوقت وهو يطرق السمع حتى سمع الصوت مرة أخرى...

الصوت قادم من الجهة الأخرى من الشقة...

كانت منزل (وليد) عبارة عن شقتين متجاورتين تم ضمهما إلى بعضهما البعض، قبل وفاة والديه كانا يمكثان في الجهة الأخرى ويتركان له هذه الجهة تماما، وبعد وفاتهما ترك (وليد) كل شيء كما هو ولم يذهب إلى هناك إلا فيما ندر.. يبدو أن القاتل قد ذهب إلى الناحية الأخرى لسبب ما... يجب أن يترك الشقة حالا، فمن مثَّل بـ(وليد) بهذا الشكل لن يمكن لـ(يوسف) بأي شكل من الأشكال مقاومته...

كان (يوسف) في حالة نفسية يرثى لها الآن، صديقه مقتول بأشنع الطرق وهو يحاول فقط الفرار بنفسه من القاتل، مشى (يوسف) على أطراف أصابعه وهو يرتجف، قلبه يكاد يتوقف وقد حققت عدد دقاته رقم قياسي جديد، غادر الحمام ومشى في الطرقة، الصوت يعلو الآن، صوت من ينبش في شيء ما، هذا القاتل أتى ليبحث عن شيء ما في شقة (وليد)، لكن لماذا؟ (وليد) لا يمتلك أي شيء يريده أي إنسان، يجب أن تمضي معه يوم واحد في هذا المنزل الكئيب حتى ترثى لحاله... ثم تذكر أن من قتله بهذه الطريقة لا

يمكن أن يكون آدميا بأي حال من الأحوال، خرج إلى الصالة الآن، نظر إلى يمينه تجاه ذلك الباب الذي يفصل الشقتين عن بعضهما...

ثم رآه...

كان يبدو آدميا من على هذا البعد فيما عدا أنه كان يرفع قطع من الأثاث باليد الواحدة ويناهز المترين طولا بينما تصدر عيناه ضوء أبيض يضيء ما أمامه وكان يرتدي ذلك الزي المميز الذي لا يمكن أن تخطئه عينان...

زي قوات الأمن المصرية...

تسمرت عيناه على هذا الشيء وتوقف جسده عن الحركة تماما رغما عنه... لقد تذكر الآن أين رأى هذا الشيء من قبل... كانت إحدى الفيديوهات التي انتشرت على اليوتيوب منذ فترة لروبوت يصد هجمة من فهد، كان فيديو أجنبيا وكان عبارة عن تجربة لقوة هذه الروبوتات المستخدمة في حفظ الأمن. لن ينمحي مظهر الفهد الممزق من ذاكرته، كان من الممكن أن يكتفي بقتله، فارق القوة رهيب، لكن شيء ما في برنامجه جعله يفعل هذا، الأمر أشبه باستعراض قوة، كانت رسالة، إذا تحديت قوات الأمن التي تمتلك مثل هذا الروبوت فهذا سيكون مصيرك، عندما رأى الفيديو ساعتها كان كل ما تمناه هو ألا يسوقه القدر لمقابلة أيا من تلك الروبوتات، وكان هذا الغرض بالضبط وقتها من تسريب الفيديو، تم نشر

اعتذار بعدها وقيل شيئا ما عن أنها تجربة لم يتم السيطرة عليها ولكن كان هذا بعد أن وصلت الرسالة للجميع: سيكون هذا مصير من يقابل مثل هذا الروبوت، وليكون الفهد عبرة لمن يعتبر...

وها هو الآن تفصله أمتار قليلة عن هذا الشيء بالذات...

قوات حفظ الأمن هي من قتل (وليد)؟! ... فليهرب أولا ثم ليسأل الأسئلة فيما بعد. كانت المشكلة الآن في كيفية الخروج من الشقة، لا يعرف كيف لم يلحظ هذا الروبوت دخوله إلى الشقة، لابد وأنه كان في نهاية الجهة الأخرى يبحث عما يبحث عنه، الآن هو في مقابل الباب الفاصل بين الشقتين ويمكنه بكل سهولة أن يرى باب الشقة... ظل متسمرا مكانه لا يدري ماذا يفعل...

ثم تحرك الروبوت...

ارتعد (يوسف)، ثم رأى أن الروبوت قد تحرك لداخل الشقة الأخرى واختفى من أمام نظره، تسارعت ضربات قلب (يوسف) كأكثر ما يكون، إما الآن أو لا، وبساقين كالصلصال المرن اتجه (يوسف) إلى الباب، كان ينظر خلفه كل خطوتين ليرى إن كان الروبوت قد عاد في مواجهة الباب أم لا، وهو يتحاشى أن يرتطم بشيء من قطع الأثاث المتناثرة وشعر أن قلبه على وشك أن يتوقف.. وصل أخيرا إلى الباب، امتدت يده إلى المقبض ثم توقفت عندما سمع صوتا عاليا يأتي من الناحية الأخرى من الشقة...

ارتجف جسده بالكامل، إنها النهاية إذن، لم يتحرك وانتظر من سيأتي ليفتك به، ظل على هذا الوضع بضع ثواني ولم يحدث شيء، نظر للوراء ببطء وهو يرتجف فلم يجد شيء، يبدو أن الروبوت قد أوقع شيئا ما فأصدر هذا الصوت العالي، وبسرعة، امتدت يده إلى المقبض ووضع يده على منتصفه فأصدر اللسان تكة خفيفة سحب الباب بهدوء وهو يدعو الله ألا يصدر صوتا هو الآخر ثم خرج وأغلق الباب خلفه بهدوء ويده ترتجف أكثر فأكثر...

هو الآن خارج الشقة...

فكر في الهبوط باستخدام السلم لكنه يتحدث عن مائة وعشرون طابقا، اتجه للمصعد بسرعة وهو ينظر لباب الشقة كل ثانيتين ويتوقع أن يفتحه الروبوت الآن، عشر ثواني مرت كالدهر حتى وصل المصعد. استقله (يوسف) وما أن انغلق المصعد حتى عاد (يوسف) يتنفس مرة أخرى... نظر إلى نفسه في المرآة، كان يبدو في حاله يرثى لها، قميصه عليه بقعا من الدماء والقيء، وجهه كان كافيا لأن يلقي أول شرطي يراه القبض عليه، هذا الوجه فعل شيء ما لتوه، هذا وجه رجل يشعر بالذنب...

"٩"

انطلق (يوسف) بسيارته على غير هدى، كانت معجزة ألا يوجد أحد في هذا الوقت، لا البواب ولا واحدا من السكان المارين بالصدفة، حتى الشارع كان خاليا، يبدو أن الجميع يستعدون للامتحانات لحسن حظه...

لم يكن يعرف أين يذهب، كان هدفه أن يبتعد عن المكان بأقصى سرعة، كان يشعر أنه لم يبق لديه قدرة على التفكير، غريزة البقاء هي ما تحركه الآن... ملابسه متسخة، ويداه كذلك، لا يمكن أن يراه أيا من كان على هذا الوضع، سيحتاج حتما إلى تغيير ملابسه، على الأقل إلى أن يصل إلى البيت... كان يحتفظ دائما بقميص وبنطال وحذاء رياضي في حقيبة السيارة تحسبا أن تتسخ ملابسه في العمل، أخذ يمسح المنطقة بعينيه حتى لمح ركنا مظلما من الشارع فمال بالسيارة إلى اليمين وأوقفها بمحاذاة الرصيف...

ترجل من السيارة وهو ينظر حوله ليتأكد أن أحدا لا يراه، ثم دار حول السيارة وفتح الحقيبة وأخرج منها زجاجة مياه وشرع يصب الماء على يده وهو يفركها باليد الأخرى محاولا إزالة ما علق بها من دماء وقيء غير مبال بالماء الذي أخذ يبلل بنطاله وحذاءه. لقد تقيأ بجانب الجثة، لو كان ما استنتجه صحيحا وقوات حفظ الأمن هي من فعل هذا -لسبب لا يعرفه-

فسيحتاجون حتما إلى من "يلبس" القضية ليبدو كل شيء على ما يرام، وليس هناك أفضل بالتأكيد من الأصدقاء ليقتل أحدهم الآخر، ستكون قصة جيدة تماما، سيتحدثون كثيرا عن ذلك الشيء -الذي سيخترعونه بالطبع، إن لم يكن جاهزا بالفعل- الذي جعل ذلك الصديق يقتل صديق عمره، سيتكلمون عن هذا الزمن الذي انعدمت فيه الصداقة وغابت فيه المعاني الجميلة، سيتحدثون عن الجشع والطمع والإنسانية التي بدأت تنهدم على هذا الكوكب... كان قد مل من المكوث مع (ماهي) في نفس المنزل، وها هي مشكلته قد تم حلها نهائيا، سيتكفلون بالتأكيد بجعل إقامته في السجن أكثر راحة من منزله حتى يتم إعدامه...

مسح يديه في الأجزاء الغير متسخة من قميصه وهو يحاول أن يبعد تلك الأفكار عن عقله حتى لا يجن... أخرج الكيس الذي به الملابس وأغلق الحقيبة واتجه إلى باب السيارة ففتحه وهو ينظر حوله ثم دلف إلى الداخل وأغلق الباب وضغط زر قفل الباب...

ماذا فعلت أيها التعس حتى تثير غضبهم إلى حد أن يقتلوك بهذه الطريقة الشنيعة؟

بدأ يخلع ملابسه محاولا ألا يجعل داخل العربية يتسخ، بدَّل قميصه أولا ثم خلع البنطال، ثم...

ثم سمع فجأة صوت طرقات على زجاج السيارة...

انتفض بعنف، ونظر ليجده أن أحد الشحاذين جاء ليطلب منه شيء ما... هتف (يوسف) في السيارة لتشغل محركها فاندفع الصوت المحبب للوحش الكهربي يشق ذلك الصمت الذي يحيط بهم حتى مع خفوت صوته وأضيئت شاشة القيادة، وقبل حتى أن يترك مجالا للرجل ليبتعد عن السيارة كان قد انطلق بها محدثا غباراً كثيفاً وراءه...

السيارة تنطلق الآن بسرعة خرافية وهو بدون بنطال! لا يحتاج إلى المزيد من المشاكل، محاولته لتفسير قيادته للسيارة بقميص و"بوكسر" لضابط المرور الذي سيوقفه ستكون مثيرة للشفقة بالتأكيد... لا، لن يوقف السيارة مرة أخرى، هو يعرف مسبقا أنه إما أن يتوقف حتى يجد أن كل الشحاذين قد اتفقوا اليوم على أن يصيبوه بجلطة دماغية... رفع صوته وأمر السيارة بالقيادة الذاتية ثم بدأ يرتدي بنطاله بسرعة... ثواني مرت كالدهر وهو يتلفت حوله ثم ها هو يغلق البنطال يلغى القيادة الذاتية ويعود للقيادة وهو لا يعرف أين يذهب...

لماذا قتل (وليد)؟ كان (يوسف) دائما الصديق السخيف الذي يصيب صديقه بالفالج لسخريته من كل ما يقول، (وليد) كان يجيد الاستماع، (وليد) كان الجزء العقلاني لهذه العلاقة، لماذا؟ هو يوشك أن يفقد عقله، كان قد وصل إلى منطقة عامرة بالناس، الكل ينظر إليه بشكل مريب، هم يعرفون بالتأكيد، نحن نعرف ماذا فعلت، حتى لو لم نرك، نحن فقط نعرف، حتى لو لم تقل شيء، هذا لن يغير من الحقيقة شيء، أنت

كنت هناك، وجهك يقول إنك كنت بجوار (وليد)، سنقول إنك قتلته، مع إننا نعرف أنك لم تفعل...

يجب أن يعود للبيت، لو استمر على هذا الحال سيُجَن تماما خلال نصف ساعة على أقصى تقدير...

أوقف السيارة في مكانها تحت البيت، وترجل منها وهو يتمنى أن تكون (ماهي) لا تزال في بيت أهلها هي و(زينة)، سيكون من العسير أن يشرح لها لماذا اتسخت تلك الملابس التي يضعها في الكيس، لم يرد أن يتركها في السيارة، يجب التخلص منها بالحرق على الأرجح، كل الأفلام التي شاهدها تقول ذلك، لن تختفي آثار الدماء إلا بهذه الطريقة...

دخل البيت، وبالفعل كانت الأنوار كلها مطفأة، حمد الله في سره واتجه للحمام، سيقوم بحرق الملابس في الحمام الآن، لا يوجد مسخن ماء هناك ولا يوجد ما يمكن أن تمسك به النار، فليكن الحمام إذن...

ذهب إلى المطبخ وأحضر القداحة واتجه إلى الحمام ثم قفز عندما رن صوت جرس الباب...

وقف متسمرا لا يعرف ماذا يفعل، هل هي (ماهي)؟ اقترب من الباب ثم نظر إلى الشاشة بجانب الباب، كان يظهر عليها بوضوح الآن ذلك الروبوت القصير الذي يرتدي قبعة تحمل علامة إحدى شركات نقل الطرود الشهيرة ووقف حاملا صندوق صغير موضوع في غلاف بلاستيكي يحمل نفس العلامة...

إنهم هم بالتأكيد، ما أن يفتح الباب حتى يلحق بـ(وليد) في جنة الخلد أو في الجحيم الأبدي، لن يعرف حتى يصل إلى هناك، يبدو أنه لن يجد الوقت الكافي ليعرف إن كان قد فقد عقله فعلا أم لا ... لن يفتح، فليكسر الباب وليكن موته أشهر شيء حدث في تاريخ هذه البناية اللعينة...

مد الروبوت يدا معدنية بغيضة واقترب من الباب ثم جرس الباب يرن مرة أخرى، بساقين كأعواد المكرونة السباجتي المسلوقة اقترب (يوسف) من الشاشة بجانب الباب واختار "التحدث إلى القادم" من القائمة وقال بصوت حاول أن يجعله ثابت:

- "عايز ايه؟"
- "طرد لسيادتكم"

طوال عمره لم يحب الصوت الصادر عن تلك الروبوتات، لغة عربية فصحى قاربت على الاندثار وصوت بلا مشاعر، لماذا لا تتحدث روبوتات شركات توصيل الطرود تلك مثل ذلك الروبوت عند مدخل المقهى؟ يبدو أنهم يريدون ترك انطباعا بالاحترافية...

- "آآآ طيب سيبه عالباب وامشي"
- "يجب الحصول على بصمة سيادتكم من أجل إكمال عملية التسليم"

عملية التسليم؟! فليقطع ذراعه إن لم تكن عملية قتل ثانية يحاولون إصباغها بالاحترافية هي الأخرى... الخوف يقتله الآن وقد صار يشعر أن

الروبوت يسمع ضربات قلبه عبر الباب، إن لم يقتله الروبوت سيموت بالجلطة حتما الليلة إن لم يكن الآن... فليفتح ولينهي هذا الانتظار، سيظفرون به حتما في النهاية...

اقتربت يده المرتجفة من الباب واختار من القائمة الهولوجرامية "فتح الباب"...

لعدة ثوان نظر كل من (يوسف) والروبوت للآخر ولم يفعلا أو يقولا شيئا، كان (يوسف) ينظر إلى الصندوق في يد الروبوت، لابد أنه سيحتفظ برأسه سليمة ليضعها هنا، لن يقوم بتشويهها مثل ما فعل مع (وليد)... ثم فجأة امتدت يد أخرى من الروبوت غير التي تمسك بالصندوق، قفز إلى الوراء... سيفعلها هنا إذن، لن ينتظر أن ندخل إلى الشقة، سيكون المدخل داميا، سيتسخ حتما حذاء (ماهي) وستغضب بشدة، لماذا لم تدعه يقتلك بالداخل أيها الجربوع؟ أترى؟ لقد أفسدت مدخل الشقة بجثتك، كان يجب أ..

- "بصمة سيادتكم من فضلك"

تسمرت عيناه على الجهاز الذي في اليد الأخرى للروبوت، هل يأخذون البصمات في العادة قبل القتل؟ ثم تفطن عقله إلى ما يحدث وامتدت يده اليمنى لا شعوريا إلى الجهاز فانبعث ضوء منه ثم أصدر أزيزا خفيفا فسُحِبَت اليد ومد الروبوت يده الممسكة بالصندوق إلى (يوسف)...

- "تفضل سيدي، كل عام وسيادتكم بخير، عيد ميلاد سعيد"

قالها ودار على عقبيه ثم اتجه إلى المصعد...

وقف يراقب الروبوت حتى اختفى داخل المصعد وقد بدأت ضربات قلبه تهدأ قليلا... عيد ميلاد سعيد؟ أن تاريخ ميلادي مر عليه أربعة أشهر تقريبا... نظر إلى الطرد الصغير الذي في يده ودخل وأغلق الباب خلفه لا شعوريا... هل وضعوا قنبلة في الصندوق؟ فكرة جيدة، ولكن وزن الصندوق لا يتعدى وزن ساعة يده، لابد أنها قنبلة حقيرة تلك التي ستسحق شخصه المتواضع... استمر في النظر إلى الصندوق، دائما ما شعر بالنشوة وهو يمسك بأي شيء مغلق، هدية، لفافة، حتى الألعاب التي كان يحضرها له أبوه... هو شيء ما لم يفتحه غيره، غلبه الفضول فمد يده ومزق الغلاف البلاستيكي... أصوات خشخشة ثم ها هو الصندوق الصغير يرقد عاريا بين يديه بعد ما أزال عنه الغلاف... صندوق مصمت أبيض اللون... مط شفتيه في تعجب ثم فتح الصندوق ليجد كارت صغير في حجم الكف من تلك الكروت التي الخاصة بالتهنئة لمناسبة ما وكانت ترقد داخل الصندوق آخر شيء توقع وجوده هنا والآن...

ساعة اليد الخاصة بـ(وليد)...

وضع الصندوق جانبا وأمسك بالساعة، ذكرته الساعة على الفور بمنظر جثة (وليد) فارتعد... نظر إلى الكارت، كارت بسيط مكون من نصفين تربطهم حلقات، فتح الكارت وعلى الفور أصدر الكارت موسيقى عيد الميلاد،

وبداخل الكارت وجد خط (وليد) المنمق ووجد تلك الكلمات: "*هل تذكر آخر مكالمة بيننا؟... صديقك حتى نهاية العالم!*" ثم لا شيء...

(وليد) يرسل له تهنئة بعيد ميلاد وهمي؟ (وليد) لا يهتم بأعياد الميلاد من الأساس ويعتبرها احتفال متخلف بضياع عام آخر من حياتك البائسة... لا يفهم أي شيئ، هذه الليلة لن تنتهي، (وليد) المقطع أشلاء الآن في حمام بيته أرسل له كارت تهنئة بعيد ميلاده، والأدهى أنه ليس حتى تاريخ ميلاده!

ثم تذكر الملابس التي يجب عليه التخلص منها فوضع الكارت على دولاب الأحذية بجوار باب البيت واتجه إلى الحمام...

الرائحة لا تطاق...

هو لم يحتاج إلى حرق ملابس من قبل ولا يعرف كيف سيفعلها، كان قديما يوجد بنزين، كان من الممكن أن يستخدمه ولكن الآن كل شيء يدار بالكهرباء والطاقة الذرية... لا يستطيع التفكير الآن، هو مرهق، جسده وذهنه لا يطيعانه مثل ما سبق، فليأتي من يأتي ليفتش المنزل وليجدوا ما يجدونه، يجب أن ينتهي اليوم...سيرثي صديقه، سيبكي ويحرق الملابس، لكن ليس الآن، الآن سيناااام، وكالحمار الذي يعرف كيف يعود للمنزل بعد أن يتركه صاحبه، اتجه إلى حجرته هو و(ماهي) وارتمى على السرير...

* * *

هذا الروبوت لا يمل أبدا من اللحاق به، (يوسف) يحاول الهرب لكن هيهات... كأنما هو يمشي في الوحل، يلتفت وراءه، هذا الشيء يقترب جدا الآن، ينظر للأمام ويحاول أن يزيد من سرعته، شيء ما أمسك بساقه ولا يريد أن يفلتها، ينظر ليجد يد (وليد) المبتورة تمسك بساقه، يده التي تلتف حولها ساعته، حاول الصراخ لكن حنجرته كأنما لم تتعلم الكلام بعد، جذب ساقه ونظر ناحية الروبوت ليجد أن ما يفصله عنه لا يزيد عن المترين، لمح شيئا ما في الناحية الأخرى فأجفل وأدار رأسه فإذا بجسد (وليد) يزحف على الأرض تجاهه، ثم...

ثم فتح عينيه فجأة وهو يرمق سقف الغرفة...

صدره يعلو ويهبط وحلقه أجف من رمال الصحراء...

قام من على الفراش بصعوبة، نظر إلى الساعة ليجد أنه لم ينم أكثر من أربع ساعات، الساعة الآن الثالثة ولم يؤذن لصلاة الفجر بعد...

اتجه للمطبخ وأمسك أول زجاجة مياه قابلها ورفعها إلى فمه وأخذ يعب الماء غير عابئ بذلك الخط الذي سال على قميصه الذي لا يزال يرتديه وأغرق صدره، ثم اتجه إلى حمام وأفرغ مثانته التي قاربت أن تنضح بما فيها ثم غسل يديه وهو ينظر إلى انعكاس وجهه في المرآه... لقد شاخ في هذه الليلة فقط أكثر مما شاخ في الأعوام السابقة... الآن تتكرر مشاهد الأمس أمامه كأنما يراها تحدث من جديد... لا، ليس هذا انعكاسه، إنه يختبئ داخل هذا

الشخص الذي ينظر في المرآة وينتظر أن يخرج يوما ما... أطرق برأسه ثم خرج من الحمام واتجه إلى دولاب الأحذية ومد يده ليلتقط ذلك الكارت الذي أرسله له (وليد)...

فتح الكارت وتأمل خط صديقه الراحل... يمكن أن يكون هذا آخر ما كتبه (وليد)... كان الحزن يعتصر قلبه ووقفت تلك الغصة داخل حلقه تحاول أن تمنع عنه الهواء... كان لا يطيق حتى البقاء مع نفسه، سيقتله الحزن أو الجنون أو كلاهما... وضع الكارت مرة أخرى على دولاب الأحذية ثم اتجه إلى المطبخ، لا شيء مثل الطعام ليغير حالتك النفسية، شعر بسخافة الفكرة لكنه بشر برغم كل شيء ويحتاج إلى الطعام لكى يكمل حياته البائسة...

اتجه للثلاجة وفتح بابها ثم توقف وقد ومض شيء ما في عقله...

"أصدقاء حتى نهاية العالم"... لم يدرك من قبل كم هو غبي... أغلق باب الثلاجة واتجه إلى دولاب الأحذية... كان عقله الآن يدور بصوت مسموع... أمسك بالكارت وفتحه وهو يعيد قراءة كلمات صديقه... لقد حكى له (وليد) في لقائهم الأخير عن ذلك الشيء الذي رآه ساعة حدوث الزلزال الأسبوع الماضي... نعم، هو متأكد، لقد قال له شيئا ما عن نهاية العالم... يبدو أن أحداث البارحة كانت قد قضت على ما بقى لديه من تفكير... (وليد) لم يرسل الكارت له بالتأكيد للاحتفال بعيد ميلاده المزعوم...

امتدت يده تلتقط الساعة من الصندوق، ثم ومضت في عقله تلك الجملة الأولى التي كتبها (وليد) بخطه... "هل تذكر آخر مكالمة بيننا؟"... (وليد) لم يحدثه في الهاتف منذ عام تقريبا، كانوا يرسلوا لبعضهم البعض رسائل قصيرة تحتوي على ساعة وصولهم المترقبة للمقهى، ما هذه المكالمة الأخيرة التي يتحدث عنها (وليد)؟

ثم تذكر...

(وليد) كان مولع بتسجيل أي شيء... المكالمات الاعلانية التي كانت تصله، أحاديثه مع زملاءه في العمل، كم ضحكوا سويا وهم يستمعون لتلك الأحاديث التي سجلها لزملائه في العمل وهم يتحدثون عن كل شيء... سياسة كانت أم كرة قدم، نكات بذيئة أم قصص اخترعها أحدهم لإبهار الباقي... كان (وليد) يقصص عليه ملابسات الحوار المسجل وهما يستمعان سويا، أخبره (يوسف) عشرات المرات أنه يوما ما سوف يتم القبض عليه وفقا للقوانين الجديدة فكان يضحك ويخبره أنه "دُغُف"، هو ليس دغفا مثله ليتم القبض عليه من أجل تسجيل صوتي!

كانت تسليته الوحيدة تقريبا في حياته التي خلت من المتعة...

ابتسم (وليد) في مرارة للذكريات... آه أيها العزيز، لكم تمنيت أن تكون موجودا الآن لتخبرني ماذا أفعل...

كان يشعر أن (وليد) دائما موجود، هو من المسلمات في حياته، والآن صار يتكلم عنه بصيغة الماضي... نبحث دائما عن أشياء نفتقدها لنجد أننا فقدنا أشياء لم نعلم كم هي غالية...

مد (يوسف) يده ووضع إبهامه على شاشة الساعة، وعلى الفور دبت فيها الحياة وتجسدت القائمة الهولوغرامية أمامه، أخذ يعبث في القوائم حتى وصل إلى "تسجيل المكالمات" فوجد أن آخر مكالمة كانت اليوم... ضغط على تاريخ اليوم وظهر فوق الشاشة برنامج لمشغل الصوت. اختار "تشغيل" فبدأ المشغل في إعادة ما تم تسجيله:

- "ألو"
- "أهلا وسهلا"
- "أأأ إسمي (وليد مازن)، أنا.."
- "إحنا عارفين أنت مين، ها يا (وليد)، خير، بتكلمنا ليه؟"

ثواني من الصمت

- "ففف في مركز الجيولوجيا، أنا كنت...أأأ... كان فيه زلزال انهارده"
- "طيب، وايه المشكلة في الزلزال؟"
- "أنا أأأ أخدت بالي إن القرايات بتاعة المنطاد، فيه حاجة كانت باينة،..أ"
- "ادخل في الموضوع على طول يا (وليد)، أنت عارف إن وقتنا ضيق"

- "أنا آسف، يا فندم بس .... آآآ العالم حينتهي"

صوت ضحكات...

- "حينتهي إزاي يا (وليد)؟"
- "القرايات اللي كانت طلعالي في الجهاز، الموضوع كبير فعلا يا فندم، أنا ممكن أوريكم التقارير كلها، لازم ال..."
- "كل ده جميل يا (وليد)، بس مش شايف إن في انتخابات بيتحضر لها؟ احنا حنبحث في الموضوع بتاعك ان شاء الله بعد ما الانتخابات تخلص"
- "يا فندم الريس مش حيلاقي حاجة يحكمها أصلا بعد الانتخابات، مافاضلش كتير، التقارير بتقول كده"
- "(وليد)، الكلام اللي بتقوله ده ممكن يوديك في داهية، أنت عارف يعني ايه الريس مش حيلاقي حاجة يحكمها، أنت مين اللي بعتك علشان تكلمنا؟"
- "يا فندم اسمعني أرجوك... أنا من الدفعة اللي حضرت الدكتوراه بتاعتها ف..."
- "بقولك عارفين كل حاجة عنك"
- "طيب مادام عارفين، مش مصدقني ليه؟"
- "أنت بتقول كلام غريب يا (وليد)، ثم أنت عارف إن في أولويات "

- "أولويات؟! بقول لسيادتك العالم حينتهي وحضرتك تقولي أولويات؟"

- "(وليد)، أنت بس مأقور شوية، عالم إيه بس اللي حينتهي يا دكتور؟"

- "يا فندم أنا كلمتكم علشان أوصل المعلومة ونشوف بعد كدة حنتصرف إزاي"

- "نتصرف؟ زي ماقلتلك يا (وليد)، بعد الانتخابات سيادة الرئيس بنفسه حيتابع موضوعك"

- "بقول لحضرتك الموضوع أكبر مما انتوا متخيلين،... أأأ أنا فكرت إني أنزل الموضوع على ال Facebook بس م.."

- "تعمل إيه؟ (وليد)، أي بلبلة قبل الانتخابات حنعتبرها وقوف أمام سير العملية الديمقراطية. أكيد أنت عارف عقوبتها إيه"

- "يافندم أنت مش فاهمني... مافيش وقت تعاقبوا حد ولا تحبسوا حد، الموضوع خطير فعلا، حضرتك مش عايز تصدقني ليه؟"

- "لأ يا (وليد) حصدقك، جهز التقارير بتاعتك وأنا حبعتلك حد ياخدك"

- "شششكرا يا فندم"

- "العفو يا (وليد)، ده شغلنا. المهم ما تتكلمش مع حد لغاية ما تجيلنا. أفتكر إني مش محتاج أقولك الكلام ده"

- "حاضر يا فندم، حاضر"

انتهى التسجيل....

ظل (يوسف) مكانه ولم يتحرك...

إذن صديقه قد قتل من أجل أن يصمت حتى لا تتعرقل مسيرة الديمقراطية... قتله (بلاتو) أو قتله أتباعه لا يهم... المهم أنه مات، المهم أن (يوسف) لن يستطيع أن يأخذ بثأره، المهم أنه مطلوب منه أن يعرف كل هذا ويبقى هكذا، دون أن يفعل شيء، دون حتى أن يتحدث عما رآه... من الواضح أنه قد كتب عليه أن يظل تافها فيما بقي له من حياته..

"١٠"

- "(يوسف)، (يوسف)... إيه عمال انده عليك بقالي خمس دقايق"

لم يرد (يوسف)...

(ماهي) عادت... لم أخبركم بذلك بعد؟ فلتعذروني، فذاكرتي لم تعد كما كانت بعد كل ما رأيت في الأيام السابقة.. تدخل شخص ما للإصلاح بينهما، الكثير من البكاء والعتاب، ثم (ماهي) وزينة في البيت... لا يتذكر حتى ما قيل بالضبط، لا يهم، كل هذا لا يهم، وجودهما في حياته لا يهم، حياته نفسها لا تعني شيء... حياة تافهة رخيصة يمكن أن تنتهي في أي وقت، هو حتى لم يقدم شيئا للعالم يفخر به سوى أنه شارك في الاتيان بهذه الطفلة الصغيرة إلى الدنيا، ولو صارت مثل أمها فستكون هديته لذلك العالم، هو نسخة أخرى من تلك اللعينة التي تجلس في الركن الآخر من حجرة المعيشة... من الجيد أن العالم سينتهي -إذا صح حديث وليد- قبل أن تكبر زينة ويرى نسختين من (ماهي) أمامه...

كان (يوسف) يجلس على الكنبة أمام التلفاز الذي يعرض فيلما ما... ذقنه طويلة... إذا اقتربت منه ستعرف بالتأكيد أنه لا يشاهد الشاشة... أي شخص يشعر سيعرف أنه غير موجود، (يوسف) في مكان آخر، لكن -حمدا لله- (ماهي) لا تشعر، به على الأقل، كانت على عادتها في التقاط الصور

بتلك الحوامة... سيصيبها عطل يوم ما وستقع على رقبتها لتجتزها، حتى هذا لا يهم، سيصير البيت أكثر هدوءًا لا أكثر...

- "يوسيييييف"

التفت إليها (يوسف) وفي عينيه نظرة بلا مشاعر...

- "أنت سرحان في إيه؟"

- "ولا حاجة"

- "في خبر عن صاحبك في الفيسبوك، بيقولوا إنه مختفي من كام يوم، هو أكيد مع واحدة على فكرة، القصة دايما كده، اللي بيحب ممكن يعمل أي حاجة"

نظرت للسقف ورسمت على وجهها ابتسامة حالمة، ستكون أجمل بالتأكيد إذا ما كانت هي مكان (وليد) ورأسها الفارغ هذا منفصل عن جسدها...

- "بس عارف، لو الموضوع ماكانش كده وكان حد خطفه مثلا، ممكن الموضوع يبقى سرقة أعضاء... يا خرابي يا (يوسف)، الموضوع يخوف قوي، أنا مش متخيلة إن في حد ممكن يخطف حد ويقتله علشان يسرق الأعضاء بتاعته، أنا لما باسمع الأخبار دي ما بعرفش أنام"

تذكر (يوسف) منظرها وهي تنام بجواره ليلة أمس وفمها مفتوح كأسماك البيرانا... هذه المرأة تنام كما كان ينام التيرانوسور ركس قبل أن

يوفقه الله وينقرض وأي حديث عن أن هناك ما يقلق نومها لهو محض ال"هري"... كيف يموت (وليد) وتظل هذه على قيد الحياة؟ حقا لا يوجد عدل في هذا العالم...

أسبوع كامل مر على مقتل (وليد)... لم يأتِ أحد للنيل منه، هو يعرف بالضبط من قتله ولم يفعل شيئا، سيظل جبانا حتى نهاية العالم...

- "عارف يا (يوسف)، أنا امب.."

قاطعها صوت نغمة الهاتف فنظرت لشاشة ساعتها ثم انفرجت أساريرها عن ابتسامة عريضة بلهاء وهي تقول حماس:

- "(لارا)، وحشاني يا كلبة، عاملة إيه؟"

واتجهت إلى الصالة تتبعها حوامة التصوير...

وكأن الهواتف كلها قد أصيبت جميعها بالإسهال المفاجئ، اندفع صوت نغمة هاتف (يوسف) ليغتصب ذلك الهدوء الذي خيم على الحجرة بعد خروج (ماهي)، ظهر على شاشة نظارته اسم (حلا سليم)؟ هو لا يعرف أحدا بهذا الاسم، بالتأكيد ستكون مذيعة ما تعد تقريرا صحفيا عن اختفاء مهندسي جيولوجيا الفضاء...

- "ألو، مهندس (يوسف)؟"

- "أيوا، مين معايا؟

- "أنا (حلا سليم)، زميلة مهندس (وليد) في المركز"

- "آآآ... أهلا، خير؟"

- "باشمهندس (يوسف)، أنا محتاجة أقابلك ضروري"

- "تقابليني؟ ... آآآ ليه؟"

- "باشمهندس، في موضوع ماينفعش أتكلم فيه في التليفون"

- "مافيش موضوع ماينفعش نتكلم فيه في التليفون، قولي عايزة إيه دلوقتي بعد اذنك"

- "باشمهندس (يوسف) عشان خاطري، الموضوع مهم بجد، حاجة ليها علاقة بـ(وليد) الله يرحمه"

اعتدل (يوسف) في مقعده. على حد علمه لا يعلم أحد بمقتل (وليد) إلا هو والقاتل...

- "باشمهندس؟"

- "انتي مين؟ مين اللي بعتك؟ (وليد) إيه اللي مات؟ انتي عرفتي حاجة عنه؟"

- "حضرتك عايزني أصدق إن باشمهندس (وليد) اختفى؟ أكيد اتقتل"

- "انتي إيه اللي انتي بتقوليه ده؟ لو سمحتى اقفلي السكة حالا بدل ماقفل أنا في وشك"

- "ممكن حضرتك توافق بس إننا نتقابل وحقولك على كل حاجة؟"

- "يا ستي أنا مش عايز أقابل حد، خصوصا لو كان بهري زي حضرتك كدا"

- "لو سمحت أنا مش بهري، باشمهندس (وليد) أكيد قالك حاجة قبل ما يختفي، حاجة اكتشفها، مش كده؟"

لم يرد (يوسف). ازدادت سرعة ضربات قلبه، هذه الفتاة تعرف شيئا ما عما أخبره به (وليد).

- "باشمهندس (يوسف)، في حاجة مهندس (وليد) قالهالي أنا كمان، إحنا لازم نتقابل"

- "ممكن تقوليلي هو قالك إيه دلوقتي؟"

- "بجد ما ينفعش في التليفون، أنا شاكة إن التليفونات أصلا متراقبة، أنا مش حاقدر أقول أكتر من إللي أنا قولته، بس لو (وليد) كان له معزة عندك ولو بسيطة، يا ريت تقبل إننا نتقابل"

صمت (يوسف) قليلا ثم قال بعد تفكير...

- "عايزة نتقابل فين؟"

- "حضرتك في كفر عبده، صح؟ في كافيه جنبك في رشـ..."

- "عرفتي منين إني ساكن في كفر عبده؟"

- "باشمهندس (وليد) كذا مرة وهو ماشي من الشغل كان بيقولنا إنه رايح رشدي عشان يقابلك"

(وليد) قال لها هذا؟ (وليد) كان دائما ينصحه ألا يخبر أحدا في العمل بما يفعله خارجه وقال إنه يفعل المثل، لا لعدم ثقته فيهم ولكن لأنه سيأتي يوم ما سيريد أن تنتهي هذه العلاقة تماما. فلتبقى علاقته بزملائه داخل العمل حتى إذا انتهت انتهت داخله أيضا... مبدأ لا يخرج إلا من شخص يبغض الاجتماعيات مثل (وليد) لكنه يروق له أيضا وإن لم يتعلم كيف يفعله... أغلب زملائه في العمل ضمن قائمة أصدقائه على ال Facebook وما أن يذهب إلى مقهى أو إلى المصيف أو حتى إلى الحمام حتى يجد أن زملاءه في العمل يهنئونه متمنون له سهرة سعيدة أو رحلة سعيدة أو أن "يسهل" الله له... إما أن (وليد) كان ينصحه ثم يفعل شيء آخر وإما أن هذه الفتاة تكذب ك"مسيلمة"...

- "باشمهندس، لو تحب نتقابل في حتة تانية مش مشكلة"
- "لا لأ، فين الكافيه اللي بتقولي عليه ده؟"

وفي تمام السادسة كان يقف أمام ذلك الكافيه الشهير في شارع المعسكر الروماني، كيف سيعرف من هي؟ لقد نسيا أن يتفقا على شيء ما يعرفها به، وردة حمراء، كتاب ما، أي شيء من تلك الأشياء التي يعرف بها المتقابلون أول مرة بعضهم البعض عن طريقها... وما أن عبر الباب حتى وجد أن هناك فتاة تلوح له بيدها...

اتجه (يوسف) إلى حيث تجلس وحاول رسم ابتسامة على وجهه لكنها بدت واهنة... قامت الفتاة من مجلسها ومدت يدها إليه وهي تحاول هي الأخرى أن تبتسم فبدوا كعاشقين تقابلا ليتعاتبا على شيء ما...

- "باشمهندس (يوسف)... (حلا سليم)"

مد يدا مترددة إليها...

- "أنا كنت لسة بقول حنعرف بعض إزاي بس باين إنك عارفة شكلي كويس"

- "من صور حضرتك مع باشمهندس (وليد)... الله يرحمه"

لم يعجبه استمرارها في أكذوبة الفيسبوك الخاص بـ(وليد) تلك... قرر أن يؤجل هذا لما بعد وأشار إليها بالجلوس وجلس هو الآخر في مقابلها وهو يتمعن في وجهها...

لم تكن جميلة بمعايير (ماهي) بالطبع ولكن شيء ما في ملامحها يجعلك تفشل في أن تدير وجهك عنها بمجرد أن تقع عليها عيناك... شعر كستنائي، بشرة وردية، عينان ضيقتان إلى حد كبير، لها ذلك الوجه الذي لا تحتاج لأن تعتصر مقلتاك حتى تتذكره، لا يوجد منها نسخ كثيرة للأسف لذا ما إن تراها حتى تفشل في محوها من ذاكرتك ليظل مجرد ذكر اسمها كفيلا بجعل وجهها يتجسد أمامك كأنك تراه...

كل هذا غير ملفت، الملفت فعلا هو عيناها، عينان شديدتا الذكاء إلى حد مخيف، لا علاقة لعينيها بتلك اللهجة الساذجة التي تتحدث بها، هذه

الفتاة تمثل، صحيح أنه يؤمن أنه شخص عادي بلا إمكانيات تقريبا سوى المزاح المرير من كل شيء لكن ما كان يعمل لديه بكفاءة كان ذلك المستشعر الذي يطلق لديه تحذير ما لا يعرف كنهه ولكنه يكون على صواب في كل مرة...

- "باشمهندس، أنا آسفة إني طلبت أقابلك كدة فجأة، أنا ماعرفتش أشرحلك في التليفون بس حشرحلك كل حاجة دلوقتي"
- "(يوسف)، كلمة باشمهندس دي أنا مستحقهاش وعمري ماشفت نفسي استحقها، أنا بعتبر نفسي ملاحظ أنفار مش أكتر"

احمر وجه (حلا) الوردي وانفرجت شفتيها ولم تقل شيئا

- "ها، ادخلي في الموضوع علطول، خير؟"

بدى على وجه (حلا) التردد ثم قالت:

- "آخر يوم باشمهندس (وليد) جه الشغل طولنا شوية بعد معاد الشغل"
- يا ريت تشيلي كل ال"باشمهندس" من كلامك عشان أنا ابتديت أتعصب"
- "حاضر يا باشمهندس، آسفة"

نظر لها (يوسف) في غيظ.... هذه الفتاة تستمر في تمثيل شخصية أخرى غير ما هي عليه... هذه الأعين لا تخصان تلك البلهاء التي تتحدث... إما أن وراءها مصيبة ما أو أنه قد بدأ يفقد حاسته تلك تجاه البشر...

- "آخر يوم شفت باشمهن..آآآ (وليد) واحنا في الشغل كان بيعمل حاجة على الكمبيوتر، هو كان شاطر قوي، أنت عارف، ده كان ساعات بيقعد يشتغل لغاية الساعة ٨:٠٠، أنا كنت علطول بقول لباشمهندس (هيثم) إن باشمهندس (وليد) أشطر مهندس شفته من ساعة ما اتخرجت"

شعر (يوسف) أن ضغطه يعلو، تحتاج المرأة لتحكي عن بيضة مسلوقة أكلتها أن تتحدث عن ابن خالتها وصديقتها جوجو وذلك القط الشرس الذي تمتلكه ابنة عمها والذي ينظر إليها دائما بطريقة مريبة... لابد أن ابنة عمها تسلطه!

ليست هذه المشكلة، المشكلة أنه لا يصدق أن من تحاول تمثيل دور تلك الأنثى التافهة هي تلك التي تجلس أمامه...

- "كملي يا (حلا) بس من غير حوارات جانبية إن أمكن يعني"
- "انا آسفة... آآآ هو ماكانش بيكلم حد وهو بيشتغل، بس يومها كنت عايزة أعرف هو بيعمل إيه، كان نفسي أتعلم منه أي حاجة، وهو كان علطول مشغول وما بلحقش أتكلم معاه"

القصة بها تناقض ملحوظ... (وليد) -كما يعرف- كان يضع همه في العمل ليس أكثر، هو قال له أكثر من مرة أنه لا يفعل شيئا عظيما في عمله، صحيح أنه بنك معلوماتي متنقل، صحيح أن لديه درجة علمية مرموقة في

علم لم يسبر أغواره بعد إلا من يمكن عدهم على أصابع اليد الواحدة، لكن كان عمله روتيني إلى حد كبير... إما أنها جديدة في العمل فعلا ولا تفهم ماذا يفعل (وليد) بالضبط أو إنها تحاول تأليف قصة غير محبوكة...

الشيء الآخر هو أنه يعرف (وليد) جيدا، لا يمكن أن تعجب بـ(وليد) - رحمه الله- إلا فتاة برأس تنين أو أنثى بطريق قد فقدت عقلها...

استمرت (حلا) في الكلام:

- "رحت جنبه وسألته بيعمل إيه، بصلي، كان باين عليه إنه مهموم، يائس، في حاجة قلقاه، قعدت أتكلم معاه شوية عن الشغل وقلت له قد إيه أنا معجبة باللي هو بيعمله ونفسي أتعلم منه، فاضل باصصلي كتير، زي مايكون كان نفسه حد يتكلم معاه، يقول له مالك، قلتله مالك، فاضل باصصلي شوية كمان وبعد كدة قاللي أنه مخنوق، إنه فيه حاجة كتيرة عايز يقولها، حاجة اكتشفها هنا، يوم الزلزال اللي فات، كان لسة حيقول وبعد كدة دخل باشمهندس (هيثم) فماكملش وأنا رجعت مكاني. بعد كدة وهو ماشي مد إيده عشان يسلم عليا، كانت أول مرة يسلم عليا بالإيد، سلمت عليه حسيت في ايدة حاجة زي ورقة صغيرة سابها في ايدي وهو بيبص في عينيا، انا افتكرته بيعاكسني وبيديني ورقة فيها بحبك مثلا فحاولت اسحب إيدي بسرعة بس هو فاضل ماسك

إيدي، بصيتله وأنا خايفة لقيته بيبصلي زي مايكون بيترجاني إني آخد الورقة وساب إيدي وأنا طبقت إيدي عالورقة وهو أخد حاجاته ومشى. فضلت مطبقة إيدي عالورقة. بعدها علطول أخدت شنطتي ومشيت"

كان (يوسف) ينظر لها وهي تتحدث وعلى وجهه نظرة لا تحتاج لشرح... هذه الفتاة باتت ليلتها تشاهد فيلما من أفلام الجاسوسية التي تحكي عن أحداث دارت إبان الحرب العالمية الثانية...

- "فتحت الورقة لما روحت ومافهمتش اللي مكتوب فيها، بس بعد كدة لما (وليد) يعني، آآ اختفى فهمت إني لازم أشوفك"

هرش في رأسه وقد بدا عليه السأم وقال لها وهو ينظر لساعته:

- "وكان فيها إيه الورقة بقى؟ ماتيجي في المنطاد ونجيب (مراد)؟"

- "نعم؟ إيه اللي بتقوله ده؟!"

- "ماهو اللي بتقوليه ده هندي شوية يا (حلا)!"

احمر وجه (حلا) حتى صار بلون الطماطم... استمر (يوسف) في النظر إليها وهو يتخيل وجهها ينفجر الآن فتلوث الطماطم القميص الذي يرتديه... هذه هي مشكلة أصحاب البشرة الوردية، وجوههم تعبر عن المشاعر بشكل مبالغ فيه... هو من ذوات البشرة القمحية لذا عندما يغتاظ كان وجهه يبقى على ما هو عليه أو يسود بعض الشيء، ليس أكثر... قالت له أخيرا بغضب:

- "انا مش عارفة ازاي أنت بتكلمني بالطريقة دي!"

ثم التفتت إلى حقيبتها التي بجانبها وفتحتها وأخذت تعبث بداخلها قليلا وهو يتابعها ثم أخرجت منها ورقة مطوية وألقتها أمامه على المنضدة...

مد (يوسف) يده ببساطة وأمسك بالورقة وفردها وهو يتوقع أن يجد مكتوب فيها شيئا على غرار "بحبك يا حلا"، ثم تسمرت عيناه عليها وقد تبخر بداخله أي شك كان يحمله ناحية (حلا)...

الورقة خط عليها كلمة واحدة بذلك الخط السيء الذي تهكم عليه (يوسف) كثيرا... خط (وليد)...

والكلمة كانت آخر شيء توقع (يوسف) أن يكون مكتوبا في تلك الورقة... كلمة "يوسف"...

استمر (يوسف) في التحديق في الورقة و(حلا) تقول بغضب شديد:

- "انا لولا إني فهمت من الورقة دي إن (وليد) كان عايزني أتكلم معاك ولولا إني متأكدة إن موضوع إنه مختفي ده كلام فاضي ماكنتش طلبت أقابلك... ماكنتش متخيلة إن (وليد) له صاحب قليل الذوق بالدرجة دي!"

- "أنا آآآ آسف، أنا بس حسيت إن كلامك، يعني... معلش سامحيني"

كان يبدو على (حلا) أنها تحاول جاهدة ألا تمارس الهيستيريا النسائية التي يجدنها جميعهن، شعر (يوسف) بهذا وإن لم يدرِ ماذا يفعل...

- "المهم، احنا لازم نعرف هو اكتشف ايه. اعتقد إن الموضوع ده ليه علاقة بقتله"

ابتلع (يوسف) ريقه بشكل مسموع واستمر في النظر لها دون أن يرد...

- "باشمهندس (يوسف)، أنا واثقة إنه أكيد اكتشف حاجة كبيرة، احنا لو عرفناها ممكن نعرف مين اللي قتله وليه"

لم يرد (يوسف) أيضا... لو رأت جثة (وليد) لما تكلمت بهذه الثقة...

- "وإيه اللي مخليكي متأكدة كده إنه اتقتل؟"

- "البوليس جه وقعدوا يسألونا عن (وليد)، آخر مرة شفتوه امتى؟ كان عامل إزاي في الشغل؟ كان له علاقة بحد برة، أجانب يعني؟ كان بيتكلم في السياسة ولا لأ؟ دول حتى خدوا الكمبيوتر بتاعه، إزاي يبقى الموضوع إنه اختفى بس ويخدوا الكمبيوتر بتاعه ويحققوا مع الناس بالشكل ده؟ في حاجة غلط. انا خايفة قوي، أنا حاسة إن كلنا في المركز متراقبين"

كانت هذه ثاني أنثى تقول له اليوم أنها خائفة... فلترحن أنفسكن وتطمئنن، فهو لا يستطيع حماية نفسه حتى...

- "طيب قولتيلهم على موضوع الورقة دي؟"

- "لأ طبعا، أنت بتهزر؟ معلش أنا آسفة، بس أصل حسيت إني لو قلتلهم يبقى بَودي نفسي في داهية"

- "طيب انتي عايزة إيه برضو دلوقتي؟"

- "أنا حاسة إن كمبيوتر(وليد) ماكانش عليه حاجة، حاسة أن الحاجة اللي اكتشفها ده أخدها معاه برة الشغل. احنا لازم نلاقيها"

اعتدل (يوسف) في جلسته وهو ينظر إلى عينيها مباشرة... صحيح أن الورقة التي في يده لا تدع مجالا للشك أن (وليد) هو من كتبها، صحيح أن (وليد) -على حد قولها- كان على وشك أن يحكي لها عن اكتشافه، وهو ما يدل أنه أعطاها ثقته بشكل أو بآخر، صحيح أن ما فهمته هي عن أن معنى الورقة التي كتبها (وليد) هي أنه أراد أن يتقابلا لسبب لا يعلمه إلا الله منطقي إلى حد كبير، لكن شيء ما فيها غير مريح، هو يريد أن يعطيها ثقته كما فعل (وليد)، يريد أن يفرغ ذلك الضغط الذي على صدره...

- "(حلا)، (وليد) كان قاللي فعلا إنه اكتشف حاجة ليها علاقة بنهاية العالم"

- "يانهار اسود! نهاية العالم!"

- "مش وقت انهار دلوقتي يا (حلا)، أنا يومها خدتها بتريقة وقلت إنه بيأقور، بس ماكنتش متخيل إن يحصل كدة"

- "طب مادام الموضوع بالخطورة دي يبقى لازم نبلغ البوليس"

ارتسمت على وجهه ابتسامة مريرة...

- "لو شفتي منظر (وليد) وهو متقطع مش حتقولي كدة"

ارتسم الذهول على وجهها ووضعت يدها على شفتيها...

- "متقطع! أنت شوفته؟!"

شعر (يوسف) أن الكلمات بدأت تفلت منه فآزر الصمت بينما اتسعت عينا (حلا) في رعب...

- "هو مات فعلا؟ أنت عارف مين اللي قتله؟"

- "....."

- "(يوسف)، عشان خاطري قول"

استمر (يوسف) في النظر إليها قليلا ثم وضع إبهامه على تلك الشاشة على المنضدة فظهر الحساب، وضع ساعته بجانبه فأصدرت الساعة أزيزا خفيفا وظهر على شاشتها قيمة الشيك، وضع (يوسف) إبهامه على الساعة ليؤكد الدفع...

- "(يوسف)..."

- "رَوَّحِي يا حلا، رَوَّحِي، شوفيلك عريس كدة اتجوزيه ونكدي عليه زي ما كل الستات بتعمل، احنا أتفه من إننا نعمل حاجة في موضوع (وليد)"

قالها وقام دون أن يحييها واتجه للباب في خطوات سريعة...

"١١"

أخذت (ماهي) نفسا عميقا وهي ترفع يديها وتتمطى وتبتسم مغمضة العينين تاركة اشعة الشمس تسقط على وجهها وذراعيها العاريتين حتى الكتفين... كانت نظارتها الشمسية تظهر لها درجة الحرارة والرطوبة وسرعة الرياح، كما تُبين عدد السعرات الحرارية التي حرقتها وهي تمارس الإحماء استعدادا للجري... كانت تتلفت حولها بين الحين والآخر تترقب وصول (صلاح)، هل سيأتي؟ هي ترغب بشدة أن يكون موجودا هنا، الآن، بعيدا عن (لانا)، بعيدا عن البيت، بعيدا عن كل شيء...

(ماهي) تشعر بالحرية بعض الشيء... وجود (يوسف) يخنقها، يشعرها أن هناك ما يجثم على صدرها، يشعرها بالذنب... ها هي الآن تنتظر أن يأتي شاب يصغرها بعشرة أعوام تقريبا فقط لتشعر أنها لازالت تشعر، تحس، تنجذب لأحد ما... هي تعلم تماما أنها لا تحتاج إلى من يشعرها بأنوثتها، آلاف "اللايكات" على صورها كافية تماما، فقط هي تريد أن ترغب هي في شخص ما، تشعر أنها تريد شيئا ما وتبذل مجهودا ما كي تحصل على هذا الشيء... شخص كان أو شيء، لا يهم، هي تحصل على ما تريد بلا مجهود تقريبا، الصيدلية، (يوسف)، حتى (زينة)، كلهم هناك منذ الأبد...

اقتربت منها إحدى صديقاتها وقالت لها وهي تتثائب كأفراس النهر:

- "هو فين بقية الناس؟ أنا عايزة أنام هاااووواا"
- "يا خرابي يا (لينا)، حطي إيدك على بقك يا ماما وانتي بتتاوبي، في دبان حيدخل جوا"
- "إيه الأرف ده يا (ماهي)، دبان إيه بس، يعمع، أنا كنت نمت أحسن بدل الفرهدة دي"
- "طيب اتنطي يا حبيبتي، warm up، اعملي stretches، أي حاجة بدل ما تناميلنا هنا"
- "ماشي هاااووووواا"

تتركها صديقتها وهي تقفذ كالكنغر...

- "أففف، over أوي"

فردت ذراعيها للأعلى ثم ثنت نفسها ولمست الأرض راغبة في المزيد من الاستطالة لعضلاتها، رفعت رأسها ثم ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وهي ترى (صلاح) يهبط من سيارته... لم يخفق قلبها عند رؤية شخص ما منذ أعوام، وها هو يخفق الآن... كان يقطب حاجبيه وهو يدير رأسه في المكان باحثا عنها، رفعت يدها ولوحت له ورفعت صوتها وهي تنادي "صلاااح" فالتفت ناحيتها وابتسم وتقدم منها وهو يبدو عليه ارتباك يحاول أن يخفيه...

- "صباح الخير"
- "صباح الخير يا (صلاح)، wow, you look prepared"

- "ميرسي، ها، إيه الأخبار، حنعمل إيه"
- "خلاص، تقريبا كله موجود، حنبدأ دلوقتي ن warm-up وبعدين شوية stretches ونجري علطول"
- "طيب تمام"
- "بس حتيجي معانا الكافيه بعد الجري، it's an obligation"

رد (صلاح) وهو ينظر في ساعته:

- "حيبقى صعب شوية، أنا عندي معاد كمان ساعة ونص كدة"
- "معاد أيه ده، ال girl friend؟"

ضحك (صلاح) دون أن يجاوب... رفعت (ماهي) حاجبيها وهي تنظر إليه محاولة استنتاج الإجابة..

- "أيه يا ماهي، مش يلا؟ سوري معلش... هاي... (لينا)"
- "(صلاح)"
- "هاي... "

ثم نظرت لـ(ماهي) نظرة متسائلة فابتسمت (ماهي) في غيظ.

- "(صلاح) دكتور معايا في الصيدلية، (لينا)، she's my best"
- "إزيك يا (لينا)"
- "انا كويسة، أنت حتجري معانا انهاردة؟"
- "آه، (ماهي) قالتلي إن الجروب ظريف فقلت آجي أجرب"

- "حتتبسط معانا، it's so fun"

- "أكيد"

كانت (ماهي) تتابع نظرات (صلاح) و(لينا) لبعضهما البعض... هل هذا حب من أول نظرة أم ماذا؟ هي تعرف (لينا) جيدا، لن تتورع تلك البائسة أن تتمادى مع (صلاح)، ليس لشيء معين، فقط للتسلية، (لينا) آخر من يكترث لعلاقة جدية، لكن نظراتها لـ(صلاح) لا تحتاج لشرح... هذه نظرة امرأة يعجبها رجل...

- "(يوسف)، يلا بينا، ال warm-up حيبتدي"

قالتها (ماهي) وتأبطت ذراع صلاح... قفَّ الشعر في مؤخرة عنق (صلاح) ونظر إلى (ماهي) مندهشا... هذه خطوة جريئة لم يكن يتوقعها... خطوة في علاقة لا يعرف حتى ماذا تعني... أحست (ماهي) بهذا من نظرة (صلاح) فسحبت ذراعها في إحراج... ابتسمت (لينا) في سخرية وهي تشاهد هذه العلاقة المريبة...

- "الله، بصوا..."

قالتها (لينا) وهي تشير إلى السماء... وعلى الفور نظر (صلاح) و(ماهي) إلى ما تنظر إليه (لينا)...

كان هناك سرب ضخم جدا من طيور النورس يقترب منهم... منظر جميل ومهيب... بدأ الصمت يعم المكان تماما والجميع يشير لهذه الظاهرة العجيبة

والجميلة في نفس الوقت... مئات الطيور تحلق في السماء فوقهم وتقترب منهم... ظلوا يتابعونها وهي تقترب أكثر من اللزوم الآن... بدأت الضحكات العصبية ونظرات التوتر تنتشر على الوجوه... لم يروا من قبل سرب بهذا الحجم أو هذا القرب، العجيب أنه كان يقترب أكثر فأكثر... بالتأكيد سيتوقف الآن، لا يوجد سرب طيور في العالم يتصرف بهذه الطريقة العجيبة... بدأت الهمهمات تعلو والسرب الآن على بعد حوالي العشرين مترا ويقترب، عشرة أمتار، ثم ..

ثم توالت الصرخات النسائية...

(صلاح) متسمر في مكانه وقد فقد القدرة تماما على التفكير... شخص ما يتشبث بذراعه ويصرخ، لا يعرف إن كانت (ماهي) أم (لينا)، سحب تلك اليد إلى الأرض وهو يثني نفسه متفاديا إحدى الطيور التي كانت على وشك الارتطام به... سحب الشخص صاحب اليد وجرى، أين السيارة؟ ارتطم شيء ما بظهره، لم تكن الصدمة قوية لكن فكرة أن يحدث لك شيئا ما لا تدري تفسيره كانت كفيلة بإثارة الرعب في قلبه... وصل أخيرا للسيارة ووضع إبهامه سريعا جوار مقبض الباب ففتحت أبوابها... دخل ووجد أن (ماهي) تغلق بابها وتصرخ فيه أن يتحرك بالسيارة...

- "(لينا) فين؟"

- "سيبك من (لينا) دلوقتي، يلا بسرعة"

ارتطم شيء ما بزجاج السيارة الأمامي، أطلقت (ماهي) صرخة تصم الآذان أتبعتها بصرخة أخرى وهي ترى ذلك النورس الذي التصق بالزجاج فاردا جناحيه وقد بدا أنه لن يطير مرة أخرى... تسمرت عينا (صلاح) على الطائر وقد تصلبت أطرافه تماما... أمسكت (ماهي) بذراعه وصرخت فيه مرة أخرى:

- "(صلاح)، يلا أبوس إيدك"

أفاق (صلاح) من الصدمة وتحركت يداه وقدمه لتنطلق بالسيارة وسط الصرخات والسيارات التي انطلقت الآن على غير هدى يقودها مجموعة مذعورة... تفادى بالفعل سيارة كانت على وشك الارتطام به وسط صرخات (ماهي) وسمع صوت صدام قوي خلفه... لم ينظر... كان يفكر في شيء واحد فقط.. أن يهرب من هنا أولا ثم يسأل الأسئلة فيما بعد... خرج من الباركنج بأعجوبة وقد نجح في تفادي أشياء لا يعرف سيارات كانت أم أشخاص... وما أن خرج إلى الطريق الرئيسي حتى تنهدت (ماهي) وقالت وهي تتلفت وراءها لتتأكد أنهم فعلا هربوا من تلك النوارس:

- "(صلاح)، أنا مش فاهمة حاجة، إيه اللي حصل ده؟"

لم يرد (صلاح)... ما حدث الآن لا يعرف تفسيره... دائما ما خاف مالا يفهمه... وهو الآن لا يفهم شيئا... لا يفهم شيئا على الإطلاق...

❁ ❁ ❁

"١٢"

جلس (يوسف) شاردا في نفس كرسيه داخل المقهى، كوب القهوة على المنضدة بجانبه بارد ولم يُمَس... إذا اقتربنا من وجهه لوجدناه مختلفا أكثر عن المرة السابقة... ذقنه نامية للغاية حتى صار أشبه بالمشردين، عيناه غاب فيهما البريق... هذا رجل فقد القدرة على الحياة...

طبقا لمعلوماته فهو الآن الوحيد الذي استمع إلى تلك المكالمة التي سجلها (وليد)، هو الوحيد الذي رأى جثته، هو الوحيد الذي طلبت منه (حلا) أن يساعدها، ومع كل هذا لم يفعل شيئ، كعادته لم يفعل شيئ... كف تماما عن خوفه من أن يفتك به أحدهم، طالما لم يقتله أحد حتى الآن فلن يقتله أبدا، حتى مع معرفته لكل تلك التفاصيل لم يكترث أحد أن يقتله، هو أتفه من ذلك... ابتسم في سخرية، لن يضيع قاتل مأجور أو إنسان آلي يحترم نفسه وقته الثمين في قتل شخص مثله... سيموت ميتة تافهة مثله وستخجل (ماهي) هي الأخرى من أن تخبر أحدهم بميتته هذه، ستختلق سببا آخر للوفاة تخبرهم به، بالتأكيد ستفعل...

أصدر هاتفه تلك النغمة السخيفة، على نظارته ظهر اسم (فادي مارك)... فادي؟ هو ليس صديقه بالمعنى المفهوم، ارتادا نفس الجامعة، ليال من المذاكرة البغيضة في شقة أحد زملائهم، رحلات مع تلك المجموعة ندم

وندموا جميعا على الذهاب إليها، ثم "خروجات" مرة كل أسبوع، ثم كل شهر، ثم مرة كل حين عندما يكون لديهم البال الرائق والوقت الكافي ليلتقوا ولم يكن لديهم أيا منهما بالطبع... عذرا (فادي)، فحالتي الآن لا تسمح لي حتى بشرب تلك القهوة التي تحولت لقهوة مثلجة الآن... ضغط على جانب نظارته فاختفى صوت نغمة الهاتف...

متى قرر هو وأصدقاؤه/زملاؤه أن يكفوا أن يكونوا أصدقاء/زملاء؟ هو حتى يجد صعوبة بالغة في تذكر وجه معظمهم الآن...

نغمة الهاتف مرة أخرى... (فادي مارك)، تبا لك يا (فادي)، لماذا لا يخرس هذا الهاتف قليلا؟ يصمت عندما تشتاق إلى أن يتحدث إليك أي شخص، ولا يكف عن العويل عندما تشعر أنك على وشك أن تقتل أحدهم... مد يده بسرعة إلى جانب نظارته ليخرس هذا الصوت الذي كان يضغط على أعصابه الآن وأخذ يتابع اسم (فادي) وهو يرقص أمامه على زجاج النظارة... ولم لا؟ قد يحتاج إلى سماجته قليلا، قد يذكره بمصيبة ما فعلاها سويا فيضحك وينسى، هل فعلا يريد أن يضحك؟ (وليد)... هو لا يستحقها، لكنه سيموت إن لم يفعل، إن لم يتخطى ذلك الشعور القاتل... رفع يده أخيرا إلى الجانب الآخر من النظارة وانتظر حتى سمع صوت (فادي)...

- "(يوسف)، أخبارك إيه؟"

"(يوسف)"؟ (فادي) لم يناديه بـ(يوسف) منذ أن مر على تعارفهم أسبوع ليس أكثر، دائما ما يستخدم "يا مَعَلِّم"، يا "اسطى" يا "برنجي" لكن (يوسف)؟

- "إزيك يا (فادي)"
- "إيه الأخبار يا (يوسف)، بقالك فترة مختفي"

صوت (فادي) ليس مرحا على غير العادة، هو لا يمزح، لا يضحك بين كل كلمتين، كما إنه يناديه بـ"يوسف"... هناك شيء ما ليس على ما يرام...

- "إيه، أنت فين؟"
- "مرمي عالقهوة"
- "طيب أنا جايلك"

(فادي) ليس على ما يرام... إذا كان قادما ليحكي عن مشكلة ما فقد اختار الوقت الخطأ والشخص الخطأ... قال بسرعة:

- "بص، أنا مش عارف حفضل قاعد لإمتى"
- "أنا خمس دقايق وحبقى عندك"
- "أنت صوتك عامل كده ليه يا معلم؟ في حاجة؟"
- "لما أجيلك يا (يوسف)، لما أجيلك"

قالها وأنهى المكالمة... تبا، لقد أمل في أن يأتي أحد أصدقائه المرحين ليخرجوه قليلا مما هو فيه وها هو (فادي) في الطريق إليه ليحكي له عن

مشكلة ما ويتوقع أن يعطيه رأيه بالتأكيد ناهيك عن أن يسمعه من الأساس... دقائق ووصل (فادي) بالفعل، عناق مع كثير من "عجزت يابن ال$#%#".. (فادي) كما هو، لا يستطيع أن يقول كلمتين دون أن تكون الثالثة سبة أو مزحة، لكن شيء ما في ملامحه يشي بأنه لم يأتِ إلى هنا والآن ليتسامرا... هناك مصيبة ما وسيعرفها حالا...

- "إيه الأخبار يا معلم؟"

- "تمام يابو (فادي)، سيبك مني، شكلك مضلم إيه في إيه؟"

نظر له (فادي) ولم يرد... (فادي) ليس مكتئبا، (فادي) محرج، لو كان الموضوع له علاقة بقدراته الجنسية التي اختفت ومشاكله مع زوجته بسبب ذلك فسيقوم (يوسف) بسبه ثم يرحل...

- "ما تخلص يا عم (فادي) مش فايقلك"

- "ماشي يا معلم، ...ممم... (يوسف) أنت إيه أخبارك مع (ماهي)؟"

نظر له (يوسف) بغيظ... ليست هذه البداية المثلى للتحدث عن مشاكلك الجنسية بمقارنتها مع شخص آخر أيها الأبله...

- "أخباري معاها إزاي يعني؟"

- "ممم، يعني، آآآ، انتوا كويسين مع بعض، في مشاكل، خناقات حاجات من ده؟"

شعر (يوسف) بالدم يصعد إلى رأسه... سيرحل (فادي) لكن بعد أن يُفرِغ فيه (يوسف) كل طاقته السلبية وإحباطه واكتئابه... لقد أتيت في

وقتك أيها التعس... مط (يوسف) شفتيه وبدأت تلك النظرة تظهر في عينيه وتنذر بعاصفة قادمة...

- "عايز إيه يا (فادي)؟"

اقترب (فادي) بكرسيه منه ثم قال بصوت خافت بعض الشيء:

- "يوم الجمعة اللي فاتت، فاكر؟ اليوم اللي العصافير بهدلت فيه الدنيا دي"

(يوسف) يتذكر ذلك اليوم بالطبع، كل مواقع التواصل نشرت مقاطع فيديو صورها بعض الموجودين وقتها لطيور النورس تلك وهي تهاجمهم، لابد وأن أعصاب هؤلاء فولاذية أو هم فاقدي العقل تماما... لا يعتقد أنه كان سيكون رائق البال فيلتقط بعض الصور إذا ما هاجمته طيور ما، كل ما سيبحث عنه وقتها سيكون وسيلة للفرار، ليس أكثر. لكن ما علاقة ما حدث يومها بمشكلة (فادي)؟ يجب أن ضعف قدراته الجنسية قد أثر على عقله... أومأ (يوسف) برأسه كناية على أنه يتذكر ذلك اليوم وفتح كفيه ورفع كتفيه للأعلى كناية عن عدم الفهم...

- "كنت يومها رايح أجري عالبحر شوية، في مجموعة كدا واحد معايا في الشغل قالي عليها وقاللي ماتيجي معانا، فقلت أروح"

- "طيب وإيه المشكلة في كدا، في عصفورة عضتك مثلا في حتة مش اللي هيا يعني؟"

- "اصبر بس، رحت بدري شوية أنا والواد اللي بقولك عليه ده، شوية كدا ولقيت (ماهي) وصلت"

قطب (يوسف) جبينه وهو يحاول استنتاج ما يريده (فادي)...

- "آه (ماهي) بتروح تجري عالبحر يوم الجمعة برضو، تصدق أنا نسيت أسألها على موضوع النورس ده، وأنت بقى في وسط المجاميع اللي بتجري عالبحر كلها مالاقيتش غير الجروب بتاع (ماهي) علشان تجري معاهم، يا زين ما اخترت الحقيقية... ماشي، رحت لقيت (ماهي)، عصافير جرت وراكو، في إيه يا (فادي) ما تخلص؟"

- "وطي صوتك بس علشان الموضوع ما يستحملش"

- "طب اخلص قول في ايه"

- "(ماهي) ماكانتش لوحدها، في واد كدة، شاب، عضلات وفورمة الساحل وبتاع، وصل بعدها واآآآ، يعني، آآآ كان معاها"

تسمرت نظرة (يوسف) تماما

- "كان معاها إزاي؟"

- "يعني، آآآ لما وصل شاورتله، ورحلها على طول، في واحدة كانت وقفت معاهم بعدها بس كان باين إنه لسا بيتعرف عليها، يعني، شكله كان يعرف (ماهي) بس"

- "طيب مش ممكن يكون حد من الجروب ويعرفوا بعض عادي، ماهو أكيد الجروب في رجالة وستات"
- "بص يا (يوسف)، هو كان في لقطة كدة، آآآ، (ماهي) يعني، آآآ أنجچته، مسكت دراعه وكانوا جايين عند الحتة اللي أنا واقف فيها، اللي كنا حنعمل فيها استرتشات لو كان اليوم كمل بس العصافير بقى هجمت والدنيا باظت. المنظر كان زفت الصراحة، ولو أنا معرفش (ماهي) كنت قلت دي واحدة جية مع خاطبها يجروا عالبحر "

لم يرد (يوسف)... كان الآن يشعر بصدره وقد صار وزنه عدة أطنان...

- "معلش يا (يوسف)، أنا عارف إن الموضوع زبالة بس أنا قلت لازم أقولك يا صاحبي. انت شوف بقى حتتكلم معاها إزاي، بس واحدة واحدة كده عشان الموضوع ما يستحملش"

كان (يوسف) الآن لا يحتمل كلمة أخرى... لم يقل شيئا، وجهه وعيناه تكفلتا بذلك... نهض (فادي) واقترب من (يوسف) ووضع يده على كتفه وقال بصوت خافت:

- "(يوسف) أنا آسف والله، أنا بس ماكونتش عارف أعمل إيه، انت كنت لازم تعرف... أتكلم معاها يا (يوسف)، ممكن يبقى الموضوع أبسط من كدة، ممكن أبقى فاهم غلط، يطلع قريبها مثلا وأنا معرفوش، أتكلم معاها انت بس"

قالها ورحل تاركا (يوسف) وسط تلك السحابة السوداء التي شعر وأنها تغطي كيانه الآن...

(ماهي) كانت تتأبط ذراع شخص ما... صحيح أنه يكرهها، صحيح أنه صار يسعد لمجالسة خنزيرا بريا أكثر من مجالستها، لكنها زوجته... المشاهد تتوالى أمامه الآن بسرعة البرق...

وبهدوء لا يعكس ما يشتعل بداخله، لملم أشياءه وانصرف...

"١٣"

مشى (يوسف) لا يلوي على أي شيء...

اتجه إلى البيت، دون أن يدري حقيقة ماذا سيفعل... هو لم ينهر (ماهي) على أي شيء طوال حياتهما معا، لا عن ملابسها، لا عن تصرفاتها، حتى عندما يتعلق الأمر بـ(زينة) كان الأمر يشبه نقاش حاد ليس أكثر، لم يشعر (يوسف) أنه رب الأسرة كما كان ينبغي له أن يكون، الحقيقة أنه هو من لم يسعَ لذلك، والآن من المفترض أن يذهب إلى البيت ويواجه (ماهي) بما عرفه ويتصرف طبقا لردها، حيث سيكون عليه إما أن يطلقها، أو علقة ساخنة ثم يطلقها... لا، بل سيقتلها... هذا أفضل كثيرا...

كان يفكر بصوت مسموع الآن... أي أحمق كان كي يتركها ترتدي تلك الملابس الملفتة وتضع صورها بنفس ذات الملابس على مواقع التواصل الاجتماعي؟... ماذا كان يتوقع؟ أليس هناك بين آلاف "اللايكات" رجل سيعجب بها ويتمنى أن يحظى بتلك الفاتنة؟ كيف لم يكترث أن يدخل حتى ليعرف من أعجب بصورها؟ كيف سمح لها بهذا؟ ثم لماذا يتكلم عن الصور وهو من الأصل يدعها تخرج من البيت هكذا؟ وسط سخط أمه التي لا تزال تحتفظ باحتشامها، وها هو يجني ثمار ما اقترفه... لم يحتاج أبوه أن يقول لأمه ماذا ترتدي، فهو اختارها لأنها تعرف... تعرف الصواب من الخطأ،

تعرف كيف تكون ربة بيت، وإن لم تكن تعرف فهو واثق أن أباه كان سيعرف كيف يجعلها تعرف... نظرات أبيه إليه يوم الزفاف وذلك الفستان العاري الذي ارتدته (ماهي) قالت كل شيء، هو فقط لم يرد أن يرى... كان يريدها، يريد لتلك الفاتنة أن تشاركه حياته، وقد كان...

كان قد وصل إلى البيت الآن، نظر إلى الشرفة حيث شقتهم هو و(ماهي) وأخذ نفسا عميقا وهو يغلق عينيه بشدة ثم فتحهما واتجه إلى مدخل البناية...

وعلى باب الشقة سمع صوت ضحكاتها وهي تتحدث في الهاتف...

فتح الباب ودلف إلى داخل الشقة واتجه إلى حيث (ماهي) التي كانت تتسكع وتدور حول نفسها في الصالة كعادتها كلما تحدثت في الهاتف... وقف أمامها فأشارت إليه كي يصبر قليلا وهي تعقد حاجباها في غضب ودارت حول نفسها لتذهب للجهة الأخرى من الصالة... أمسك (يوسف) بيدها وجذبها إليه وهو ينظر إليها مباشرة وفي عينيه نظرة تنذر بالشر... صرخت (ماهي) وقد آلمتها الجذبة وحاولت أن تفلت يدها فزاد (يوسف) من قوة مسكته فصرخت وهي تنظر له في خوف... كان هناك صوت نسائي يصدر من الميكروفون "ماهي، ماهي، في إيه، بتصرخي ليه؟"... انفجر فيها (يوسف) وعيناه تدلان على أنه قد فقد الكثير من عقله إن لم يكن قد فقده بالكامل بالفعل.

- "اقفلي الزفت ده دلوقتي"

نظرة الخوف في عيني (ماهي) قد تحولت الآن إلى الرعب...

- "في إيه يا (يوسف)، أنت بتعمل كدة ليه"

- "بقولك اقفلي الزفت ده دلوقتي، اخلصي"

- *"(ماهي)، مين اللي بيزعق ده؟ ما.."*

امتدت يد (ماهي) لتنهي المكالمة وهي تنظر إلى (يوسف) في رعب.

- "كنتي مع مين يوم الجمعة اللي فاتت؟"

اتسعت عينا (ماهي) وقد أفقدها الرعب القدرة على الكلام.

- "اتنيلي ردي، مين اللي كان معاكي يوم الجمعة؟"

ابتلعت (ماهي) ريقها بصوت مسموع وحاولت أن تسحب يدها مرة أخرى فجذبها (يوسف) إليه حتى التصقت به فشهقت بصوتٍ عالٍ وعيناها متسعتان بشدة...

- "ردي بدل ما حمرمط بيكي البيت كله"

استمر اتساع عيناها وحاولت أن تتماسك لكن جسدها كان يرتجف بالكامل... ظهرت (زينة) في تلك اللحظة من حجرتها وخرجت تجري تجاههم ثم توقفت وهي تشاهد ذلك المشهد... قال لها (يوسف) بصرامة:

- "ادخلي جوة دلوقتي يا (زينة)"

نظرت له (زينة) في عدم فهم...

- "بابا؟!"

رفع (يوسف) صوته وصاح فيها قائلا:

- "ادخلي جوة دلوقتي"

قفزت (زينة) في مكانها وقد ظهر على وجهها الصدمة وانطلقت تجري إلى حجرتها وأغلقت الباب خلفها... كانت هذه أول مرة يتحدث فيها إلى (زينة) أو (ماهي) بهذه الطريقة لكن وقت التعقل قد ولى الآن... نظرت له (ماهي) في رعب وقالت وهي ترتجف:

- "(يوسف)، أنت إيه اللي بتقوله ده، يعني إيه كنت مع مين؟ أنا كنت بجري مع الجروب بتاعنا يوم الجمعة، وبعد كده حصل موضوع النورس اللي كل الناس اتكلمت عنه ده، أنت حتى ماسألتنيش عملت إيه يومها"

- "وأديني بسألك دلوقتي يا هانم، مين اللي كان معاكي بقى يومها؟"

- "يا (يوسف) بقولك كنت مع الجروب"

- "آه، ومين في الجروب بقى اللي كنتي مأنجچاه ده؟"

وضعت (ماهي) يدها الأخرى على فمها وعيناها تشي بما يدور داخل عقلها... كيف عرف؟

- "ده (صلاح)، (صلاح) الدكتور اللي بيشتغل معايا في الصيدلية"

اتسعت عينا (يوسف) هو الآخر، فلم يكن يتوقع هذا...

- "(صلاح)؟"

- "آه، ده معانا في الجروب"

- "ماسكة دراع الدكتور اللي بيشتغل عندك في الصيدلية إللي في نفس الوقت بقدرة قادر بقى معاكي في الجروب برضو ليه؟"

قالت بصوت أكبر إلى البكاء:

- "(يوسف)، أنا...، انت مش فاهم، مش زي مانت فاهم"

- "أمال إزاي، فهميني"

- "(يوسف)، إحنا... هو... إحنا ... (صلاح) ده under age أصلا، ده أصغر مني بعشر سنين تقريبا"

استمر (يوسف) بالنظر إلى عينيها عبر تلك المسافة الصغيرة التي تفصل بينهما دون أن تفارق عيناه تلك النظرة المخيفة...

- "انتي بتكدبي يا (ماهي)، انتي كدابة!"

جذبت (ماهي) يدها هذه المرة بقوة أكبر ودفعته في صدره فأفلت يدها وتراجعت للخلف دون أن تنزل عيناها من عليه ودون أن يفارق الخوف عينيها...

- "أنت أكيد اتجننت، أنت مش طبيعي... (صلاح) إيه ده اللي أبصله؟ أنت مين دخل في دماغك الموضوع ده أصلا؟ مين حكالك الحكاية ال fake دي؟"

- "واحد شاف سيادتك وانتي ماسكة دراع العيل اللي معاكي في الصيدلية"

- "(يوسف)، أنت بتفكر إزاي؟ اليوم كله كان ملخبط والحاجات دي هجمت علينا فجأة كدة ومابقيناش عارفين نعمل إيه، كنا بنجري في كل حتة ومش فاهمين إيه اللي بيحصل... (يوسف) أنا ممكن أكون مسكت دراعه واحنا بنهرب مثلا، أنا مش عارفة انت إزاي بتشك فيا؟ إزاي تتخيل إني ممكن أعمل كدا؟"

ضحك (يوسف) في سخرية مريرة وقال بنفس النظرة المجنونة في عينيه:

- "يمكن عشان ماعندوش كرش زيي؟"

قالها واقترب منها مرة أخرى فتراجعت للوراء ثم انفجرت تصرخ في هيستيريا:

- "ده كل اللي مضايقك؟ مش كده؟ إني قلتلك إنك بكرش؟... انت مش حاسس بحاجة، مش شايف غير نفسك، عارف أنا حاسة بإيه؟ عارف قد إيه أنا عايزاك معايا؟ عايزاك تشاركني كل حاجة بعملها؟ أنا قلتلك كام مرة تيجي معايا في الجروب بتاع الجري ده يا (يوسف)؟ كام مرة وأنت بتتحجج، كل مرة بحجة شكل لغاية ما بطلت أقولك؟ كان المفروض انت اللي تكون معايا يومها يا (يوسف)، انت مش (صلاح) "

نظر لها (يوسف) ولم يرد... كان يعرف تماما أنها لم تخطئ في كلمة واحدة... سيناريو طبيعي لاثنين من عوالم مختلفة... (يوسف) كان يهرب من وجودهما معا... من الاعتراف أنه أخطأ عندما تزوجها وأخطأ أكثر عندما لم يصلح ذلك الخطأ قبل فوات الأوان... قبل (زينة)... غضبه الهادر من (ماهي) لم يكن إلا غضب من نفسه، من خنوعه... كان ينظر إلى الأرض الآن وهو يشعر أن رأسه على وشك الانفجار... لم يعد يطيق كل هذا...

- "الحياة بينا بقيت صعبة أوي يا (يوسف)... أنا خلاص مش قادرة استحمل أكتر من كدة... إحنا لازم نتطلق"

اندفعت (ماهي) تجري إلى حجرتها تاركة (يوسف) على نفس الوضع... لم يمر الكثير حتى كانت (ماهي) تغلق باب الشقة خلفها وفي يدها (زينة) وسط بكاء الأخيرة الذي يمزق نياط القلوب...

وها هو وحده مرة أخرى...

لم يشعر (يوسف) كم كانت حياته بناية بلا أعمدة حتى الآن... انهار كل شيء فجأة، لم يكن ليتصور هذا منذ أسبوع واحد... كان يملك شيئا من كل شيء... صديق، زوجة -وإن لم يكن يحبها- ابنة... ثم لا شيء... هو حتى لم يدافع عن أي من تلك الأشياء... تركهم يرحلون هكذا، بلا معركة، بلا حرب، ما حدث بينه وبين (ماهي) كان متأخرا جدا... لقد فقدها كما فقدته ولكن منذ فترة طويلة وليس الآن فقط... ليس متأكدا إن كانت فعلا تخونه أم لا... تتابعت أمام عينيه لقطات له مع (ماهي) و(زينة) و(وليد)...

صوت تليفونه يرن... اسم (حلا سليم) يتراقص على الشاشة... لم يتحرك (يوسف) لبضع ثواني ثم رفع يده إلى إطار النظارة.

- "باشمهندس (يوسف)، مساء الخير...آآآ بكلم حضرتك في وقت مناسب؟"

- "عايزة إيه دلوقتي؟"

- "أنا آسفة إني بكلمك تاني بس ... أنا مش عايزة أبقى زنانة، بس أنا مش عارفة أعيش حياتي عادي كده بعد اللي حصل لـ(وليد)، أنا حاسة إني ماليش لازمة، إحنا ما ينفعش نسكت كده، لازم نعمل حاجة... هو مش (وليد) ده صاحبك؟"

لم يرد (يوسف)...

- "إللي حصل لـ(وليد) ده ممكن كان يحصل لأي حد فينا، هو بس اللي حظه وقعه في إنه يعرف حاجة مش مفروض يعرفها"

لم تتلقَّ رد أيضا فأكملت وهى تبتلع ريقها بصوت مسموع:

- "(يوسف) ... إحنا ممكن ندور في بيته"

تذكر (يوسف) منزل (وليد)... هو الآن أمام باب الحمام ويستعد لدفع الباب... خطواته بطيئة، يحاول أن يسرع فلا يستطيع... كأنه في حلم... ذلك اللجين الذي يحيط بالسيقان فيجعل الإسراع مستحيل...

- "(يوسف)، أنت قفلت؟ (يوسف)؟"

- "بلاش موضوع البيت ده"

- "أنا عارفة، انت قلتلي إنك شفته، بس لازم نعمل حاجة، عشان خاطري"

- "انتي ماشفتيش حاجة، ماتعرفيش حاجة"

- "بس أنت شفت، والمفروض ده يخليك عايز تعمل حاجة أكتر مني، اللي اتعمل فيه كده ده كان صاحبك"

آه من شعور الجبن هذا...

- "(حلا)، الشقة ده (وليد) اتقتل فيها، مش حنعرف ندخلها من الأساس"

- "نحاول"

- "ممكن يتقبض علينا، ممكن يكون البيت متراقب، ممكن أي حاجة، انتي مش عارفة دول مين"

- "آه بس أنت عارف، وساكت... (يوسف) لو مش عايز تيجي أنا حروح لوحدي"

- "تروحي لوحدك؟ وحتدخلي إزاي ان شاء الله؟"

- "أنت متأكد ان انتوا كنتوا صحاب؟"

قالتها (حلا) وأنهت المكالمة...

ليس هناك أسوأ من أن تشعر أنك بلا قيمة...

مبارك يا فتى، فلقد برهنت بكل الوسائل أنك لا تستحق حتى هذه الحياة البائسة التي تعيشها...

لم يكن يعرف ماذا يفعل... كل شيء انتهى ولم يعد له دافع حتى ليعيش...

اتجه إلى حجرته هو و(ماهي) بخطوات بطيئة...

فتخلد للنوم أيها التافه -هذا لو أتاك من الأساس- فلديك عمل لتذهب إليه غدا حتى تستطيع تكمل حياتك التافهة بلا صديق، بلا زوجة وبلا كرامة...

❁ ❁ ❁

"١٤"

لم ينم (يوسف)... ظل يحدق في سقف الغرفة وعيناه مفتوحتان عن آخرهما... الساعة السابعة... أمس عندما ظل مستيقظا حتى الرابعة كان قد قرر ألا يذهب إلى العمل، والآن، وبعد أن تخطت السابعة قرر أنه لو بقيَ في المنزل أكثر من هذا فسيكون أول ما يفعله بعد أن يقوم من الفراش هو أن يقفز من الشرفة...

أمضى ما يزيد عن النصف ساعة في الحمام، يبدو أن حتى عصارته تأبى تتحرك... لا يدري ما هي علاقة الإمساك بالحالة النفسية لكنه أدرك التشابه الواضح بين حياته وبين ما يحدث الآن: كل هذا المغص ومحاولة إفراغ ما في قولونه لم ينتج عنها سوى غازات البطن التي ملأت سماء الحمام، نعم، بعد تلك الأعوام التي قضاها على هذا الكوكب حياته ليست سوى غازات بطن...

نصف ساعة أخرى مرت ثم ها هو ينطلق بسيارته تجاه الشركة... إحساس عدم النوم هذا جعله يشعر وكأنه يحلم، ليست هذه حياته الحقيقية، سيستيقظ الآن ويذهب إلى المقهى ليقابل (وليد)، سيعود بعدها للبيت ليجد (ماهي) وقد أعدت له الطعام وهي تنتظره بابتسامة... هو يحلم أنه يقود هذه السيارة، ليس إلا... لكنه يعرف أن هذا الحلم أجمل من أن

يكون واقعيا، ذلك المغص الذي يعتصر أحشاءه يشي بأن كل هذا حقيقي، (وليد) قُتل، (ماهي) تركته، وحياته بلا معنى كما هي...

وصل إلى الشركة بعد الثامنة والنصف بدقائق قليلة، لا يهم.. أن يصل متأخرا خير من ألا يصل من الأساس... أوقف سيارته وترجل منها ثم اتجه إلى ذلك المبنى الذي صار مصنعا للطاقة السلبية مثله مثل منزله... استقل المصعد الهوائي وهو ينظر إلى انعكاس وجهه في المرآة ثم أشاح بنظره، فقد صار لا يتحمل المزيد من الاكتئاب...

العمل مرة أخرى... ذات المكان الكئيب الذي يمتلئ عن آخره بلاعقي الأحذية إلا ما رحم ربي... لا بأس، هذا أفضل من المكوث وحيدا فالاكتئاب فالانتحار، على الأقل سيحظى برفقة أحدهم بدلا من رفقة نفسه التي لم يعد يطيقها... الصوت الأنثوي يلقي عليه التحية فيتجاهله، الممر الذي يؤدي إلى تلك الصالة البغيضة التي يقع فيها مكتبه ومكاتب زملائه، حجرة (موسى) التي يقع في نهاية الطرقة، ثم...

- "ما بدري يا باش مهندس (يوسف)"

صوت (أحمد النرش) الجهوري يرن في الصالة، ينظر له الجميع، رباه، كم يبغض نظرات الناس، تلك التي تحيل سلامك النفسي -لو كان عندك واحدا من الأساس- إلى جحيم، لا خصوصية مع نظرات الناس، لا أسرار، أنت أمامهم الآن عارٍ تماما، لابد أنهم شاهدوه جميعا وهو يهرب من شقة (وليد)... تحامل على نفسه وقال:

- "إزيك يا ريس"

- "جاي الساعة ٨:٣٠ وبتقولي إزيك يا ريس، طب والله فيك الخير"

شعر (يوسف) بآلام معدته مرة أخرى، تبا لتلك العصارة التي لا تريد أن تتحرك، لا ينقصه سوى (أحمد النرش) كي يقضي على البقية الباقية من محاولته الواهية لأن يبدو على ما يرام...

- "راحت عليا نومة معلش"

ضحك (أحمد) في سخرية وهو ينظر إلى بقية الموجودين في الصالة كأنه يطلب رأيهم في جودة تلك النكتة التي سمعها...

- "نوم العافية يا عم (يوسف)، إيه، طبقت قدام التليفزيون ولا (زينة) نامت بدري؟"

- "بتقول إيه يا ريس؟"

- "أصل أكيد ماعندكش حاجة تعملها غير الاتنين دول، يا نايم فوق الكنبة يا نايم فوق ال... سرير"

توتر الجميع وهم يتبادلون النظرات بين (يوسف) و(أحمد)... جميعهم يعرفون مزاح (أحمد) المنافي للأدب في كثير من الأوقات، لكن ما يقوله الآن قد تخطى حاجز المزاح بالتأكيد...

- "معلش يا ريس سؤال بس، هو أنت مال أمك؟"

تسمر الجميع وتوقف المشهد تماما... وقف (أحمد) ونظر إلى (يوسف) في ذهول...

- "أنت بتقول إيه؟!"

رد (يوسف) بتلقائية:

- "مافيش يا ريس، بقولك أنت مال أمك"

احمر وجه (أحمد) بشدة وقال بصوت هادر:

- "أنا مال أمي؟ أنا بقى حوريك أنا مال أمي، بتشتم مديرك؟ ده أنا حطلع..."

لم يكمل (أحمد) الكلمة فقد قفز (يوسف) وأمسك بياقته وهو يرفع يده الأخرى استعدادا لضربه... اندفع الموجودون نحو (يوسف) و(أحمد) وأمسك أقربهم بيد (يوسف) قبل أن تصل إلى (أحمد) وأمسكه آخر من وسطه وهو يجذبه بعيدا عن (أحمد) الذي كان يرغي الآن ويزيد...

- "عايز تضربني؟ ده أنا مش حرفدك؟ ده أنت تتف على وشي لو اشتغلت في حتة تانية، أنت فاشل يلا، ..."

خرج (موسى) من مكتبه ممسكا بنظارة القراءة في يده وهتف في الصالة التي أصبحت كسوق الخضار الآن:

- "إيه اللي بيحصل في إيه؟" ثم اقترب من (أحمد) الذي يثق فيه ثقة عمياء وسأله في حدة "في إيه يا باش مهندس (أحمد)؟"

- "(يوسف) بيه بيقولي انت مال أمك وكان عايز يضربني، ماخلاص، ما بقتش شركة، شغالين في الوكالة احنا"

نظر (موسى) إلى (يوسف) الذي كان لا يزال وسط مجموعة من زملائه يحاولون تهدئته وقال:

- "إيه اللي بيقوله مهندس (أحمد) دا يا (يوسف)؟"

هتف (يوسف) في وجه (موسى) بغضب:

- "اسأله هو قال إيه الأول"

نظر (موسى) إلى (يوسف) نظرة تجمعت فيها كل بغض الدنيا وقال بصرامة:

- "يعني أنت شتمت مديرك فعلا وكنت عايز تضربه! والله عال! انت فاكر نفسك شغال فين، في زريبة؟"

رفع (إيساف) صوته وقال في غضب طفولي:

- "يا ريس مهندس (أحمد) زودها بصراحة المرة دي"

اندفع بعده صوت (زياد) قائلا:

- "أيوا يا ريس، الهزار مايوصلش لكدة"

ضحك (موسى) في سخرية وهو ينظر إلى (يوسف)...

- "يعني كان بيهزر معاك، وانت قلتله كدة وكنت عايز تضربه، ده أنت فعلا شغال في زريبة"

جن جنون (يوسف) وهتف بصوت يصم الآذان:

- "أيوا شغال في زريبة، بدام شغال مع بهايم مايعرفوش الصح من الغلط يبقى شغال في زريبة"

حاول أحد الواقفون أن يضع يده على فمه ليخرسه قليلا ويمنعه من أن يزيد من حجم المصيبة التي قد رمى نفسه فيها الآن لكن دون جدوى... صاح (موسى) بصوت هادر:

- "أنت موقوف عن العمل، ومتحول للتحقيق، يلا، امشي من وشي، اطلع برة الشركة بدل ما أجيبلك الأمن"

نظر (يوسف) إلى (أحمد) فوجده ينظر إليه بسخرية... خطة محكمة، مصيدة نصبها له (أحمد) ووقع هو فيها بكل سهولة... الحقيقة أن (أحمد) بذل أقل مجهود ممكن وتكفل (يوسف) بالباقي على أكمل وجه...

- "سمعت قلتلك إيه؟ يلا مع السلامة، تِفضَل في البيت لغاية لما الشئون القانونية يكلموك، اتفضل"

شعر (يوسف) بأحدهم يضع يده على كتفه وآخر يدفعه برفق كي يترك المكان دون المزيد من الخسائر... أسرع (يوسف) في خطاه واتجه نحو الباب فسمع خطوات تسرع خلفه وظهر (إيساف) و(زياد) بجانبه وقالا وهم يسرعان ليلحقابخطواته المسرعة:

- "ريس احنا معاك في التحقيق، قل لهم إن احنا كنا واقفين، كل الناس سمعت هو قال ايه"

- "بس يا ريس أنت ماكانش المفروض ترد كد....آآآ اللي حصل بقى، روق كده يا ريس، حتعدي على خير إن شاء الله"

كان (يوسف) يعرف تماما أنها لن تمر على خير، ما فعله الآن كاف تماما ليتم فصله بضمير مستريح، لن يدافع أحد عنه، سب وتهجم على مديره، لقد فعلها أخيرا وسيكون أشهر مهندسي مصر على الاطلاق، وكما وعده (أحمد)، لن يعمل في أي مكان آخر بعد ما فعله الآن... هز رأسه في غير معنى وأسرع يغادر المبنى...

كان يشعر أن أحشاءه موشكة على الانفجار... يمكنه الآن أن يقول بضمير مستريح أنه قد فقد كل شيء بالكامل...

وصل إلى السيارة فركبها ثم انطلق بها وما أن غادر بوابة الشركة حتى زاد من ضغط قدمه على دواسة الإسراع فانطلقت السيارة بسرعة جنونية... سيفعلها الآن، لم يعد يطيق هذه الحياة، سيظل على هذه السرعة حتى يرتطم بشيء ما... "*انذار، أنت تتخطى السرعة المسموحة وسيشكل هذا خطرا على حياتك وحياة الآخرين*" الصوت الأنثوي لبرنامج الملاحة في السيارة يحذره من المصيبة التي يوشك على الوقوع فيها لكنه لم يهتم... صوت نغمة الهاتف... اسم (حلا سليم) يرقص على زجاج النظارة مرة أخرى... تبا لكي يا (حلا)، فلتذهبي إلى الجحيم كما أنا ذاهب إليه الآن، سوف استرح من مكالماتك البغيضة وإلحاحك الذي يضغط على الأعصاب، سوف أسترح من

كل شيء، لن يستطيع شيء أن يملأني بالمزيد من الإحباط هناك، لن أكترث حتى لهم، لن يكترث أي منا، سأكون في السعير وسيأتون بعدي بالتأكيد، فليس هناك مكان لأمثالنا في الجنة... نغمة الهاتف تختفي ثم ثواني وبدأت من جديد... (حلا) لا تريد أن تتركني أموت بهدوء، حسنا، فلتحضر معي تلك اللحظة التاريخية في حياتي، فليؤرق صوت ارتطامي هذا منامها إلى الأبد... مد يده إلى إطار النظارة وعلى الفور سمع صوت (حلا)..

- "أنا قدام بيت (وليد) دلوقتي... (يوسف)، أنا قلت أقولك للمرة الأخيرة ومش حطلبها منك تاني"

ضحك (يوسف) ضحكة عالية تدل على انهياره تماما...

- "أنت بتضحك؟ بقولك نعمل حاجة علشان صاحبك تضحك"
- "آه أصلي رايحله في السكة"

الصوت الأنثوي يردد رسالة الانذار الآن كأعلى ما يكون وقد تخطى (يوسف) المائتي كيلومترا في الساعة...

- "رايح لمين؟ (يوسف) إيه الصوت ده، أنت سايق؟ أنت بتعمل إيه يا يوسف؟"
- "أنا زهقت من كل حاجة يا (حلا)، خلاص، أنا..."

لاحت أمامه فجأة سيارة نقل ثقيل، كان يندفع نحوها الآن بتلك السرعة الجنونية التي ينطلق بها، قلبه يخفق بسرعة جنونية هو الآخر... لم يشعر

كم هو صعب أن تتغلب على غريزة الحياة تلك... تسمرت عيناه على السيارة القادمة، صوت (حلا)، انذار السرعة، نفير السيارة التي صارت أقرب ما يكون الآن، أدار (يوسف) مقود السيارة قبل الارتطام بثواني وهو يضغط على المكبح، كان حسن الحظ أن سائق السيارة الأخرى قادها في الاتجاه الآخر وهو يحاول ألا تنقلب به، سيارة (يوسف) تتجه الآن نحو الرصيف، دار مقودها للناحية الأخرى وهو يضغط على المكبح أكثر فارتفع جانبها الأيمن عدة سنتيمترات عن الأرض، أدار (يوسف) المقود في محاولة للسيطرة عليها فدارت السيارة حول نفسها عدة مرات ثم ارتطمت بالرصيف وارتفع جانبها عن الأرض مرة أخرى قبل أن يهبط ثانية وتتوقف السيارة تماما...

لم يكن هناك مارة تقريبا لحسن الحظ، واحد أو اثنان ليس أكثر، صوت (حلا) تتساءل عما يحدث، "*صدام، جاري مسح مكونات السيارة لتقدير حجم الخسائر*" الصوت الأنثوي الصادر من السيارة يختلط بصوت (حلا)..

- "يوسف! في إيه. إيه اللي بيحصل؟"
- "أنا عملت حادثة، العربية آآآآ حصل خير"
- "حادثة؟! طب أنت كويس. حصلك حاجة؟ خبطت حد؟ في حد حصله حاجة؟"
- "أنا كويس يا (حلا)، كويس"

"*تم فحص جميع أجزاء السيارة... لا يوجد تلفيات... يمكنك الانطلاق بالسيارة مرة أخرى*"

- "أنت فيك حاجة طيب، اتعورت؟ (يوسف) أنت لازم تروح مستشفى... استنى، قوللي أنت فين وأنا حجيلك دلوقتي"

- "لا يا حلا، خليكي عندك، أنا جي دلوقتي"

سمع طرقات شديدة على شباك السيارة الجانبي... أجفل (يوسف)، هناك شخص يقف بجانب شباك السيارة ويطرق بيده على الزجاج وهو يشير لشيء ما... نظر فوجد السيارة النقل التي كان على وشك الارتطام بها متوقفة وقد صعدت عجلاتها فوق الرصيف وسقط أحد الصناديق التي تحملها على الأرض... يبدو أن من يطرق على زجاج السيارة الآن هو قائدها... كان يشير إليه أن يترجل من السيارة، لابد وأن علقة ساخنة تنتظره الآن... ضغط دواسة الوقود وانطلق بالسيارة وسط سباب سائق السيارة النقل...

"١٥"

اقترب (يوسف) بالسيارة من منزل (وليد)، أخذ يبحث بعينيه عن (حلا) حتى وجدها تقف في الجهة المقابلة لناطحة السحاب، تخطاها وأوقف السيارة بعدها في شارع جانبي ثم ترجل من السيارة واتجه إلى حيث تقف... كانت (حلا) ترتدي سروالا رياضيا أسود اللون فيه بعض الأجزاء الشفافة وتيشيرت سوداء مطبوع عليها كلمة "super girl" باللون الوردي اللامع مع حذاء رياضي بنفس اللون الوردي. اقترب منها (يوسف) ونظر إليها في غيظ...هذه الفتاة أتت لتمزح لا لتقتحم شقة شخص مقتول... اسرعت (حلا) إليه فور رؤيته فرأته يتأملها من رأسها إلى قدميها فشعرت بالإحراج وتوقفت وعقدت ذراعيها أمام صدرها بشكل لا أرادي كأنها تحمي جسدها من ذلك المتحرش الذي كان على وشك الموت ثم قالت له بارتباك:

- "حمد الله على سلامتك، أنت كويس؟"

قال (يوسف) وهو لا يزال يتأمل ما ترتديه:

- "أنا كويس الحمد لله، معلش أنا مش عارف حيبقى عندنا وقت نطلع عال gym بعد ما نخلص ولا لأ"

نظرت له (حلا) وقد فهمت أنه يتهكم على ملابسها وليس يطالع جسدها فمطت شفتيها وقالت محاولة تغيير الموضوع:

- "الحمد لله ان أنت كويس، إيه اللي حصل؟"

تحسس (يوسف) معدته وقال لها وهو ينظر لناطحة السحاب التي تشق السماء فوقهم:

- "سيبك دلوقتي، احنا المفروض نطلع، صح؟"

"آه، بس مش عارفة إزاي، أنا شايفاك ماسك بطنك، أنت متأكد إنك كويس؟"

- "آه، ما تقلقيش، يلا بس، أحنا حنعمل محاولة كدة يا نفعت يا باظت"

- "حنعمل إيه؟"

لم يرد (يوسف) واتجه إلى البناية... العجيب أن دقات قلبه قد توقفت عن الإسراع، يبدو أنه قد فقد الإحساس هو الآخر... وما أن صار على بعد خطوات من البناية حتى نظر لـ(حلا) وقال لها من بين أسنانه:

- "امشي جنبي وماتتكلميش خالص"

نظرت له (حلا) محاولة فهم ما سيفعلانه بالضبط وهي تسرع الخطى محاولة أن تلحق بخطواته السريعة. دخلا من الباب، لم يكن هناك أحد لحسن الحظ. وضع إبهامه على المكان المخصص بجانب الباب فتحول اللون الأحمر للبصمة المرسومة على الشاشة إلى الأخضر وظهر على الشاشة الأرقام التي توضح أن المصعد في سبيله إلى الوصول إلى الدور الأرضي. أخذ

(يوسف) يتلفت حوله و(حلا) تنظر له في قلق، ثم أخيرا سمعوا الصوت الأنثوي المميز لأجهزة التحكم يعلن عن وصول المصعد للدور الأرضي، انفتح الباب على مصراعيه ليجدوا أن (مراد) حارس العقار يقف أمامهم داخل المصعد...

- "(يوسف) باشا، طمني، في أخبار عن باشمهندس (وليد)؟"

ومد يده إلى (يوسف) ليظهر أسفه على اختفاء (وليد). صافحه (يوسف) وهو يتساءل بينه وبين نفسه عن أسباب عدم اندثار مهنة مثل مهنة حارس العقار هذه خصوصا مع كل التطور التكنولوجي الذي يجعل مراقبة العقارات وحمايتها أمر بسيط، لكن يبدو أن في مصر بالذات هناك مهن لن تندثر أبدا...

- "للأسف يا (مراد)، لسه مافيش أخبار، بس إن شاء الله خير"

نظر مراد إلى (حلا) وتفحصها من شعرها إلى قدميها... أحاطت (حلا) نفسها بذراعيها مرة أخرى، لا تدري لماذا يتطلع إليها الرجال هذا اليوم بالذات... نظر (مراد) إلى (يوسف) وقال رافعا حاجبيه إلى أعلى:

- "خير يا باش مهندس، إيه اللي جابك انهاردة"

تلعثم (يوسف) وقال وهو يحاول أن يرسم الجدية على وجهه:

- "أنا، ..إحنا جايين عشان ناخد شوية حاجات من شقة (وليد)، أهله كلموني، أنت عارف مالوش حد غيري بقى"

نظر (مراد) إلى (حلا) في شك وقال دون أن ينزل عيناه من عليها:

- "والأستاذة قريبته برضو؟"

- "آه، ده دكتورة (ملك)، بنت عمة االمرحو.. آآآ الباش مهندس، بعد ما أبوه وأمه ماتوا مالوش غير عمته بقى"

حاولت (حلا) أن ترسم على وجهها الحزن فبدت أقرب إلى المتخلفين عقليا. نقل مراد نظره بين (يوسف) و(حلا) ثم تفتق وجهه عن ابتسامة ساخرة وقال لـ(يوسف) وهو ينظر إلى (حلا):

- "احنا طبعا مايرضيناش نزعل عمة الباشمهندس ولا بنت عمته"

نظر له (يوسف) في غيظ وقد أدرك ما يعنيه، كانت (حلا) تنقل بصرها بينهما وعلامات عدم الفهم متجلية على وجهها... قال (مراد) وهو يحك مؤخرة عنقه:

- "ماشي يا باشمهندس، هو أنا الشرطة كانوا قالولي محدش يطلع عند الأستاذ وقالولي أبلغهم لو في أي حاجة حصلت، بس يعني أنت مش غريب يا هندسة واحنا يعني آآآ يهمنا تنبسط"

تسمرت عينا (يوسف) على عيني (مراد) لثواني ثم أخرج (يوسف) محفظته وتناول منها ورقتين من فئة العشرة آلاف جنيه ووضعها في يد (مراد) فنظر فيهما (مراد) ثم رفع عينيه إلى (يوسف) وهو يرفع حاجبيه، أخرج (يوسف) ورقتين أخريين ووضعهما في يد (مراد) وهو يحاول كظم

غيظه فرسم (مراد) ابتسامة صفراء على وجهه وقال لـ(يوسف) وهو يضع النقود في جيبه:

- "ماشي يا (يوسف) باشا، كلك زوق"

اقترب (يوسف) منه وقال له بصوت خافت:

- "أنت ما شفتناش، ها؟"

اتسعت ابتسامة (مراد) الصفراء وقال لـ(يوسف) بصوتٍ عالٍ نسبيا:

- "انتوا ماجيتوش أصلا يا باشا"

ثم نظر إلى (حلا) بسخرية وقال:

- "نهارك زي الفل يا باشا وأحلى صباح عليك وعالقطة"

استدار (يوسف) واتجه للمصعد وهو يحاول أن يسيطر أعصابه حتى لا يضرب مراد وأمسك (حلا) من ذراعها يجرها معه إلى المصعد وهي تنظر لـ(مراد) في غضب وقد فهمت ما يعنيه...

- "استنى يا (يوسف)، أنت شايف بيقول إيه الحيوان ده، هو فاكرني إيه؟"

دفعها (يوسف) إلى داخل المصعد فنظرت له في غضب وقالت له بصوتٍ عالٍ نسبيا:

- "وأنت ما ردتش عليه؟ ... عاجبك إللى بيقوله ده؟ هي الرجالة بقت متخلفة ليه كدا؟"

قال لها (يوسف) دون أن ينظر إليها:

- "يقول إللي يقوله، هو لو ماقالش حاجة للبوليس يبقى كتر خير الدنيا"

استمر (مراد) في مراقبتهم حتى انغلق باب المصعد وقال وهو يتحسس النقود في جيبه:

- "حتنجسوا الشقة وصاحبها تايه يا ولاد الكلب"

ثم أخرج النقود التي لا تكفي إلا لشراء علبتي تبغ وقال:

- "أنا مالي، يلا يارب البوليس يطب وياخدكو تكملوا الليلة الحمرا دي في القسم بإذن الله"

غادر (يوسف) و(حلا) المصعد نظر (يوسف) لباب الشقة ثم التفت إلى (حلا) التي تحركت واتجهت إلى الشقة فلحق بها (يوسف) وأمسكها من ذراعها وجذبها إليه فالتفتت إليه وعلى وجهها علامة استفهام... قال لها بعصبية:

- "انتي يعني عارفة إن دي شقة (وليد) مع إن في أربع شقق في الدور"

سحبت (حلا) ذراعها من يد (يوسف) وقالت بغضب:

- "أنت أول ما نزلت بصيت عالباب ده، مش محتاجة (شيرلوك هولمز) يعني علشان يعرف إن هي دي الشقة"

واتجهت إلى الشقة بعصبية وتبعها (يوسف) وهو ينهر نفسه في داخله... وقفت (حلا) تنظر لـ(يوسف) بغضب متسائلة عن الخطوة القادمة، تجاهل

(يوسف) غضبها وهو يفكر فيما هم مقدمون عليه... سينهون ما أتو من أجله بشكل أو بآخر. مد (يوسف) يده إلى المكان المخصص للبصمة فمدت (حلا) يدها بسرعة ومسكت يده قبل أن تصل إلى القفل وقالت بعصبية:

- "لو دخلت الشقة بالبصمة بتاعتك حيعرفوا إنك دخلت من الlog"

- "وحندخل إزاي يا فالحة؟"

- "معرفش، ده بيت صاحبك أنت"

نظر لها (يوسف) في غيظ ثم مد يده إلى مكان البصمة بجانب الباب ووضع إبهامه عليها وسط نظرات (حلا) الرافضة فأصدر قفل الباب أزيز وانفتح القفل. دفع (يوسف) الباب بيده ودخل فتبعته (حلا) إلى الداخل وأغلقت الباب خلفها...

كانت الشقة مرتبة وقد عاد كل شيء إلى مكانه كما لو كانت لم تمس.. أدار (يوسف) رأسه باحثا عن شيء ما لا يعرفه. من قتله أعاد كل شيء إلى مكانه... لماذا؟

- "على فكرة احنا لمسنا الباب بإيدينا، المفروض ما نسيبش بصمات، عايزين نمسح الحاجات دي ضروري"

لم يرد (يوسف)، كان ينظر تجاه الطرقة الموصلة للحمام وقد تذكر يوم مقتل (وليد). تردد لثواني ثم مشى تجاه الحمام ووقف أمام الباب... تبعته

(حلا) وهي لا تعرف ماذا يفعل بالضبط. استمر في النظر إلى الباب ولم يتحرك. نظرت (حلا) إليه ثم إلى باب الحمام ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منديل وضعته في يدها ودفعت الباب. أجفل (يوسف) وهو يتخيل المشهد، ثم لا شيء... الحمام كان نظيفا تماما، لا أثار دماء، لا جثة مقطعة، لا شيء، ألقت (حلا) نظرة داخل الحمام، ثم نظرت إلى (يوسف) باستغراب.

- "أنت بتدور على حاجة معينة؟"

لم يرد (يوسف) وظلت نظرته متسمرة على أرضية الحمام النظيفة...

- "طيب أنا حروح أدور في بقيت الشقة، حشوف لو في كمبيوتر، أو في الأدراج، أنت دور في الأوض دي، ماشي؟"

لم يرد (يوسف) أيضا فتركته (حلا) وهي تهز رأسها وتزفر في ضيق...

دخل (يوسف) إلى الحمام وأدار رأسه يبحث عن أثر ما نسى من نظف الحمام أن يزيله، لكنه لم يجد شيئا، من نظف الحمام -والذي بالطبع هو من نظف الشقة- يعرف ما يفعله جيدا... شعر بأحشائه تئن، لقد تحركت تلك العصارة اللعينة أخيرا وها هي على استعداد تام لتغادر جسده، انثنى وأمسك بطنه، ونظر إلى التواليت: لا، ليس الآن، ليس هنا، أمعاؤه على وشك الانفجار، امتدت يده بسرعة تفتح أزرار بنطاله وثواني وكان يجلس ويفرغ ما في قولونه...

مرت لحظات شعر فيها أن معدته ستغادر جسده هي الأخرى، سمع طرقات على الباب فأجفل.

- "(يوسف)، أنت كويس؟"

رفع صوته وقال في غيظ:

- "أيوا يا (حلا)، كويس"

أحس بالراحة أخيرا، قام ليرتدي بنطاله فاندفع صوت السيفون يصم الآذان، لماذا يصر صوت السيفون أن يكون عاليا عندما يكون أحدهم على مقربة من الباب أو حين تتحدث في الهاتف؟ ... غسل يديه وهو يتحاشى أن ينظر في المرآه ثم فتح الباب ليجد (حلا) واقفة تنظر إليه في غضب...

- "(يوسف) أنت كنت بتعمل إيه؟"
- "بعمل إيه إزاي؟"
- "احنا مش قولنا إننا مش حنلمس حاجة عشان البصمات؟"
- "معتقدش انهم حيخدوا البصمات من عالقعدة"

نظرت له (حلا) في عدم تصديق، تجاهلها (يوسف) وخرج من الحمام، ارتطم كتفه بها فتعثرت وكادت أن تقع، لم يكترث لها (يوسف) واتجه إلى أحد الغرف...

- "في إيه يا (يوسف)، أنت كنت حتوقعني وماشي كده عادي ولا كأنك عملت حاجة"

نظر لها (يوسف) لثواني ولم يرد... كان يتأمل وجهها وهو مرسوم عليه علامات الغضب... جميله (حلا)، جميل هو الغضب الذي يحيل الأنثى الجميلة إلى أنثى فائقة الجمال، كانت شفتاها الكنزتان مضمومتان، شفتان

خلقتا للتقبيل، نظر (يوسف) إلى عينيها وقال لها دون أن تفارق وجهه تلك النظرة التي لا تعكس أي انفعالات:

- "أنا آسف"

نظرت له (حلا) بنفس النظرة الغاضبة ثم اتجهت إلى الحجرة التي يقف (يوسف) على بابها وقالت وهي تدلف للداخل:

- "أنا دورت برة مافيش حاجة، مش عارفة المفروض ألاقي إيه، مافيش كمبيوتر، مافيش storing devices، مافيش حاجة ممكن يكون سجل عليها حاجة"
- "طيب نبص في الأدراج كلها تاني على الأقل يمكن نكون فوتنا حاجة. أنا حدور في الأوضة دي، بصي انتي في الأوضة التانية"
- "حط أي حاجة على إيدَك، مش عايزين حد يعرف أننا كنا هنا"
- "ده على أساس انك صدقتي إن (مراد) مش حيقول لحد؟"

استدارت (حلا) ونظرت إليه في دهشة.

- "أنت بتتكلم بجد؟ هو ممكن يقول لحد فعلا إننا كنا هنا؟"
- "لو حد شاورله بسيجارة حيوصفلهم انتي كنتي لابسة شراب لونه إيه"
- "أمال أنت اديته فلوس ليه؟"

- "يعني، بحاول أأخر الموضوع شوية، ويمكن ماحدش يسأله، مش عارف"

- "طيب حنعمل إيه؟"

- "سيبيها على الله"

وقفت (حلا) تنظر إليه في عدم تصديق فتركها واتجه إلى الغرفة واتجهت هي إلى الغرفة الأخرى، مرت عشر دقائق ثم خرجت (حلا) ووجدت أن (يوسف) في الصالة يبحث في أحد الأدراج. اتجهت إليه فنظر إليها في سأم.

- "مالقيتيش حاجة، مش كده؟ كانت فكره هايلة الحقيقة"

- "معلش يا (يوسف) أنا قلت نحاول نعمل أي حاجة"

- "طيب يلا بدل ما يتقبض علينا هنا"

أغلق الدرج بعنف ووضع المنديل في جيبه واتجه للباب فتبعته (حلا)، امتدت يده إلى مقبض الباب فأمسكت (حلا) بيده وقالت محذرة:

- "البصمات"

نظر (يوسف) إلى عينيها مباشرة ولم يسحب يده من يدها... تلك الأعين... لم يرَ أعين بهذا الذكاء من قبل... اليوم بها شيء مختلف، يمكن لأنها تعقص شعرها للخلف على هيئة ذيل حصان فيظهر جمال وجهها بوضوح؟ ... ثم تذكر أنهم في شقة صديقه (وليد) الذي قتل هنا منذ أسبوع تقريبا... ماذا

دهاك يا (يوسف)؟ ... منذ ساعة كنت موشك على الانتحار، والآن أنت تمسك بيد امرأة تراها للمرة الثانية فقط اليوم، العالم موشك على الانتهاء فعلا، لم يحدث له شيء واقعي طوال أسبوع كامل...

سحبت (حلا) يدها واتجهت للباب ثم أخرجت منديل من حقيبتها وشرعت تمسح البصمات من على الباب من الداخل ثم فتحته وخرجت هي و(يوسف) وفعلت نفس الشيء من الخارج. لا يعرف (يوسف) الكثير عن موضوع البصمات هذا إلا من الأفلام لكن شيء ما في طريقة (حلا) يشي بأنها ليست المرة الأولى، هذه اليد مدربة، هذه الأعين تعرف أين تبحث وتعي تماما ما تفعله، لن يسألها لأنها بالتأكيد ستقول له شيئا ما غير مقنع لكنه سيقتنع... سيخوض معها تلك المغامرة للنهاية وليكن ما يكن...

لم يكلم أحدهما الآخر طوال اللحظات التي أخذهما المصعد ليهبط للدور الأرضي. غادرا المصعد ليجدا أن (مراد) في انتظارهما...

- "أيه ده، بسرعة كدا، دي الأجيال الجديدة دي تعبانة أوي"

- "إيه؟"

- "ده أنا على أيامي ما كنتش بقعد أقل من ساعتين، يلا معلش"

نظر له (يوسف) وهو يجز على أسنانه وسحب (حلا) -التي كانت تنظر إلى (مراد) في غضب- من يدها فقالت لـ(يوسف) بعصبية:

- "هو قصده إيه الحيوان ده؟ ها، قصده إيه"

- "يلا يا (حلا) بس، يلا مش ناقصين مصايب"

عبرا الشارع بسرعة واتجها للسيارة وركباها. أدار (يوسف) السيارة وبدآ في التحرك. نظرت (حلا) لـ(يوسف) وقالت وهي تتابع حزام الأمان وهو يتحرك حول صدرها ويتجه إلى مكان تثبيته:

- "حنروح فين دلوقتي؟"

تنهد (يوسف) وهو يقود السيارة إلى الطريق الرئيسي وقال لـ(حلا) دون أن ينظر إليها:

- "(حلا) أنا مانمتش من امبارح، خلاص أنا مش شايف قدامي، احنا بنلف حوالين نفسنا. أنا حوصلك دلوقتي وحروح أنام وبعدين نشوف حنعمل إيه"

نظرت له (حلا) لثواني ثم عقدت ساعديها أمام صدرها وأطلقت زفرة وهي تنظر عبر الشباك الذي يجاورها... لم ينبس أحدهما ببنت شفة ولم يلحظا كذلك تلك السيارة التي تبعتهما منذ انطلاقهما بالسيارة والتي كانت تنتظر خروجهما من منزل (وليد)...

"١٦"

أوقف (يوسف) سيارته تحت منزل (حلا)، فتحت (حلا) الباب ونظرت إلى (يوسف) فأومأ برأسه محاولا طمأنتها دون أن يدري حتى ماذا يعني هذا فغادرت السيارة.. انتظر قليلا حتى دخلت البناية ثم انطلق بالسيارة...

إن ما يفعله هو و(حلا) بعيد تماما عن المنطق، لا يمكنك أن تذهب إلى مسرح جريمة لتبحث عن شيء لا تعرفه وتعرض نفسك لأن يتم القبض عليك بتهمة ارتكابها دون أن تدري حتى ما الذي تبحث عنه. هو يعلم أن (حلا) هي من دفعته لذلك، لكنه كان على استعداد ليفعل أي شيء كي لا يبقى وحيدا، هو لا يريد الانفراد بنفسه بعد أن فقد كل شيء، عزاؤه الوحيد أنه لم يعد لديه الآن طاقة حتى ليفكر... إن لم ينم الآن سيسقط في غيبوبة بالتأكيد...

(حلا) هي من أبى أن يغادر رأسه... هي ليست غبية، وتريد إيهامه بذلك، لا ينكر أنه صدقها في كثير من الأوقات لكن هناك شيء ما حولها لا يفهمه. لماذا اقترحت عليه مثل هذا الاقتراح وهي تعرف تمام المعرفة أن فكرة أن يجدوا شيء ما في شقة (وليد) مستبعدة تماما؟ ... (حلا) أرادت أن تدخل الشقة لسبب ما... كان هو شارد الذهن معظم الوقت وبالتالي كان لديها الفرصة ذهبية لتجد ما أرادت أن تبحث عنه... لكن ما هو ذلك الشيء؟ ...

ثم طريقتها في إزالة البصمات، لا يعرف، كل ما يعرفه أنها لا تريحه أبدا... تبا لذلك التفكير الذي لا يريد أن يتركه حتى وهو على وشك أن يفقد وعيه من قلة النوم...

وصل إلى المنزل فأوقف سيارته ثم هبط منها وأغلق الباب...

وفجأة ظهر خلف سيارته سيارتان تيسلا من ذوات الدفع الرباعي ثم توقفا على جانبي السيارة، وبدون مقدمات هبط من إحداهما رجلان يرتديان حلات رمادية وقمصان بيضاء واتجها نحوه، تراجع للخلف وهو لا يدري ما يفعل فأحاطوا به ودفعوه دفعا ليركب معهما السيارة. لم يقاوم (يوسف)، كان يعرف تماما أن مقاومته بلا جدوى، ثم لا يحتاج للكثير من التخمين ليعرف أن هؤلاء لهم علاقة بالطبع بمقتل (وليد)... صعد إلى السيارة ليجد أن رجلان آخران يرتديان نفس الحلة الرمادية يجلسان بالداخل، لم ينظرا له، توقع أن يضع أحدهم شيء ما على رأسه كما يحدث في الأفلام لكنهم لم يفعلوا، لم يحتاجوا لذلك من الأساس فلون زجاج السيارة الجانبي قد بدأ يتحول إلى اللون الأسود القاتم، لاحظ كذلك أن هناك حاجز زجاجي يفصل بينه وبين مقصورة القيادة تحول للون الأسود هو الآخر فلم يستطع أن يشاهد من يجلس في المقصورة الأمامية أو أن يرى حتى سائق السيارة... يمكنه القول إنه الآن في صندوق مع هؤلاء الأشخاص. راحت عيناه تتفرس في وجوه خاطفيه بما أنه المنظر الوحيد المتاح داخل تلك المقصورة، لن يفيد وصفهم في شيء، كانوا عاديين جدا، رجال من

الذين يملؤون الشوارع المصرية، لا يوجد بينهم من هو ضخم الجثة، لا يوجد عضلات مفتوله، لا شيء ملفت على الإطلاق، هو حتى واثق أنه سيجد صعوبة كبيرة جدا في تذكر وجه أحدهم بمجرد أن يتركوه...

ظل على هذه الحال حوالي الربع ساعة ثم توقفت السيارة وفتح أحدهم الباب ونزل من كان يجلس إلى جواره وأشار إليه كي يهبط من السيارة. كان المكان مظلما إلى حد ما، شيء يشبه مخزن لم يعد كذلك منذ زمن، لا يوجد أثاث، الأرضية نفسها أسمنتية مغطاة بطبقة سميكة من التراب، يوجد نوافذ لكن ارتفاعها عال، السقف يصل ارتفاعه إلى العشرة أمتار. الضوء يأتي من خلال النوافذ، يوجد مصباح واحد مدلى من السقف على ارتفاع كبير أيضا، لم يرَ هذا المصباح العتيق منذ فترة كبيرة جدا، لابد وأن المكان مهجور منذ عدة أعوام. لا يحتاج إلى الكثير من الذكاء ليعرف أنه سيتم استجوابه هنا، لقد رأى الكثير من الأفلام حتى صارت أماكن الاستجواب تلك لا تخفى عليه، لابد وأن هؤلاء العاملون بالاستجواب يفتقرون إلى الخيال بشكل ملحوظ.

قاده أحد مرتدي الحلة الرمادية إلى منتصف القاعة وأحضر آخر كرسي خشبي من مكان ما أجلسه عليه وقام بربط يديه وقدميه إلى الكرسي بواسطة شيء ما يشبه البلاستر، على الأقل هناك تجديد ما، كان يتوقع حبالا غليظة لكنهم لم يستخدموها لحسن الحظ. دخل من الباب شخص آخر لم يشاهده من قبل يرتدي حلة رمادية هو الآخر، يبدو وأنه زي موحد

لجهة أمنية ما، اقترب منه الرجل، يبدو مختلفا عن الآخرين الذين أتوا معه، لا يدري كيف يُختارون هؤلاء الذين يعملون في الجهات الأمنية الرفيعة لكن هناك هيبة ما تحيط بالرجل، كان قصير القامة نوعا، رياضي القوام، شعر كستنائي وأعين يصعب تمييز لونها لأول مرة، كان بوسامة ممثلي السينما، لابد وأن أباه قد اختار أمه بنفس المعايير التي اختار هو (ماهي) بها، لابد وأنها كانت تدير الرؤوس في شبابها إلا لو كانت لا تزال تديرها حتى الآن من حسن حظ أبيه أو سوء حظه، لا يعرف، اقترب من ذلك الرجل أحد الرجال الآخرين وانحنى يقول له شيء ما باحترام مبالغ فيه، لم ينظر له الرجل وظلت عينيه مثبته على (يوسف)، أنهى الرجل ما يقول ثم تركه في احترام مبالغ فيه أيضا فاقترب الرجل منه في خطوات بطيئة وارتسمت على شفتيه ابتسامة لطيفة... مرعبة هي تلك الابتسامة التي ترتسم على وجوه الأشرار عموما، لو كان عبوس الوجه، غاضبا، لكان الوضع أقرب للواقع، لكن تلك الابتسامة تشي بأن الرجل لا يكترث لأي شيء، هو هادئ جدا، واثق جدا، لقد فعل هذا الشيء - الذي سيفعله معه الآن بالتأكيد - مئات المرات حتى لم يعد يشكل عبئا نفسيا عليه... ليست هذه هي المشكلة، المشكلة أن تلك الابتسامة تدل على أنه يستمتع بما يفعله!

اقترب الرجل منه أكثر حتى صار على بعد متر واحد منه ثم وقف ينظر إليه وعلى وجهه نفس الابتسامة المستفزة، لم يقل شيئ، فقط ظل ينظر له، توتر (يوسف) تماما، لو استمر الرجل بالنظر إليه بهذه الطريقة لخمس

دقائق أخرى فسيقول على كل شيء، نظراته القوية وابتسامته تلك أكثر تأثيرا من كل وسائل التعذيب التي يتصورها الآن. وضع الرجل يده في جيبه وأخرج علبة سجائر معدنية مثل تلك التي يحملها مديره (أحمد) دوما، يبدو أن كل ممثلي الشر في العالم يدخنون السجائر ولا يكترثون لتلك القوانين الجديدة، نفس دخانها في استمتاع وهو يراقب الدخان الصادر منه ثم قال له بصوت يشبه مذيعي برامج الراديو لقنوات الأغاني:

- "(يوسف)... إزيك يا (يوسف)"

نظر له (يوسف) ولم يرد، هو يريد أن يبدأ الرجل فيما هو قادم من أجله بدون مقدمات. أشار الرجل بيده فأحضر أحدهم كرسي آخر. لا يعرف أين يخفون كل هذه الأشياء، لماذا لا تكون الكراسي موجودة هنا ويجلس الرجل عليها ببساطة؟ لماذا يجب أن يشير فيحضر شخص ما الكرسي؟ مبالغ فيهم بعض الشيء هؤلاء القوم. وضع الرجل الكرسي أمامه ونفس دخان السيجارة في وجهه كما يفعلون جميعا ثم قال له بلهجته الهادئة:

- "ها بقى، قول لي، كنت بتعمل إيه في شقة صاحبك؟"

- "طيب مش لما تقولي الأول قتلتوه ليه؟"

سحب الرجل نفسا آخر من السيجارة وقال بنفس الهدوء المثير:

- "قتلناه؟ مش هو مختفي برضو؟"

ظل (يوسف) ينظر للرجل بكره ولم يرد.

- "أنت راجل محترم يا (يوسف)، عايزين نبقى كويسين مع بعض من الأول كده، أنت عارف، موضوع الاستجواب والتعذيب والكلام ده راحت عليه خلاص"

ثم مط شفتيه وهو يرفع كتفيه للأعلى وهو ينظر لركن القاعة:

- "بس المشكلة إن زي مانت شايف، المكان مهجور، بعيد عن أي حد، ماحدش بييجي هنا غيرنا، يعني علشان زي مانت فاهم، نخلص شغلنا، ممم.. يعني مافيش حد حيشوفك، لا حقوق إنسان بقى ولا حقوق حيوان حتى، من الآخر اللي حيحصل معاك هنا دلوقتي -أيا كان- ماحدش حيعرف عنه حاجة، ومش حتعرف تثبته من الأساس. ها بقى، كنت بتعمل إيه في شقة (وليد)؟"

نظر إليه (يوسف) وهو يحاول أن يبدي تماسكا ثم قال بلهجة بدت مهزوزة:

- "في حاجات كان أهله عايزينها من هناك، ف... قالولي أجيبهالهم"

ابتسم الرجل في سخرية وهو ممسك بالسيجارة بيده ثم مسح زاويتي فمه بإبهامه وسبابته ثم ضحك وهو ينظر للأرض كأنه سمع نكتة طريفة ثم اضمحلت الضحكة إلى ابتسامة وقال لـ(يوسف):

- "ماشي، أخدت (حلا) معاك ليه بقى، عشان تشيل معاك الحاجات اللي حتاخدها من الشقة؟"

أسرعت ضربات قلبه قليلا عندما ذكر الرجل (حلا)، فكر أن يخبرهم بأنها ابنة عمته كما أخبر (مراد) ولكن آثر أن يبتعد عن الكذب المفضوح. قال وهو يتحاشى نظرات الرجل القوية:

- "(حلا) تعرفني أنا و(وليد)، يعني آآآ احنا صحاب، احنا التلاتة، (وليد) عرفني عليها و، هي جت معايا عادي، كنا خارجين وقلتيلها حاعدي على شقة (وليد) آخد منها شوية حاجات بسرعة ونمشي فهي جت معايا"

استمرت النظرة الساخرة على وجه الرجل، لابد وأنه معجب جدا بطريقة (يوسف) في الكذب.

- "بس أنت متجوز يا (يوسف)، ومراتك يعني -ماشاء الله طبعا ربنا يباركلك فيها -جميلة، حلوة مراتك يا (يوسف)، ليه بقى (حلا)؟"

ابتلع (يوسف) ريقه بصوت مسموع وقال بلهجة عصبية بعض الشيء:

- "الموضوع مش زي مانتوا فاهمينه، (حلا) قلتلك إنها...، احنا صحاب، مش أكتر"

- "في إيه يا (يوسف) بس؟ هو أنا حماك؟ صحاب مش صحاب مش مهم، حتى لو كنت مرافقها، الموضوع مالناش دعوة بيه خالص،

إحنا بس عايزين نعرف انتوا كنتوا بتدوروا على إيه في شقة (وليد)"

لم يرد (يوسف) وبدا التوتر متجلٍّ على وجهه، أخذ الرجل نفسا آخر من السيجارة ثم أطفأها في الكرسي وقذفها بطرف أصابعه بعيدا، ثم نظر إلى الخلف وأشار لأحد الرجال الواقفين على الباب فخرج. سيفعلونها الآن، لابد وأنه خرج ليحضر إحدى وسائل التعذيب التي يحتفظون بها في نفس المكان الذي يحتفظون فيه بتلك الكراسي، بدأ قلبه يسرع وهو يتصور عدة أشياء ثم سمع جلبة عند الباب وظهرت (حلا) مكممة الفم ومقيدة الأيدي خلف ظهرها،

ضربات قلبه تسرع أكثر، هؤلاء القوم لا يعرفون المزاح. أشار لها الرجل بتهذيب لتنضم لهم كأنهم يجلسون في صالة بيته، دفعها الرجل ثم ظهر آخر بكرسي ووضعه بجانب (يوسف) وأمسكها من ذراعها لتجلس فأدارت جسدها لتبعد يده عنها. كان يتوقع الآن شيء يشبه فيلم الكرنك، ذلك الفيلم الذي أظهر جانبا من وسائل التعذيب في ذلك الزمن السحيق.. فلتهدئي قليلا يا (حلا)، فليس ذراعك فقط ما سيتم مسكه في تلك القاعة البغيضة.

اقترب منها الرجل وامتدت يده إليها فابتعدت برأسها للخلف، توتر (يوسف) في جلسته وظهر في عيني (حلا) الرعب، اقترب الرجل بيده أكثر ثم

وضع يده على وجهها وهي تحاول التحرك يمينا ويسارا ثم أمسك بطرف الشريط اللاصق الذي يكمم فمها وقام بفكه فتأوهت في ألم، ابتسم الرجل في رضا من تأوهاتها، من الواضح أن رعبها هذا أثاره بشكل ما إلى جانب الألم الذي سببه لها. ستكون ليلة ظريفة بكل تأكيد... تراجع الرجل وهو ينظر إليهما كأنما يرى لوحته الفنية من على بعد للتأكد من أنها على ما يرام ولا تحتاج للمزيد من الرتوش، كانت (حلا) تنظر له والرعب متجل على وجهها كأوضح ما يكون، نظر لها (يوسف) ثم نظر للرجل دون أن يتحدث. أشعل الرجل سيجارة أخرى وأخذ منها نفسا في تلذذ ثم جلس مرة أخرى على الكرسي وقال وهو ينظر إلى (حلا) مباشرة:

- "انتي بقى إللي حتقوليلي يا (حلا)، كنتوا بتعملوا إيه في شقة (وليد)؟"

نظرت له (حلا) بنفس نظرة الرعب ثم نظرت لـ(يوسف) طالبة منه أن يفعل شيء ما، فلما وجدته مقيدا مثلها التفتت مرة أخرى للرجل وقالت بلهجة قاربت على البكاء:

- "احنا آآآ، (يوسف) كان، كان في حاجات في شقة (وليد)، قرايبه كانوا عايزينها، حاجة بتاعة خالته"

- "خالته ولا عمته؟"

نظرت لـ(يوسف) برعب ولم ترد. نظر (يوسف) إلى الرجل وقال له بصوت متوتر:

- "(حلا) مش عارفة الحاجات دي لمين، أنا اللي عارف، هي أكيد مش حتفتكر خالته ولا عمته، هي جت معايا وأنا رايح وبس"

- "طيب وفين الحاجة دي؟"

- "دورنا مالقيناهاش فنزلنا علطول"

أخذ الرجل نفسا آخر من السيجارة وهو ينظر لهم وقد اختفت الابتسامة الساخرة من على وجهه، ثم أشار بيده إلى الرجل الواقف على الباب وقال له بلهجة آمرة:

- "هات الحاجة"

تبادل (يوسف) وحلا نظرة متوترة وكانت (حلا) على وشك أن تفقد وعيها من كثرة الرعب. تسمرت عينا (يوسف) وحلا على الباب حتى سمعا صوت وظهر أحد الرجال وفي يده قمع ووعاء كبير يشبه القصعة تبعه رجل آخر بيده شيء يشبه الشيكارة الصغيرة ووضعوها بجانب (يوسف) و(حلا). تسمرت عينا (يوسف) على الشيكارة... كانت تحمل علامة الشركة التي يعمل بها ولم يحتاج لأكثر من نظرة واحدة ليعرف ما هي بالضبط...

هذه شيكارة "جيوبوليمار"، بديل الأسمنت الذي ينتجونه في الشركة...

نظر (يوسف) إلى الرجال وهم يسكبوا محتويات العبوة في الوعاء ويصبوا عليه الماء شيئا فشيئ ثم يخلطوه بعصا خشبية طويلة. كانت عيني (حلا) تراقب ما يفعلوه في رعب و(يوسف) ينقل بصره بينهما وبين الرجل

الذي كان يتابع ما يحدث في استمتاع يفوق الوصف. نجح (يوسف) أخيرا أن يخرج صوت من حنجرته:

- "انتوا بتعملوا إيه؟"

لم يرد أحد واستمروا فيما يفعلونه، انتهوا من الخلط وأمسك أحد الرجلين بالقمع ووقف ينتظر التعليمات زعيمهم. نظر الرجل لهما وقد عادت الابتسامة تملأ وجهه وقال بهدوئه المستفز:

- "ها، مرة كمان، كنتوا بتعملوا إيه في شقة (وليد)؟"

لم يسمع رد فأشار إلى الرجل الذي يمسك بالقمع ثم أشار إلى (حلا). اقترب الرجل من (حلا) فصرخت في رعب، حاول (يوسف) أن يتملص من ذلك الشيء الذي يقيده في الكرسي فلم يستطع، أمسك الرجل وجه (حلا) وسط صرخاتها الملتاعة وفتح فمها بيد واحدة وهو لا زال ممسكا بالقمع باليد الأخرى ورفع الرجل الآخر الوعاء عاليا في ارتفاع أعلى من القمع. أشار لهما الرجل بالتوقف. ثم أخذ نفسا آخر من السيجارة وقال لـ(يوسف):

- "ها؟"

لم يرد (يوسف) ولم يستطع الكلام ولم يكن يعرف ماذا يقول بالضبط، أشار الزعيم إلى رجلين بمعنى "استمروا" فوضع الرجل الذي يمسك بفم (حلا) القمع في فمها عنوة وسط صراخها الذي يحطم الأعصاب ورفع الآخر الوعاء استعدادا لصب ذلك الخليط في حلق (حلا)...

ما حدث بعد ذلك تم بسرعة...

صوت جلبة، ثم أصوات تبادل نيران، ثم الرجلان يلقيان القمع والوعاء جانبا ويلتقطان أسلحتهما، (حلا) تصرخ، (يوسف) يحاول أن يتحرر من قيوده ويهز نفسه يمينا ويسارا فيميل للجهة الأخرى وينقلب به الكرسي على الأرض، ارتطم رأسه بالأرض في عنف ففقد القدرة على تمييز ما يحدث حوله للحظات ثم جذبه أحدهم بقوة فعادت الصورة لطبيعتها الرأسية، هناك من يفك قيوده، نظر تجاه (حلا) فوجد أن هناك من يدفعها دفعا تجاه الباب، استسلم للشخص الذي يدفعه الآن هو الآخر إلى الباب، صوت فرقعة تلك المسدسات الكهرومغناطيسية يدوي من حوله، يخرج من ذلك المكان، هناك سيارة تسلا تشبه تلك السيارة التي أتوا بها إلى هنا أبوابها مفتوحة لأعلى، يدفعه أحدهم إليها، يركب، (حلا) تركب بجانبه، يغلق ذلك الشخص الذي لم تبين ملامحه الباب، ويركب بجانب السائق، ينطلق السائق بها قبل حتى أن يغلق الرجل بابه، أصوات الطلقات لا تزال تدوي من خلفهم، نظر إلى الوراء، أشخاص يسقطون على الأرض، أحدهم يجري ناحية السيارة، انحرف السائق بالسيارة فاختفى المشهد تماما..

❁ ❁ ❁

"١٧"

كانوا يمشون الآن بسرعة فائقة في طريق ممهد يمتد بين مجموعة من الفيلات التي هي أقرب للقصور، (حلا) ترتجف وعيناها زائغتان تماما، لم يسأل (يوسف) أسئلة ولم يتحدث، كان يراقب الطريق وهو يريد أن يعرف أين هو بالضبط، لن يهم من هؤلاء، طالما خلصوه هو و(حلا) من ذلك المصير الشنيع الذي كان بانتظارهم فليكونوا أتباع الشيطان حتى، هو ممتن لما فعلوه وكفى، انحرف السائق بالسيارة عدة مرات ثم دخلوا أخيرا إلى طريق رئيسي، هو يميز هذا الطريق، هم الآن يسيرون على طريق القاهرة-الإسكندرية الصحراوي، يسيرون باتجاه القاهرة بالذات. ظل (يوسف) يلتفت للوراء عدة مرات، لا أحد يتبعهم، لابد وأنهم قد هربوا من هؤلاء الأشخاص الآن، هذا جيد، وفجأة اختفى الطريق من حولهم وتحول الزجاج إلى لون قاتم تماما وأضاءت مصابيح السيارة الداخلية. لم تتحرك (حلا) أو تغير من وضعها، نظر (يوسف) حوله للحظات ثم هدأ في مقعده واستسلم تماما...

ألقى نظرة على (حلا)، كان شكلها مؤسف تماما، اقتربت يده من يدها وما أن تلامست أيديهما حتى انتفضت ونظرت له برعب، ضغط (يوسف) على يدها وابتسم ابتسامة حاول معها أن يطمئنها، نظرت له بنفس النظرة

المرتعبة ثم لانت نظراتها قليلا وارتسم الأسى على وجهها وبدأت دموعها تنهمر. ضغط (يوسف) أكثر على يدها وامتدت يده رغما عنه تزيل خصلة من خصلات شعرها التي غطت وجهها فاقتربت منه (حلا) ودفنت رأسها في كتفه. (حلا) تبكي الآن بصوت مسموع و(يوسف) يربت على شعرها دون أن يقول شيء. شعر (يوسف) بقلبه ينبض لكن دون خوف أو قلق هذه المرة، آه من ضعف الأنثى هذا، هو أقوى أسلحتها على الاطلاق. تشعر المرأة دائما أنها كائن أضعف فتتجه لرفع صوتها، للجدال، لمحاولة إثبات أنها نصف المجتمع، مع أنها لديها أسلحة طبيعية لو استخدمتها لحظت بكل شيء! عرفت هذا قديما نساء بقدر (كليوباترا) و(سالومي) واستطعن أن يجبرن ملوكا على فعل ما يردن بنفس راضية، هو نفسه على استعداد كامل الآن على يفعل أي شيء لـ(حلا).

دقائق مرت على هذا الحال شعر معها (يوسف) أن هناك على الأقل شيء ليس بالسيء في هذا اليوم. تبا لـ(ماهي)، شعر بالنوم يداعب جفنيه، لو نام فستكون هذه أغرب مرة ينامها في حياته، على كتفه رأس امرأة لا يعرف عنها إلا أقل القليل، يركب سيارة لا يعرف من يقودها ولا إلى أين تذهب، ولا يعرف حتى أين سيكون عندما سيستيقظ، هذا لو استيقظ من الأساس!.. أغلق عينيه رغما عنه، ستكون غفوة لا أكثر، المهم أن يريح جفنيه قليلا، المهم أن يناااااام.

* * *

المخزن مرة أخرى، الرجل يشير للرجلين الآخرين فيضع أحدهما القمع في فم (حلا)، صراخها يحطم الأعصاب، يرفع الآخر الوعاء ويصب الخليط في حلقها، تحاول الصراخ فلا تستطيع، الصوت الصادر من حلقها كأنها تغرق، تتحرك حركات لا إرادية محاولة فعل شيء ما، السائل اللزج يسيل على جانبي فمها، تنتفض بعنف ثم تهدأ حركتها تماما، يشاهد (يوسف) ما يحدث متسع العينين دون أن يتحرك، يرفع الرجل القمع من حلق (حلا) وينظر لزعيمهم الجالس على الكرسي، يشير إلى (يوسف)، يذهب الرجل الذي يحمل القمع إليه، القمع يقطر منه ذلك السائل، قطرات بطيئة، لزجة، (يوسف) ينظر للقمع في رعب، يمسك الرجل بوجهه، يحاول (يوسف) أن يتملص منه فلا يستطيع، يرفع الرجل الآخر الوعاء، يحرك (يوسف) رأسه يمينا ويسارا فيؤلمه القمع، يشعر بالسائل اللزج يسري في حلقه، سيتجمد بعد قليل ويصنع شكلا سرياليا لأحشائه، لابد وأنهم سيفتحون بطنه ويعلقون هذا العمل الفني في أحد المتاحف تحت اسم "أعماق"، يحاول التنفس فلا يستطيع، السائل يملأ رئتيه، الس..

- "(يوسف)!!"

فتح عينيه، جفنيه يزنان أطنان، كان المشهد غريبا بعض الشيء، (حلا) تنظر إليه من أعلى، نظر ووجد أنه لا زال داخل السيارة لكن يبدوا من السكون أنها متوقفة، استعاد وعيه قليلا وبدأ يشعر بما حوله، غريب..

رأسه يتوسد شيء بض ودافئ، نظر إلى (حلا) ثم اعتدل وقد أدرك أنه كان يتوسد فخذ حلا. نظر يمينه ويسارة ثم قال لها بارتباك:

- "أنا آسف، أنا، نمت بس، معلش"

ابتسمت له في تعب وقالت:

- "مافيش حاجة، أنا كمان نمت، صحيت لقيتك كدا ولقيت العربية وقفت"

سمعا صوتا بجانب الباب فأجفلا، انفتح الباب ووجدا أن الرجل الذي كان يجلس بجانب السائق يشير لهما بابتسامه أن يهبطا من السيارة، نظر (يوسف) لـ(حلا) فوجد أنها تنظر إليه، أومأ برأسه محاولا بث الطمأنينة - التي لا يملكها هو- إليها ثم هبط من السيارة وتبعته (حلا)... كانا في مكان يشبه القصر، إن لم يكن قصرا بالفعل، السيارة متوقفة في نهاية ممر طويل أمام درجات من الرخام تؤدي إلى بوابة القصر، هناك حديقة على مساحة شاسعة جدا خلفهم، الحديقة نفسها يحيط بها سور معدني شاهق الارتفاع، لابد أن من يقطن هنا شخص بالغ الأهمية أو له أعداء خطرون. رفع (يوسف) عينيه يتأمل القصر، قصر مهيب فعلا، مبني على الطراز الحديث حيث كل الحوائط لامعة ومعدنية، لكنها متناسقة، ليست تشبه المكان الذي يعمل به، هناك فنان تشكيلي وراء التصميم بالتأكيد، الشخص الذي يمتلك المكان ليس بخيلا على الإطلاق!.. في مكان عمله تشعر وأنهم قد

أعطوا التصميم لأحد الأطفال المولعين بالتكنولوجيا المتقدمة والأشكال المعدنية المعقدة، أما ما يراه الآن هو تحفة معمارية بكل المقاييس...

أشار الرجل إليه بابتسامة تجاه الدرج فاتجه إليه هو و(حلا) وما أن وضع قدميه على الدرج حتى تحرك صاعدا بهما إلى المدخل. اتجه (يوسف) للباب وتبعته (حلا)، توقف (يوسف) أمام الباب، وضع الرجل يده على الشاشة التي بجانب مقبض الباب فتحول اللون الأحمر لشكل البصمة المرسومة على الشاشة إلى الأخضر وانزلق جزء من الباب كاشفا عن شاشة بحجم الكف يعلوه حامل معدني، أشار لهما الرجل بتهذيب فاقترب (يوسف) من الشاشة ووضع يده اليمنى فتلونت الشاشة تحت يده باللون الأحمر ثم تحولت إلى اللون الأخضر، طلب منه الرجل أن يسند ذقنه على الحامل المعدني ففعل وهو متردد واندفع شعاع أحمر اللون يمسح وجهه وعينيه ثم ظهرت كلمة "مطابق" على الشاشة، ابتسم الرجل لـ(يوسف) وأشار لـ(حلا) ففعلت المثل، ثواني وانفتح الباب...

لم يرَ (يوسف) قصرًا من الداخل من قبل ولا يعتقد أنه حتى لو رأى كان سيرى شيئا مثل هذا... ما كل هذا البذخ؟ لابد وأن صاحب هذا القصر قد أتى بنفس الفنان التشكيلي لتصميم ديكور القصر، لن يفيد وصفه في شيء، كل ما يهم معرفته أنه تحفة فنية من الداخل كما هو من الخارج، لابد وأن صاحب القصر لا يخرج منه حتى يستمتع بكل هذا الجمال، نظر إلى (حلا) التي كانت تتابع كل هذا بانبهار، المكان يخلق شعورا عجيبا بالراحة،

أدار رأسه في أرجاء المكان حتى وقع بصره على تلك الصورة التي تحتل حوالي نصف مساحة ذلك الحائط العريض على يسار الباب... لم يكن قد رآها إلا بضع مرات لكنه من الصعب ألا يميزها أي شخص مصري على الأقل، خصوصا في تلك الفترة من الاستعداد للانتخابات الرئاسية..

كانت الصورة لـ(بينتا)...

منافسة الرئيس (بلاتو) على رئاسة جمهورية مصر العربية...

تسمرت عينا (يوسف) على الصورة، الأمر يفسر نفسه ويبدو منطقيا إلى حد كبير، يبدو أن المنافسة بينهما قد خرجت عن إطار المعارك السياسية. نظر (يوسف) لـ(حلا) فوجدها تحدق في الصورة هي الأخرى... شعور غريب وأنت ترى صورة لروبوت معلقة على حائط، الصور توضع في مكان ما للذكرى، للفخر، أي ذكرى في روبوت يعيش للأبد حتى تتلف أجزاؤه ويتم تغييرها؟ أي فخر في تحقيق شيء ما وضعه مبرمج ما في برنامجك؟ دائما ما وجد صعوبة في تصور فكرة الروبوت الذي يحكم بلد بأكملها هذه، لكن الوقوف وأنت تشاهد الصورة المعلقة أمر يصعب وصفه. اقترب منه الرجل وقال له في لهجة مهذبة:

- "باشمهندس (يوسف)، حمد الله على سلامتك، أنت ماتعرفش قد إيه حياتك تهمنا، (بينتا) بنفسها طلبت مننا إننا نتدخَّل علشان نهربك، هي كمان إللي طلبت إننا نجيبك على هنا، عايزة تقابلك بنفسها"

نظر (يوسف) إلى (حلا)، كانت علامات الاستفهام تملأ وجهها، أدار بصره إلى الرجل مرة أخرى وقال له:

- "احنا متشكرين ليكم طبعا إنكم أنقذتونا، إحنا في حاجات كتير أوي مش فاهمينها"

- "لما تقابل (بينتا) حتفهم كل حاجة"

قال (يوسف) وهو ينظر إلى (حلا):

- "إحنا لازم نقابلها فعلا"

فرك الرجل كفيه، ثم قال:

- "الحقيقة، (بينتا) حتقابلك لوحدك يا باشمهندس (يوسف)"

انعقد حاجبي (يوسف) ونظر لـ(حلا) التي كان يبدو الغضب متجليا على وجهها وقالت بعصبية:

- "يعني إيه يقابلها لوحده؟ إحنا مع بعض في الموضوع من الأول، يا إما ندخل مع بعض يا إما لأ"

أمسك (يوسف) بذراعها في محاولة لتهدئتها فنظرت له في غضب، نظر (يوسف) للرجل الذي قال في لهجة حاسمة لم تخل من التهذيب الذي يضفيه على طريقته في التحدث إليهما:

- "للأسف الموضوع مش مطروح للنقاش، (بينتا) حتقابل مهندس (يوسف) بس دلوقتي"

همت (حلا) بالاعتراض مرة أخرى فأسكتها بإشارة من يده ثم قال للرجل بحزم:

- "خلاص، حقابلها أنا و(حلا) حتستنى هنا"

- "ده على أساس إنك عندك اختيار تاني"

استدار (يوسف) إلى (حلا) التي كانت تنظر له بغضب. قال لها بلهجة حاول أن يجعلها هادئة:

- "(حلا)، احنا محتاجين نعرف إيه اللي بيحصل، ما تقلقيش، حقولك على كل حاجة بعد ما أطلع"

ظلت (حلا) تنظر له في تحد لبعض الوقت ثم أشاحت بوجهها ولوحت بيدها بمعنى "افعل ما تفعله"، نظر (يوسف) إلى الرجل الذي ابتسم له ابتسامة مطَمْئِنة ثم قاده عبر الصالة إلى حجرة لها باب ذو قفل إلكتروني عملاق. توقفا أمام الباب لبعض الوقت ثم انفتح الباب كاشفا عن قاعة مكتب فسيحة، لم يتمكن من رؤية ما تحتويه من ديكور فكان نظره الآن متركز على تلك المرأة أو ذلك الشيء الشبيه بالمرأة الذي يجلس على كرسي المكتب...

(بينتا)...

كان (يوسف) قد تعامل مع روبوتات كثيرة من خلال عمله لكن هذه كانت المرة الأولى الذي يطلب فيها روبوت مقابلته، الروبوتات التي تعامل

معها كانت تساعده في أعمال الصيانة، معظمها كان من تلك الأجيال التي سبقت الروبوتات التي تحكم العالم الآن بعد ثورة المبرمجين. لم يستطع طوال حياته أن يتخلص من قلقه من تلك الروبوتات، تبتسم، تتحدث، تقول رأيها، كل هذا لا يهم، لقد تعود عليه حتى صار لا يستغربه كثيرا، المشكلة الأكبر كانت في العينين، العينان نافذة الروح، فماذا عمن كان بلا روح من الأساس؟ علام تطل تلك النافذة؟ صحيح أن ملامحها صارت تحاكي البشر كأفضل ما يكون لكن شيء ما في تلك الأعين كان يبعث القشعريرة في نفسه...

ابتسمت (بينتا) فأجفل يوسف، ابتسامتها حاول من صممها أن يجعلها جذابة، لكنه لا يعرف لماذا ذكرته بابتسامة ذلك الرجل الذي كان يستجوبهم في ذلك المخزن المهجور، ابتسامة خالية من المشاعر. وقفت (بينتا) ودارت حول المكتب ومدت يدها له، مد يده مترددا لها فصافحته، ذلك الملمس الذي يماثل الجلد لكنه بارد، ليس هناك ذلك الدفء الذي يبعثه سريان الدم في العروق، (بينتا) ليس لديها لا عروق ولا دماء، شعور الجلد البشري هذا، هل هذا جلد آدمي؟ اقشعر للفكرة وحاول أن يخرجها من رأسه... أشارت له تجاه الجهة الأخرى من المكتب حيث يوجد مقعدان متقابلان فاتجه إلى هناك وهي تمشي وراءه... وصل إلى المقعد فالتفت لها فأشارت إليه بتهذيب أن يجلس فجلس وجلست هي أمامه واضعة ساقا فوق الأخرى وهي تشبك أصابعها واضعة يديها على ركبتها...

لا يعرف (يوسف) من الذي يصمم لبينتا ملابسها لكن لابد وأنه من تلك الأسماء اللامعة في عالم الأزياء. بلوزة أنيقة سوداء، سروال بنفس اللون، حذاء أسود ذو كعب عال، كانت ترتدي سوار رقيق من الذهب في يدها اليسرى وكانت هناك قلادة بنفس الرقة تزين جيدها. ملامحها نفسها كانت تحاكي الواقع بطريقة مذهلة، عينان سوداوان، بشرة قمحية تشبه تلك التي حظيت بها (كليوباترا)، شعرها الأسود الناعم القصير الذي يصل فقط إلى ما تحت أذنيها، أنف تشبه زهرة اللوتس، لابد وأن مصممها قد أراد أن يضفي على مظهرها ذلك الطابع المصري القديم، هي ليست روبوت، هي (نفرتيتي) القادمة من كتب التاريخ لتحكم مصر مرة أخرى، ولولا تلك الأعين الخالية من الحياة لوقع في حبها على الفور... ظلت تنظر في عينيه لبعض الوقت حتى بدأ يشعر بالاضطراب، عجيب هو هذا الشعور ألا تعرف أبدا ما تقوله أعين من يجلس معك، أنت أمام كتاب باللغة السريانية...

- "إزيك يا (يوسف)"

كان صوتها قوي، صوت يعرف أنه لا سبيل إلا الإصغاء إليه، صوت أنثوي جميل كذلك لكنك لا تملك إلا وأن ترتجف عند سماعه. اعتدل (يوسف) في مقعده ثم قال لها وهو يحاول أن يخفي توتره:

- "(بيتنا)، أناااا كويس، الحمد لله، أنا بس آآآ.."
- "عارفة، أنت أكيد مش مستريح، أنا عارفة انك ما بتستريحش أوي في وجود روبوتات، ما تقلقش، أنا عارفة ده كويس"

ابتلع (يوسف) ريقه بصوت مسموع ثم قال:

- "لأ، أنا بس، أنا مستغرب الوضع مش أكتر"
- "مش محتاج تشرح يا (يوسف)، أنا فاهماك... طبعا أنت أكيد عايز تعرف إيه اللي بيحصل بالضبط، الأسبوع اللي فات أكيد كان صعب عليك، معلش أنا آسفة، البقاء لله، (وليد) ماكانش يستاهل يموت"

استشعر (يوسف) شيئا غريبا عندما ذكرت لفظ "الله" عز وجل، الكل سيموت، بالتأكيد، لكن ماذا سيحدث لتلك الروبوتات بعد موت البشر؟ سيكون الموضوع أسهل لهم بالتأكيد أن يتخلصوا من ذلك الكائن البغيض الذين يطلقون عليه لفظة "إنسان" -دون أن يحمل ما تحمله الكلمة من معان- وأن يسودوا الأرض، صحيح أنهم يحكمون الأرض الآن لكن هذا يتم وفقا لبروتوكولات محددة وبرنامج وضعه هؤلاء المبرمجين بالطبع -أو هكذا يعتقد- كي يضمنوا سلامة وبقاء الجنس البشري، فماذا سيحدث لو رحل هؤلاء المبرمجين؟ كان يعرف تماما أن برنامج الروبوت قائم على التعلم الذاتي، فهل ما تعلموه أوصلهم لهذه النتيجة بالفعل؟ ابتلع (يوسف) ريقه مرة أخرى، لو صدق كلام (وليد) فالخلاص من الجنس البشري وشيك، لا زال لا يعرف كيف لكن هذا ما قاله صديقه، فهل سيبقى كوكب الأرض نفسه ليكون مرتعا لتلك الأشياء الشبيهة بالبشر؟ ارتعد للفكرة ورجى بداخله من الله ألا يكون موجودا ساعتها ليرى هذا الشيء يحدث.

ثم تذكر شيئا... (بينتا) تعرف أن (وليد) مات... يبدو أن الجميع يعرف ذلك بالفعل، هو فقط لا يعرف أنهم يعرفون...

- "مالك يا (يوسف)؟ زعلت لما افتكرت صاحبك، مش كده؟ ما تقلقش، لو اشتغلنا سوا حنقدر ننتقم من اللي قتله وننشر إللي اكتشفه ده للناس"
- "إللي قتله (بلاتو)، صح؟"

رجعت (بينتا) إلى الوراء وأسندت ظهرها على الكرسي دون أن تفك تشابك أصابع يديها، يبدو أن لياقتها على ما يرام، عدم احتياجها لأن تأكل تلك الأطنان من المحشي يعطيها ميزة تنافسية عن المرأة المصرية بالتأكيد...

- "(بلاتو) الفترة اللي فاتت بدأ يفشل، مشاريع مالهاش لازمة، الأسعار اللي بقت في السما، كل ده وبيقول إنه عايز مصلحة مصر"
- "بس انتي اللي عايزة مصلحة مصر، مش كدا؟"
- "أنا عارفة انك صعب تصدق إن مش كل الروبوتات زي بعض، بس ده الحقيقة. إحنا زيكم بالضبط، إحنا بنتعلم مع الوقت وبنبني على البرنامج الموجود جوانا، بس في مننا اللي بيتعلمه ده بيوديه في سكة غلط، (بلاتو) للأسف ابتدا يسمع للمجلس اللي حواليه، وهي دي المشكلة. القائد اللي بجد ينفذ اللي هو شايفه صح، حتى لو كل اللي حواليه قالوله إنه غلط. الفساد اللي في المجلس ده رهيب، الفساد اللي في البلد دي رهيب يا (يوسف)"

رفع (يوسف) حاجبيه وهو ينظر لها، مع أن ما تقوله عن فساد هذا البلد لا يختلف عليه اثنان، روبوت كان أم بشر، فقد كان متأكدا أن ما تقوله خاطئا تماما، القائد الجيد يعرف كيف يستمع وكيف يختار الأنسب، صحيح أن الأمر يحتاج في كثير من الأحيان إلى اتخاذ قرارات مصيرية، خصوصا إذا ما تعلق الأمر بإدارة دول بأكملها، لكن لابد من الاستماع، لابد من المشورة، يبدو أن برنامج (بينتا) يحوي الكثير من صفات ال strong independent women اللاتي انتشرن في أواخر العشرينات من هذا القرن.

عدل (يوسف) من نظارته وتنحنح ثم قال لها:

- "أنا شايف إن ده الدور الطبيعي للمجلس، إنه يقول رأيه للرئيس وهو يشوف إذا كان الرأي ده مناسب للرؤية بتاعته ولا لأ"
- "وهي دي المشكلة بالضبط، (بلاتو) كان عنده رؤية بس الكلام بتاع المجلس خلاه يمشي في سكة تانية، (يوسف)، أنت متخيل كم الفساد اللي في بلد زي مصر دي قد إيه؟"

لم يرد (يوسف) وإن كان يعرف تماما أن كم الفساد في مصر يعرفه الجميع بما فيه الكائنات الفضائية إن وجدت...

- "(بلاتو) لو فضل في الحكم مصر حتنهار، أنا عارفة إنك مسلم، وعارفة إن مصر اتذكرت عندكم في القرآن، أنا قريت القرآن بتاعكم وعارفة قد إيه مصر مهمة، التاريخ نفسه بيقول كده"

لم يستسغ (يوسف) سكة الدين هذه، (بينتا) تستخدم الكثير من المصطلحات الدينية وتقرأ القرآن وتعلم أهمية مصر الدينية والتاريخية، هذه المرأة صنعتت لتحكم...

- "(بلاتو) قتل صاحبك، (وليد)، علشان عرف حاجة كانت حتأثر على الانتخابات، الحكم عنده أهم من مصير العالم كله"
- "انتي عارفة (وليد) اكتشف إيه؟"
- "للأسف، (وليد) كان محتفظ بالحاجة إللي اكتشفها بعيد عن الشبكة تماما. إحنا سجلنا حوارك مع (حلا) وعرفنا إن (وليد) كتب ورقة لحلا فيها اسمك. أكيد الحل عندك يا (يوسف)، أكيد (وليد) قالك حاجة بشكل غير مباشر، فكر يا (يوسف)، انا معاك، أنت حتفضل هنا أنت و(حلا) علشان أقدر أحميكم، وحساعدكم"
- "حتساعدينا إزاي؟"
- "أول ما توصل للحاجات إللي عرفها (وليد) حخليك توصل الكلام ده بنفسك للناس. أنا عندي محطة بث فضائي، حخليك توصل اكتشاف (يوسف) للناس بنفسك"

نظر لها (يوسف) بتعجب... إذن الروبوتات تملك القصور والمحطات الفضائية والبشر يأتمرون بأمرها... ماذا بقي للإنسان إذن؟ قال لها (يوسف) وقد بأت العصبية تغزو صوته:

- "ليه؟"

- "يعني إيه ليه؟"

- "بتساعدينا ليه؟"

اقتربت (بينتا) برأسها منه وبصوت يبدو صادقا -تبا لذلك المبرمج- قالت:

- "يمكن مش حتصدقني، بس أنا عايزة البلد دي تنجح، عايزاها تبقى عظيمة، وعمرها ما حتبقى كدة لو (بلاتو) نجح لفترة ثانية"

قال لها بسخرية مريرة:

- "وانتي اللي حتخليها عظيمة، مش كده؟"

سرحت ببصرها بعيدا وقالت:

- "أنا عندي حاجات كتير عايزة أعملها يا (يوسف)، حاجات حتخلي البلد دي جنة، مش حيبقى في حد مابيشتغلش، مش حيبقى في فقرا"

ثم نظرت له وقالت:

- "أيوا يا (يوسف)، أنا إللي حخلي مصر عظيمة"

رفع (يوسف) حاجبيه أكثر وقال لها:

- "وطبعا من مصلحتك إن (بلاتو) يتفضح ويتعرف إنه هو اللي قتل (وليد)، وهو برضو إللي ماكانش عايز الموضوع إللي عرفه (وليد) – إللي احنا برضو مش عارفينه – يوصل للناس. لأ، حقيقي خطة هايلة"

- خلينا نقول إن مصلحتنا مشتركة يا (يوسف)، أنت عايز إللي قتل صاحبك ياخد جزاءه، وأنا عايزة أنفذ الحلم بتاعي"

هذا النقاش سيودي بالبقية الباقية في عقله، روبوت يحلم بمصر جنة، روبوت قتل صديقه كي لا "يشوشر" على الانتخابات، روبوت يخطط للإيقاع بروبوت آخر لضمان سيطرته على الحكم، تبا لثورة المبرمجين تلك، كان في السابق يأمل الناس في أن يموت الحاكم الجائر إذا ما طال حكمه وعذر التخلص منه، لكنهم -وياللعجب- أتوا بهذه الأشياء التي لا تموت للحكم والتي – وياللعجب – تفكر مثل المصريين تماما!

- "(يوسف)، أنا بكره القتل، مش متخيلة إزاي حد – حتى لو كان روبوت – ممكن يفكر إنه يموت إنسان، ده ضد البرنامج إللي جوانا تماما. أنا عايزة (بلاتو) ياخد جزاءه، عايزه العالم كله يعرف باللي هو عمله، عايزة أخلي مصر عظيمة، وأنت حتساعدني على ده يا (يوسف)"

- "طيب وبالنسبة لنهاية العالم إللي (وليد) أتكلم عليها؟ لو اكتشفنا إن كل إللي بتقوليه ده مش حيبقى فيه وقت إنه يتنفذ من الأساس؟"

- "حيبقى في وقت، احنا متقدمين دلوقتي، مافيش حاجة مانقدرش ما نعملهاش"

رفع (يوسف) يده وقال لها:

- "لحظة واحدة بس، لو الموضوع اللي أتكلم عليه (وليد) ده كان كارثة طبيعية يبقى مافيش حاجة حاتنفعنا، لا علم بقى ولا تقدم تكنولوجي، ولا أي حاجة"

- "(يوسف)، أنا عايزاك دلوقتي تركز في حاجة واحدة بس، إنك تحاول تعرف (وليد) كان عايز يقولك إيه، موضوع نهاية العالم ده سيبه لما نعرف إيه هو الأول. فيه فريق كامل شغالين معايا دلوقتي بيدوروا وراه، ممكن نوصل لحاجة قبلك، وممكن لأ، المهم إن كلنا نشتغل لغاية ما نوصل"

قالتها وقامت من مقعدها واتجهت إليه، أستند (يوسف) على مقعد الكرسي وقام على الفور، اقتربت منه حتى صارت على بعد أقل من نصف المتر، من الجيد أنها لا تتنفس حتى لا يشعر بأنفاسها على وجهه، نظرت إلي عينيه مباشرة وقالت:

- "أنا حبقى موجودة هنا، لو وصلت لأي حاجة بلغني علطول، ربنا معاك يا (يوسف)"

ثم مدت يدها إليه فمد يده إليها وتصافحا، لم تسحب يدها من يده وأعطته ابتسامة واثقة فرسم ابتسامة واهية على شفتيه رغما عنه، كان يريد أن يسحب يده من يدها لكنه لم يجرؤ، سحبت يدها أخيرا ونظرت إلى

الباب فانفتح وظهر على الفور ذلك الرجل الذي قاده إلى هنا. اتجه الرجل إليهم فنظرت له (بينتا) ثم التفتت مرة أخرى إلى (يوسف) وقالت:

- "(سيف) حيبقى معاك، لو فيه أي حاجة قول له وهو حيبلغني علطول"

ابتسمت له (بينتا) وحيته بإيماءة من رأسها فأومأ برأسه هو الآخر وأشار إليه (سيف) في تهذيب أن يتبعه وما أن غادرا الغرفة حتى انغلق الباب خلفهما...

"١٨"

مشى (يوسف) عبر ممرات القصر في الدور العلوي منه يقوده (سيف)، كان الطابع الحديث يغلب على كل شيء، اللوحات المعلقة نفسها كانت أغلبها لرسومات سريالية لم يفهم منها أي شيء، الجدران المعدنية اللامعة التي تجعلك تشعر وكأنك بداخل ماكينة عملاقة وليس مكان صمم ليعيش فيه أشخاص، يبدو أن مصمم القصر قد حرص على أن يعطي الروبوتات إحساس بالانتماء نوعا ما حتى لا يشعروا بالغربة، لا يعتقد أن هناك من بين البشر من سيسكن هذا القصر. وصلوا إلى ممر به عدد من الحجرات على جانبيه، اتجه (سيف) إلى الحجرة في نهاية الممر ووضع إبهامه على المكان المخصص له بجانب المقبض فانفتح القفل، دفعه بيده ودلف للداخل وتبعه (يوسف) إلى داخل الغرفة.

الغرفة من الداخل كانت مصمتة تماما، سرير، دولاب صغير، كومود، وأباجورة معدنية تطلق ضوء مريح نوعا ما، هناك تلفاز معلق على الحائط المقابل للفراش، في نهاية الغرفة يوجد باب شبه مغلق، يبدو من البلاط الذي يظهر من خلال ذلك الباب الموارب أنه الحمام. دار (يوسف) بعينيه في الغرفة ثم نظر إلى (سيف) الذي ابتسم له ابتسامة مطمئنة وقال له بلهجته المهذبة التي بدأ (يوسف) يتعود عليها:

- "باشمهندس (يوسف)، أنت حتفضل هنا لغاية ما توصل لحاجة. (بينتا) طلبت مني إني أبقى تحت أمرك في أي حاجة تطلبها. الأوضة هنا فيها حمام، وأي وقت تعوز أي حاجة حتلمس بس الجهاز اللي جنب السرير ده حتلاقيني عندك في ساعتها. يلا، أسيبك تستريح بقى"

دار (سيف) على عقبيه ليغادر الغرفة ليجد أن (حلا) تقف عند الباب المفتوح وتعقد ساعديها أمام صدرها مقطبة الحاجبين. توقف الرجل ونظر إليها ثم عندما رآها تنظر لـ(يوسف) ألقى عليه نظرة سريعة ثم اتجه للباب فأفسحت له (حلا) الطريق فخرج وأغلق الباب خلفه برفق...

- "ممكن أعرف إيه اللي حصل بقى؟"

- "مافيش، اتكلمنا أنا وبينتا واتفقنا إننا نقعد هنا لغاية ما نوصل لحاجة"

- "اتكلمتوا في إيه؟ وإيه الحاجة اللي حنوصلها دي؟"

اتجه (يوسف) إلى الفراش وجلس واضعا يديه المفرودتين حول فمه وأنفه وهو يحاول أن يُخرِس ذلك الصداع الذي يعصف به الآن... قال لـ(حلا) وهو على نفس الوضعية:

- "قالتلي إنها عارفة إن (بلاتو) هو اللي قتل (وليد)، قالتلي إن لازم الناس تعرف الموضوع ده علشان نقدر نخلص من (بلاتو) قبل

الانتخابات، قالتلي إنها لما تمسك هي حتصلح حاجات كتير من اللي (بلاتو) عملها، وإن أكيد (وليد) قاللي حاجة عن الموضوع ده وأنا نسيتها أو مش عارف معناها، وحنفضل هنا لغاية ما نوصلها"

- "وانت مصدقها؟"

- "عندنا حل تاني؟"

أطرقت (حلا) برأسها وهي لا تزال تعقد ساعديها أمام صدرها:

- "لأ"

ظلا على هذا الوضع عدة ثواني ثم قطعت (حلا) الصمت:

- "طيب، أنا في الأوضة إللي قدامك، لو وصلت لأي حاجة ناديني، ماشي؟"

هز (يوسف) رأسه وابتسم لها ابتسامة واهنة فبادلته (حلا) بابتسامة مثلها واتجهت للباب وخرجت...

لا يدري (يوسف) كم مر من الوقت وهو على نفس الوضعية ولم يغيرها، كان يفكر في كل ما مر به، خلال أسبوع واحد فقط تقريبا تغيرت حياته تماما، وها هو يجلس داخل قصر مرشحة الرئاسة الأخرى التي إذا ما تحقق ما تخطط له، ستكون رئيس مصر القادم... فرد جسده على الفراش، هو يعرف تماما أن النوم لن يأتيه عندما يطلبه، مثله مثل كل ما يشتهيه في الدنيا... عجيبة هي الدنيا، تتمنى أشياء ثم تكتشف أنها هي بالضبط ما لا

تطيقه، وتكره أشياء أخرى يكون فيها كل الخير... أحمق هو الانسان، ضحل المعرفة مهما وصل إليه من علم، حياته كلها عبارة عن قصص قصيرة تؤكد كم هو ساذج، لا يذكر عدد المرات التي مشى فيها وراء هدف ما ليبحث عن السعادة، فقط ليكتشف حين وصل أن ذلك الهدف لم يكن سوى سراب... كم يحسد الروبوتات على ما هي فيه... هي لا تفعل شيئا إلا وفقا لخطة محكمة، تسير وفقا لبرنامج معين، وفوق كل هذا هي لا تشعر بالندم، يجب أن يخترع أحدهم شيئا ما يذهب الشعور بالندم هذا، كم هو عبقري (صلاح جاهين) هذا حينما قال:

"لا تجبر الانسان ولا تخيّره

يكفيه ما فيه من عقل بيحيّره

اللي النهارده بيطلبه ويشتهيه

هو اللي بكره حيشتهي يغيّره

عجبي !!"

كان قد قرأ الرباعيات منذ فترة وأعجب من كم التناقضات التي ذكرها (صلاح جاهين) عن الانسان، لا عجب أنه انتحر في النهاية! ثم تذكر موضوع نهاية العالم، إن لم تكن (بينتا) تعني ما تقول -في موضوع البحث عن حل ما لتلك النهاية- فسيموت العالم كله... قريبا لن نحتاج أن نتخلص من الندم ولا من أي شيء آخر...

صوت طرقات على الباب، يبدو أنهم لن يتركوه لحاله. على كل حال هذا أفضل من التفكير الذي يذهب العقل هذا... اتجه إلى الباب وفتحه ليجد (حلا) تقف على الباب وعيناها تقول إنها لم تستطع النوم هي الأخرى. ابتسم لها وأفسح لها الطريق لتدخل فدخلت وهي تقرض أظافر يدها بأسنانها. أغلق (يوسف) الباب والتفت إليها ليجدها تنظر إليه، ابتسمت ابتسامة مرتبكة وقالت وهي تفرك يديها في بعضهما البعض:

- "(يوسف)، أنا آ..... (يوسف) أنا آسفة"
- "آسفة على إيه؟"
- "أنا اللي دخلتك في كل ده، أنا إللي خليتك تروح بيت (وليد) تاني، معلش يا (يوسف)، أنا السبب في كل ده"

ابتسم (يوسف) وقال لها:

- "لا يا (حلا)، أنا دلوقتي عالأقل حاسس إن ممكن يبقى ليا لازمة "
- "(يوسف)، أنت ساعدتني إني أحاول أوصل لحاجة، وجيت معايا في بيت (وليد) مع إنك كنت عارف إنه أكيد حيتعرف إنك كنت هناك. أنت شجاع يا (يوسف)"

أطلق (يوسف) ضحكة ساخرة ونظرت له (حلا) باستغراب، استمر في الضحك للحظات ثم قال وهو يمسح الدموع التي ملأت عينيه من كثرة الضحك:

- "أنا بعون الله أجبن واحد أعرفه. (حلا) أنا شفت جثة (وليد) وهي متقطعة وماعملتش حاجة إلا لما انتي قلتيلي. (ماهي) مراتي عمري ما قلتلها تلبس إيه وماتلبسش إيه، عمري ما قلتلها بطلي تتصوري وتنزلي صورك على الزفت انستاجرام وكل الناس يشوفوها ويقولوا ماشاء الله المدام مزة، كل ده علشان مادخلش معاها في مواجهة، حتى في الشغل، مديري (أحمد) ده ماوقفتش قدامه إلا علشان أبان قدام الاتنين المهندسين إللي معايايا إني شجاع، إني مدير، إني جامد.. شوية ego مش أكتر، هما مايعرفوش قد إيه أنا بخاف، بخاف أسيب الشغل ومالاقيش فلوس، بخاف أواجه (موسى) مديرنا ده علشان عارف إنه حمار ومدي ودنه لـ(أحمد النرش)، بخاف إن مافيش حد شريف يقف معايا قدامهم"

ثم اتجه إلى السرير وجلس عليه وأسند ذقنه على يديه وقال:

- "عارفة، في واحدة معايا في الشغل، (سارة)، اسمها (سارة)، في حاجة كانت دايما بتشدني ليها، يمكن عشان مش زي (ماهي)؟ هي بتفكر، فيها حاجة غير إنها أنثى وخلاص، اتكلمنا كذا مرة كدا عالواقف، بس قبل الموضوع بتاعنا ده علطول كلمتها على الفيسبوك، كنت مستريح وأنا باتكلم معاها، لدرجة إن كان نفسي.... يعني، كان نفسي تبقى هيا اللي مكان (ماهي)، وبرضو ماعملتش حاجة غير إني اتكلمت معاها، خفت إني أقولها إني

حاسس بحاجة أحسن تهرب، خفت إنها تقول للناس في الشغل إني حاولت أتكلم معاها أحسن يقولوا إني ببصبص لزمايلي البنات، خفت على منظري قدامهم، أنا تافه أوي يا (حلا)، تافه لدرجة تكسف"

اقتربت منه (حلا) وجلست بجانبه على الفراش وقالت له وهي تنظر إلى عينيه مباشرة:

- "(يوسف)، كونك إنك تعترف حتى لو ما بينك وبين نفسك بكده ده في حد ذاته شجاعة، في ناس كتير بتخاف أكتر منك ميت مرة بس بتعرف تضحك على نفسها لغاية ما تقتنع بكدة، الحاجات دي كلها بتبقى موجودة عندهم بس في صندوق مقفول، خازنة، بيشيلو فيها كل ده وهما نفسهم مابيعرفوش يفتحوها بعد كدا.. آآآ .. أنا مثلا، في حاجة نفسي أقولك عل.."
- "إيه الغباء ده!"
- "إيه ده؟"
- "الخازنة، أنا مش بس بخاف، أنا غبي كمان"
- "خازنة إيه؟"

قام (يوسف) من مجلسه ودار في أرجاء الحجرة وهو يحدث نفسه بصوتٍ عالٍ:

- "أنا إزاي نسيت حاجة زي كدة؟ (وليد) كان عنده خازنة أمانات في بنك "بلوبيرد"، أنا معرفش كان حاطط فيها إيه، بس هو خلاني برضو أسجل البصمة بتاعتي هناك، البنك قعد يقول له يومها عن الأمان والخصوصية بس هو كان مُصِر، وأنا كنت في نص هدومي ومدير البنك بيبصلي كأني حرامي، أكيد الحاجة اللي بندور عليها دي (وليد) شايلها هناك، إحنا لازم نبلغ (بينتا) حالا"

اتجه إلى الناحية الأخرى من الفراش فاعترضته (حلا)، نظر لها (يوسف) باستغراب، فأمسكت بذراعه وقالت وهي تنظر إلى عينيه مباشرة:

- "أنت برضو متأكد إنك واثق من (بينتا)؟"
- "عالأقل هي حتعرف تعمل حاجة، إحنا حتى لو عرفنا الموضوع مش حنقدر ولا نوَصَّلُه لحد ممكن يعمل حاجة ولا حتى للناس علشان يعرفوا إنهم ممكن الدنيا اللي فرحانين بيها دي تنتهي فجأة"

ظلت (حلا) تنظر في عينيه لثواني ثم تركت يده فأومأ برأسه لها مطمئنا واتجه إلى الجانب الآخر ليستدعي (سيف)...

وفي الطابق الأرضي، داخل ذلك المكتب في نهاية الصالة الواسعة، وعلى تلك الشاشة التي تحتل حائط بأكمله، كانت (بينتا) تتابع ما يحدث في غرفة (يوسف) وعلى وجهها نفس النظرة الزجاجية التي لم تتغير منذ أن تركها...

"١٩"

كانت السيارة تنطلق الآن بسرعة كبيرة نحو منطقة "سموحة" حيث يوجد فرع بنك "بلوبيرد" الذي يحوي صندوق الأمانات الخاص بـ(وليد)...

كان (يوسف) و(حلا) يجلسان في الخلف، بينما في الأمام يجلس (سيف) إلى جانب السائق... ظل (حلا) و(يوسف) صامتين كل منهما ينظر إلى الجانب الآخر دون ينبس أيهما ببنت شفة، كان زجاج المقصورة الخلفية وذلك الفاصل بين المقصورة الأمامية والخلفية قد تحولا إلى اللون الداكن قبل أن يغادرا القصر مما منعهما من معرفة أين هم أو حتى الطريق الذي يمشون عليه الآن، مرت حوالي الربع ساعة ثم تحول الزجاج إلى لونه الشفاف مرة أخرى ليجدوا أنهم يتركون الآن الطريق الصحراوي باتجاه "سموحة"...

(يوسف) لا يعرف إن كانوا سيجدون شيئًا أم لا، كان يفكر في (وليد)، (وليد) كان شخصية بسيطة جدا، لم يكن في حياته شيء يصعب تفسيره، لم يكن هناك أسرار، ثم فجأة يكتشف شيء بهذه الخطورة ويُقتَل ويصير ما اكتشفه أهم شيء حدث في تاريخ هذا الكوكب... هذا لو بقي الكوكب نفسه ليذكر هذا في كتب التاريخ... يا لتفاهة هذه الحياة، تظل حياتك عادية وتتحول إلى حدث بعد موتك، ما الذي سيفيد (وليد) من هذا؟ هو مات

بالفعل، يمكن أن ينفعه هذا فقط إن كان صدقة جارية أو علم ينتفع به، لكن إن لم يكن هذا ولا ذاك فهو الوهم بعينه. يا الله، لم يجد سبحانه من تسمية أقل من الدنيا ليسمي به الحياة، وها نحن نتقاتل من أجلها، ثم نرحل، تاركين أناس آخرون يملأهم الأمل في أن يبقوا، ثم يرحلون كما رحل من قبلهم... ها هي تحدث أمام عينه الآن، هم في سبيلهم جميعا إلى الرحيل ولازال يفكر في زوجته، في ابنته، في عمله، حتى في (حلا) التي بجانبه الآن والتي قد بدأ -لسبب لا يعلمه سوى أنه مراهق كبير- في أن يكن لها شعورا هي الأخرى... لم يستطع منع عينيه طوال فترة وجودهما معا من أن تتابعا أصابع يديها المصبوغة باللون الوردي أو تلك الخصلة من الشعر التي تنزاح من على أذنها فتظهر رقبتها الملساء، أو يطرب لرنين ذلك الخلخال الذهبي الرقيق الذي لا يفارق قدمها اليمنى، كان اختيار (حلا) في المجوهرات ينم ذوق رفيع، تحتاج لعين فاحصة كي تعرف أنها ترتدي تلك الأسورة أو ذلك الخاتم، لكنه كان يملك تلك الأعين الفاحصة للأسف، شهوته تلك هي ما جعلته يختار زوجة مثل (ماهي)، لم يدرك أن مثل هذه الشهوة لا يمكن أن تنطفئ بمجرد أن تتزوج بامرأة جميلة، لم يدرك أنه سيمل وستبحث عيناه عن أخرى حتى لو كانت أقل جمالا، فقط هي مختلفة، هو لم يرها من قبل، تماما كما يبحث عن السعادة في تلك الأشياء التي لم يفعلها من قبل، أو الأماكن التي لم يزرها من قبل، ولن يجدها بالطبع إلا إذا نبعت تلك السعادة من داخله، فقط هو يصل إلى نقطة فيبحث عما بعدها، هناك

دائما شيء ما يدفعه إلى أن يبحث ويبحث ويبحث، يصل أحيانا لكن دون أن يشعر بطعم السعادة، فمتعته في البحث، لا في الوصول... يصمت عقله فقط إن شغله بالبحث، لكن ما أن يجد ما يبحث عنه حتى يشعر بالخواء... كان جده قد حدثه أنه حين ظهرت طفرة الهواتف المحمولة كان يبحث عن خصائص الهاتف، يقارنه بهواتف أخرى، يشاهد فيديوهات تتحدث عن عيوبه ومميزاته، ثم يذهب ليشتريه وما إن يمسك الهاتف في يده حتى يشعر بتفاهته... متعته كانت في البحث نفسه، الوصول إلى الهدف لم يعد يشعره سوى بانتهاء هذه المتعة...

السيارة تدخل الآن شارع (فوزي معاذ) وها هو الشعار الذي يعلو ذلك المبنى الذي يحتله البنك يلوح من بعيد ويقترب بسرعة، بدأت دقات قلبه تسرع مرة أخرى، سيجد ما يبحثون عنه هنا، ستنتهي تلك الأيام التي شعر فيها أنه يفعل شيئا مفيدا، ستذهب (حلا)، لسبب ما يشعر أن اليوم هو آخر يوم يراها فيه... كان بداخله رغبة قوية في ألا يجدوا أي شيء هناك، يريد أن يظل معهم، يريد أن يظل مع (حلا) في مكان واحد، هو بطل في فيلم الآن، لا يريد لهذا الفيلم أن ينتهي، سيعود إلى حياته الفاشلة ليمارس دور المشاهد مرة أخرى، بلا هدف، بلا طموح...

تذكر ذلك الزمن السحيق عندما كان مراهق، ذلك الشعور عندما تلمح تلك الفتاة، شعور جديد هو، لا تدري ما معناه، أنت لم تعد ذلك الطفل الذي يستمتع بالحلوى ويفرح بأن يعود للمنزل وقد تحول ذلك الجلد الذي

يحيط بركبتيه إلى أشلاء بعد مباراة كرة قدم عنيفة مع هم في مثل عمرك، أتى الوقت لتسرح، تتخيل، تتنهد وتحب، ليس حبا بالمعنى المقصود ولكنه جرس يدق لينبهك أن هناك شيء ما بالداخل، شيء لا ينفع معه مجهود بدني ولا ملء للفراغ ليخرس، أنت بحاجة لذلك النوع الآخر الذي يبتسم لك ويخبرك بعينيه أنك هناك، تريد من يخبرك أن هناك من يراك، من تحكي له أحلامك، من يقول لك أن الحياة دونك ليست ذات معنى، ثم تكتشف حين تكبر أن كل هذا هراء...

توقفت السيارة أمام البنك وهبط منها (سيف) لم يتحرك (يوسف)، ظل ينظر إلى باب البنك، كانت (حلا) تغلق باب السيارة الآن وتضيق حدقتيها وترفع يدها فوق وجهها لتحمي عينيها من أشعة الشمس، أخذ (يوسف) نفسا عميقا ثم فتح الباب ودار حول السيارة ليقف في مقدمة باب البنك. وقف (يوسف) ينظر إلى الباب ثم نظر إلى (حلا) التي أعطته ابتسامة واثقة فاتجه إلى باب البنك في خطوات حاول أن يجعلها ثابتة ففشل...

دلف للداخل وتبعته (حلا) ولم يدخل معهم (سيف)، كانا قد اتفقا أن يبقى (سيف) بالخارج حتى لا يثيرا الشكوك بهذا الثلاثي العجيب، لم يكن خبر أن (وليد) قُتِل قد عُرِفَ بالطبع لذا هم يتوقعون أن تكون الأمور أهون قليلا دون الكثير من الأسئلة، أدار (يوسف) عينيه في المكان، لم يتغير الفرع عن آخر مرة كان فيها هنا هو و(وليد)، حتى موظف الاستقبال الذي كان يبتسم لهما الآن ابتسامة دبلوماسية كان هو نفس الشخص ولم يتغير...

تقدم منه (يوسف) وهو يحاول أن يرسم على وجهه ابتسامة هو الآخر وأن يمنع يديه من أن ترتعشان بهذه الدرجة... (حلا) كانت أكثر هدوءًا وكانت خطواتها موحية بالثقة إذا تم مقارنتها بـ(يوسف) بالطبع. ازدادت ابتسامة الرجل اتساعا وقال لهما بصوت يجعلك تود أن تسمع المزيد منه:

- "أهلا يا فندم، أهلا وسهلا، أقدر أساعد حضراتكم ازاي؟"

نظر (يوسف) إلى (حلا) ثم إلى الرجل ثم ابتلع ريقه بصوت مسموع وقال بلهجة بدت مهزوزة نوعا:

- "في صندوق آآآ، خازنة، خازنة أمانات، كنا عايزين نفتحها"

ضاقت ابتسامة الرجل قليلا وإن لم تختفِ تماما من على وجهه وقال بلهجة رسمية لا تخلو من الذوق:

- "طبعا يا فندم، ممكن أشوف ال ID لو سمحت؟

ارتبك (يوسف) وتبادل نظرة متوترة مع (حلا) ثم وضع يده في جيبه وأخرج بطاقته الإلكترونية وأعطاها للرجل ثم هَمْ بقول شيء ما ثم تراجع ثم اندفع يقوله كأنما يريد أن ينتهي كل هذا بسرعة:

- "الصندوق مش باسمي، لكن أنا بصمتي متسجلة عليه"

نظر الرجل إلى بطاقة (يوسف) في تمعن ثم دار حول نفسه ووضعها على جهاز خلفه معلق على الحائط ويضيء باللون الأحمر، مرت بضع ثواني بدت كالدهر ثم ظهر مجسم هولوجرامي فوق الجهاز يحمل صورة كلا من

(يوسف) و(وليد)، تسمرت عينا (يوسف) على صورة (وليد)، ظهرت تحت الصورة بعض البيانات وظهر على شاشة الجهاز رمزاً للبصمة وبدأ الضوء الأحمر يومض ببطء، أشار الرجل للجهاز فمد (يوسف) يده ووضع إبهامه على الشاشة فازدادت سرعة الوميض ثم ثبت الضوء وتحول للون الأخضر مع كلمة "مطابق" أعلى علامة البصمة... ابتسم الرجل وأشار إلى (يوسف) و(حلا) بتهذيب أن يتبعاه، ثم اتجه إلى الجانب الآخر من صالة الاستقبال وتوقف عند باب معدني كبير في منتصفه قفل ضخم أشبه بخزنة عملاقة فوضع كفه على الشاشة بجانب القفل. أصدر القفل على الفور صوت معدني ثم انفرج الباب فجذبه الرجل إليه وأشار إليهما بالدخول فدخلوا وتبعهم الرجل وأغلق الباب خلفه.

ها هم الآن يقفون في بداية ممر طويل على جانبيه يوجد أروقة من الخِزَن المعدنية تصل إلى السقف، كان الأمر أشبه بالمخازن الإلكترونية... هناك ذراع يتحرك ليصل لخزانة في الأعلى فيفتحها ويلتقط منها صندوق أسود اللون ثم يتحرك ليضعها على روبوت صغير فيتحرك من فوره نحو باب آخر في نهاية غرفة التخزين وهكذا، خلية نحل من الروبوتات.. أشار إليهم الرجل نحو باب جانبي فتبعوه ووقف أمام الباب وأشار إليهم بتهذيب أن يدلفوا للداخل..

- "ثواني يا فندم والخزنة تبقى عند حضراتكم"

ثم أومأ برأسه محييا وخرج...

مرت بضع ثواني ثم ظهر روبوت صغير يحمل صندوقا أسود اللون وضعه على المنضدة أمامهم ثم خرج من الباب... تبادل (يوسف) و(حلا) النظرات ثم مدت (حلا) يدها وجذبت الصندوق إليها وأزاحت الغطاء...

كان يوجد الكثير من التقارير والرسومات البيانية والقراءات التي تحوي على أشكال أشبه برسم القلب لكنها أكثر تعقيدا، تأمل (يوسف) و(حلا) الأوراق وبدأوا في تصفحها...

وبعد دقائق من التصفح كان قد كون فكرة شبه كاملة عما حدث...

الأمر لا يحتمل مجالا للشك، سينتهي العالم فعلا...

لا يعرف كيف سيمكن لـ(بينتا) أن توقف أمر مثل هذا، مهما بلغ تطورها التكنولوجي فلن يمكنها أن تصمد أمام تلك القوى التي لم يصمد أمامها أي شيء من قبل...

الطبيعة...

تذكر ذلك الحديث عن قارة (أطلانتس)، تلك القارة الأسطورية التي لم يثبت وجودها حتى الآن بدليل قاطع، والتي ذكرها (أفلاطون) أو (بلاتو) - الحقيقي بالطبع وليس الرئيس- في محاورتين مسجلتين له... تقول الأسطورة كما ذكرها (أفلاطون) أن سكان أطلنتس امتلكوا قوة بحرية عظيمة مما جعلهم جشعين وفاسدين أخلاقيا، وبعد أن قادوا هجوما فاشلا على (أثينا) وقعت كارثة طبيعية مفاجئة فغرقت الجزيرة في غضون ليلة وضحاها

فأصبحت بقعة طينية ضحلة يستحيل العثور عليها... يبدو أنهم سيكون لهم نفس مصير (أطلانتس) خصوصا مع كل هذا الفساد الأخلاقي الذي ملأ العالم...

نظر (يوسف) إلى (حلا) ووجدها متجهمة الوجه... رفعت عينيها عن الأوراق التي في يدها وقالت لـ(يوسف) في توتر:

- "احنا لازم نمشي دلوقتي، لازم (بينتا) تعرف المعلومات دي حالا"

أومأ (يوسف) برأسه متفهما، كان غارقاً الآن في الأفكار السوداء وبدأ يلملم الأوراق من على المنضدة بذهن شارد تماما... مدت (حلا) يدها وأخذت الأوراق ووضعتها في حقيبتها ثم اتجها إلى الباب...

(يوسف) و(حلا) في السيارة مرة أخرى...

كانت السيارة الآن تتحرك بسرعة فائقة تجاه الطريق الصحراوي، لم يتحول الزجاج بعد إلى اللون الداكن لذا كان (يوسف) يغمض عينيه تاركا أشعة الشمس تسقط على وجهه وتحيل الظلمة التي يجلبها إغلاق عينيه إلى اللون الأحمر، فجأة شعر بالسيارة تميل بشدة، فتح عينيه ليجد أن هناك سيارة سوداء ضخمة تحاول أن تتقدمهم لتقطع عليهم الطريق...

كان كلا من (سيف) و(حلا) يراقبان السيارة وتبدو عليهما إمارات القلق الشديد، (سيف) يقول شيء ما وساعته تومض بلا توقف، السائق يحاول جاهدا ألا يدع السيارة الأخرى تتخطاه، وفجأة ارتفعت مؤخرة السيارة

وسمعوا جميعا صوت الكتروني ميزه (يوسف) على الفور كصوت أحد الأسلحة الكهرومغناطيسية مثل تلك التي كان يتبادلها رجال (بلاتو) و(بينتا) داخل ذلك المستودع لكن بدى من صوتها الأعلى أنها أسلحة أكثر فتكا بالتأكيد... حاول السائق السيطرة على السيارة وفشل فانقلبت على جانبها الأيمن وسط صراخ (حلا) المثير للأعصاب...

ارتطم رأس (يوسف) بشيء ما وفقد الإحساس بما حوله لبرهة من الوقت ثم عادت الأحداث فجأة تظهر من حوله، كان يرقد على جانبه الأيمن داخل السيارة، أصوات تلك الطلقات التي يشبه صوتها صوت تفريغ الهواء، رفع رأسه ليجد (حلا) ممسكة بمسدس من تلك المسدسات وتطلق النار في غزارة وهي تحتمي بباب السيارة، (سيف) أيضا كان يفعل نفس الشيء وهو لا يزال يتحدث في ساعته، ألقى نظره حوله داخل السيارة، كان السائق لا يزال يجلس في مقعده داخل السيارة المقلوبة وفي رقبته جرح غائر يشي بأنه قد غادر عالمنا بالفعل...

شعر (يوسف) بقلبه ينبض في عنف وهو يرى كل هذا الهول من حوله، المشكلة في تلك الطلقات الكهرومعناطيسية أنها تسبب أضرار أكثر مما تطلقه من صوت، تسمع تفريغ الهواء هذا وتجد أن جزءا من السيارة قد انثنى مسببا تشوها في هيكلها المعدني، قام (يوسف) بصعوبة وهو يحاول أن يغادر السيارة، أطل برأسه من الباب الجانبي الذي صار في الأعلى الآن، أحس بشيء ما يرمق فوق رأسه ورأى جزء من الطريق يتحول لحفرة وقد تناثرت

مكوناته بعيدا، خفض رأسه بسرعة، أصوات الطلقات قريبة جدا، وجد يد تمتد إلى السيارة، أمسك بها، أصابع رقيقة مصبوغ أظافرها بالون الوردي، جذبته تلك اليد الرقيقة بقوة ليغادر السيارة، لم يدركم هي قوية حتى الآن، سقط على جانبه بجوارها، ثم رفع رأسه ليرى ما يحدث، هناك مجموعة من الملثمين يرتدون الملابس السوداء تحتمي بالسيارة الأخرى وتطلق النار، يوجد اثنان من هؤلاء الملثمين على الأرض، تطلق (حلا) النار وتحصد أحدهم وهي تجذب (يوسف) ليحتمي بجسم السيارة إلى جانبها، ما تفعله هذه الفتاة الآن فوق قدرته على الاستيعاب، هتف فيها (سيف) وهو يطلق مسدسه:

- "الطيارة فاضلها أقل من دقيقة، (يوسف) لازم يوصل للقصر"

هتفت به (حلا)، وهي تلتصق بـ(يوسف) وتجذب قدمه التي كانت تظهر من خلف السيارة:

- "شنطتي فيها الحاجة، لسا جوة العربية، (يوسف) حيفضل هنا، أنا حدخل جوة، غطيني"

قفزت (حلا) من مكانها قفزة لم يستوعبها (يوسف) في البداية واندفعت داخل السيارة، كان (يوسف) يراقبها وهو يحاول أن يفهم ما يحدث أمامه، مرت لحظات أسهب فيها (سيف) من إطلاق سلاحه ناحية السيارة الأخرى ثم ظهرت (حلا) مرة أخرى وقفزت من السيارة...

وبشكل يتنافى تماما مع قوانين الجاذبية تحرك جسد (حلا) بصورة عجيبة وطارت بعيدا في الاتجاه الآخر ووقعت على الأرض على مسافة تبعد عن السيارة بحوالي ثلاثة أمتار...

ثم فطن (يوسف) لما حدث...

لقد أصابت إحدى تلك الطلقات (حلا)...

توقف الزمن لدي (يوسف) تماما الآن... كان يراقب (حلا) التي همد جسدها تماما، (سيف) يهتف بشيء ما، زحف (يوسف) ناحية (حلا) ولم يبالِ بأصوات الطلقات التي يسمعها، وصل عند (حلا) وألقى نظرة عليها... كانت ساق (حلا) مثنية عكس اتجاهها الطبيعي وكان هناك دم يسيل من مؤخرة رأسها، عيناها كانت واحدة تنظر نظرة خاوية للسماء والأخرى تنظر لأقصى اليمين وقد بهت لونها، لا يحتاج إلى خبرة طبية ليعرف أن (حلا) قد رحلت عن عالمنا...

اختفت الشمس من فوقهم، رفع (يوسف) رأسه ليجد طائرة سوداء تحلق فوق المهاجمين، اندفع صوت تفريغ الهواء ورأى الملثمون تحصدهم تلك الطلقات التي انطلقت من أسلحة الطائرة كالذباب...

لمح (يوسف) ذلك الشعار على جانب سيارة المهاجمين، كان شعار قوات حفظ الأمن... إذن فهؤلاء الرجال من أتباع (بلاتو)...

(بلاتو) قتل (حلا)...

(بلاتو) قتل (وليد)...

(بلاتو) فعل ذلك فقط ليستمر في حكم مصر في حين أن العالم بأكمله في سبيله إلى الزوال...

كان تفكيره قد شل تماما الآن وهو يرقد بجوار (حلا)، هو لم يستطع أن يحمي أيا منهم، بل (حلا) هي من كان يحاول حمايته...

كانت حقيبة (حلا) ملقاة بجانبها وقد تناثرت محتوياتها، مد (يوسف) يده وقبض عليها، هي كل ما تبقى منها، هو يعلم أن الحقيبه بها الأوراق التي أخذاها من خزانة البنك لكن كل هذا لم يعد يهمه... لقد رحلت (حلا) هي الأخرى... لمح (يوسف) بطاقة (حلا) الالكترونية بجانب حقيبتها فمد يده وقبض عليها هي الأخرى وأخذ يتأمل صورتها... (حلا) كانت جميلة، عيناها تشعان بالذكاء، لماذا ماتت؟ لأنه صار كالوباء، كل من حوله يموتون... اعتصر البطاقة في يده وانتظر أن تنهمر دموعه فلم تفعل...

ومض شيء ما في عقله فطالع البطاقة مرة أخرى وهو ينظر للإسم في عدم فهم...

ثم تتابعت الأحداث في عقله كأنه يتم تشغيلها في مخه بسرعة جنونية...

(حلا) كانت تقاتل بشراسة إلى جانب (سيف)، كانت رصاصاتها تحصد المهاجمين في مهارة مدهشة...

(حلا) كانت تنسق مع (سيف) لحمايته حتى تلتقط حقيبتها من السيارة المنقلبة...

(حلى) كانت تعلم بوصول الطائرة وطلبت من (سيف) أن يغطي عليها حتى تحضر حقيبتها من السيارة...

(حلا) قفزت قفزة يحسدها عليها لاعبو السيرك لتدخل داخل السيارة...

اقتربت الطائرة من الأرض بعد أن قضت تماما على المهاجمين وقفز منها على الفور رجلان ملثمان أيضا واندفعوا نحوه، أمسك به كل منهما من ناحية وهم يرفعوه من الأرض رفعا، مد يده وأمسك بحقيبة (حلا) وتركهما يدفعانه ناحية الطائرة، ولم تمضِ لحظات حتى كانت الطائرة تحلق عاليا...

ألقى نظرة من أعلى على السيارة التي طاردتهم والتي كانت قد تحولت لصفيح مشوه الآن، وحولها ارتمى العديد من الجثث، وعلى مقربة كان يرقد ذلك الجسد البض الذي كان ينبض بالحيوية منذ دقائق...

جسد (حلا)... أو...

أو (سلمى)...

كما هو مكتوب في بطاقتها الإلكترونية...

❁ ❁ ❁

"٢٠"

شعر (يوسف) بالطائرة تنخفض سريعا، كان الزجاج قد تحول إلى اللون الداكن بمجرد اقلاعهم كعادة كل وسائل الانتقال التي ركبها خلال اليومين الماضيين فلم يدري أين هو ذاهب، في الحقيقة لم يعد يكترث، كان يشعر بالغباء وبانعدام الثقة، كان يتوقع أن موت (حلا) – أو (سلمى) كما هو مكتوب في بطاقتها – سيقضي على البقية الباقية من ارادته للحياة، لكنه لم يعد يكترث لأي شيء... (حلا) لم تكن (حلا) فعلا، هذا لا يعني إلا شيء واحد...

(حلا) كانت تعمل معهم منذ البداية...

دائما ما أخذ الحياة باستخفاف، دون الدخول في تفاصيل كثيرة، الآن أيقن تماما أنه لا يعرف أي شيء عن أي شيء... كان قد بدأ يكن لها بعض المشاعر، ابتسم في مرارة وهو يتذكر، هل حدث كل هذا فعلا في يومين فقط؟

توقفت الطائرة عن الحركة وعاد الزجاج إلى لونه الشفاف، ألقى (يوسف) نظرة إلى الخارج، حديقة أخرى كبيرة يحيطها سور ضخم ويتوسطها ذلك القصر المهيب الذي يشبه قصر (بينتا) كثيرا مع بعض الاختلافات في الألوان والتصميم، فتح باب الطائرة وهبط (سيف) ومد يده

إليه ليساعده على الهبوط، تجاهل (يوسف) يد (سيف) الممدودة وقفز من الباب فاختل توازنه، حاول (سيف) مساعدته فأبعد يده مما جعله يفقد توازنه تماما ويقع على الأرض... اقترب منه (سيف) وأحد الرجال الآخرين القادمين معهم بالطائرة فقام (يوسف) قبل أن يصلا إليه ووقف ينظر إليهما في غضب...

- "عايزين إيه؟"
- "اهدى يا (يوسف)، الحمد لله إن ماحصلكش حاجة"
- "أهدى؟ أهدى إزاي؟ أنا مابقيتش فاهم حاجة"
- "انا آسف يا (يوسف)، أنا عارف إن (حلا) كانت..."
- "(حلا) ولا (سلمى)؟"

نظر (سيف) إلى (يوسف) طويلا ولم يرد وضع (يوسف) بطاقة (حلا) التي كان يقبض عليها أمام وجهه، ألقى (سيف) نظرة عليها ثم تبادل النظرات مع الرجل الآخر والتفت لـ(يوسف) وقال له بهدوء:

- "ممكن بس تتفضل معايا جوه؟"
- "أنا مش حدخل القصر، أنا حمشي دلوقتي حالا"
- "استنى بس أما تتكلم مع (بينتا)، هي حتفهمك كل ح..."
- "حتفهمني إيه؟ إن (حلا) دي ولا (سلمى)، كانت بتشتغل معاكم من الأول؟ أنا مش عايز أعرف حاجة خلاص، أنا عايز أمشي، أنا تعبت"

- "ممكن تتكلم مع (بينتا) الأول بس وبعد كده لو عايز تمشي أنا بنفسي حوصلك لغاية البيت؟"

لم يرد (يوسف)، كان الإرهاق والتعب البدني والنفسي قد أودوا بالبقية الباقية منه... لم يعد يعرف ماذا يفعل، لم يعد يعرف كيف يفكر، هو يريد فقط أن يترك لحاله، فلتذهبوا جميعا إلى الجحيم أنتم وكوكبكم الغبي، من الجيد أن ينتهي هذا العالم فلم يعد يطيقه... اقترب منه (سيف) ووضع يده على كتفه، لم يعترض (يوسف) هذه المرة، ربت (سيف) على كتفه وقاده ناحية القصر. استسلم (يوسف) لـ(سيف) تماما وهو يرى باب القصر يقترب...

كان الديكور بالداخل يشبه كثيرا قصر (بينتا) الآخر، اتجهوا نحو مكتب (بينتا) الذي يوجد في نفس الجهة من القصر، طرق (سيف) الباب هذه المرة وفتح ليجدوا (بينتا) جالسة على مكتبها. ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه (بينتا) وأشارت إلى (يوسف) ليجلس على ذلك الكرسي أمام مكتبها. تقدم (يوسف) وأغلق (سيف) الباب.

جلس (يوسف) على الكرسي المقابل للمكتب وهو ينظر لـ(بينتا)، لمدة دقيقة كاملة ظلا (يوسف) و(بينتا) ينظران لبعضهما البعض دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ثم كسرت (بينتا) الصمت وقالت بهدوء:

- "أكيد عايز تفهم موضوع (حلا)"

لم يرد (يوسف) وظل ينظر إليها بنفس النظرة الخاوية...

- "(يوسف)، من دراستنا لشخصيتك إحنا عارفين إنك كان عمرك ما حتعمل حاجة لوحدك. حتى بعد ما صاحبك (وليد) مات كنا عارفين إنك لا يمكن تتحرك إلا إذا حد هو إللي خلاك تعمل ده. (سلمى) بتشتغل معايا، المفروض ماكنتش تعرف الكلام ده. (سلمى) المفروض ما كانتش تموت، (بلاتو) حيدفع تمن موتها"

لم يرد (يوسف) أيضا وظلت نفس النظرة متجلية على وجهه...

- "أنا عارفة انك متلخبط، حاسس إني كنت بضحك عليك، الموضوع مش كده يا (يوسف)، في حاجات كتير أكبر منك مش حتفهمها، (بلاتو) لازم يدفع تمن حاجات كتير، موت (وليد) و(سلمى) جزء بس منها، مصر اللي بتنهار، السياسات الغلط، احنا بنتكلم عن بلد كاملة يا (يوسف)، الصراع انت ممكن ما تحسش بيه بس في حاجات كتير لازم تتصلح، واصلاحها ده مرتبط بإن (بلاتو) ينتهي"

نظر لها (يوسف) طويلا ثم قال بتعب:

- "أنا مش عايز أكمل"

رفعت (بينتا) حاجبيها ولم تقل شيء... أكمل (يوسف):

- "اللعبة اللي مابينكوا، الصراع على كرسي دوله والعالم كله حينتهي بيبين قد إيه انتوا الاتنين زي بعض، مش مهم، مش فارقة، كده كده العالم حينتهي ومش حتلاقوا حد تحكموه، أنا بس تعبت، عايز أعيش في سلام كده واتفرج على الدنيا وهي بتخلص، مش عايز حاجة تانية"

قالت (بينتا) بحدة:

- "قلتلك قبل كده أنا مش زي (بلاتو)، مش عارف انت جبت التأكيد اللي عندك ده منين، (بلاتو) عايز يفضل في الحكم بس، أنا عايزة البلد دي تبقى كويسة، عايزة كتب التاريخ تكتب عن (بينتا) والدولة العظيمة إللي بنتها، العالم مش حينتهي يا (يوسف)، وده وعد مني"

ثم اقتربت برأسها من (يوسف) وقالت له:

- "(يوسف)، أنت دورك حيبقى أكبر دور في نجاح الخطة دي، انهاردة أنت حتطلع في التليفزيون والعالم كله حيسمعك، حتتكلم على اللي اكتشفه صاحبك، حتقول للناس إن (بلاتو) قتل صاحبك علشان يفضل في الحكم، حتطمن الناس إن دلوقتي حالا في لجنة علمية من أعظم العلماء في المجال ده بتبحث عن حل للمصيبة دي وحنُوصَلُّه. في نسخة من الأوراق وصلتلي بمجرد ما كتنوا في البنك،

(سملى) كان في كاميرا في عينيها وكل ورقة اتصورت وعرفت ايه اللي فيها. وزي ما وعدتك، العالم مش حينتهي يا (يوسف) وأنت بنفسك انهاردة اللي حتقول للناس كده"

كان (يوسف) يشعر بصداع شديد.. لا يريد إلا أن تتوقف (بينتا) عن الكلام، هناك كثير من الطباع النسائية في برنامجها، هي لا تتوقف عن الكلام عندما يجب عليها أن تفعل. هو لم يعد يكترث لأي شيء، ينتهي العالم أو لا ينتهي، تفوز (بينتا) أو يبقى (بلاتو)، لا يهم، فليذهبوا جميعا بما فيهم هو نفسه والكوكب بأكمله إلى الجحيم...

- "أنا عايزاك تستريح دلوقتي، قدامك ثلاث ساعات وتطلع online، لازم تبقى فايق، عايزاك تراجع كل كلمة في التقارير بتاعة (وليد)، عايزة الناس يفضلوا فاكرين اليوم ده كويس. الفيديو حيتعرض في قنوات كتير، وفي نسخة حتنزل فورا على YouTube. يلا يا (يوسف)، روح استريح دلوقتي، وحشوفك تاني قبل ماتروح للمحطة"

نظرت للباب فانفتح وظهر (سيف)، اتجه (يوسف) إلى الباب دون أن يحييها. قاده (سيف) إلى الطابق العلوي مرة أخرى، ألا يوجد اختلاف قط في هذه القصور؟ كان منبهرا في المرة الأولي عندما رأى قصر (بينتا) الآخر من الداخل، لكنه الآن يمقت القصر و(بينتا) و(بلاتو) وكل من قابله خلال

الأيام السابقة... فتح (سيف) باب الحجرة التي تقع في نفس مكان الحجرة الأخرى في القصر السابق، لم يستطع أن يمنع عيناه أن تلتفا إلى باب الحجرة المقابلة لحجرته، (حلا)، (سلمى)، أيا ما كان اسمها لن تظهر على باب غرفته بعد أن يرحل (سيف)... أيقن أنه مهما حاول ألا يعترف بهذا الأمر فهو يفتقدها بشكل أو بآخر. مد (سيف) يده وناول (يوسف) مظروف، التقطه (يوسف) وفتحه ليجد الأوراق التي كانت بداخل حقيبة (حلا). هؤلاء القوم لا يضيعون وقتهم في ترهات، فليمت من مات وليعش من عاش وليذهب إلى الجحيم من ذهب، هناك أمور يجب أن يقوموا بها...

أغلق (سيف) الباب وترك (يوسف) وحده في تلك الحجرة التي صار يراها الآن كئيبة كأي شيء في حياته...

حتى الغصة التي شعر بها وقت وفاة (وليد) لم يعد يشعر بها الآن...

اتجه إلى الفراش وجلس... لم يدري كم مر من الوقت عليه وهو على نفس الوضعية، نظر إلى الملف الموضوع بجانبه ثم مد يده إليه، ألقى نظرة سريعة عليه ثم وضعه على الفراش مرة أخرى... لن يستطيع قراءة شيء الآن... لن يستطيع أن يفعل أي شيء، لقد أخطأت (بينتا) في الاعتماد عليه ليقوم بهذا الدور بالغ الخطورة في خطتها...

نظر إلى ساعته ووضع يده على شاشتها فظهرت القائمة الهولوجرامية، أخذ يعبث بها حتى وجد ال Facebook ففتحه...

(سارة) online الآن...

ليس هذا وقتا مناسبا يا (يوسف)، ليس الآن، كان يحتاج إلى شخص ما بعيد عن تلك الدائرة التي وقع فيها، كان يريد أن يشعر بشيء ما حقيقي وسط كل هذا الكذب، وبيد مترددة ضغط على صورة (سارة) وبدأ في الكتابة بدون أن يعي حتى ما يقوله...

- "صباح الخير إيتها الفتاة الجميلة"

مرت دقيقة كاملة رأت (سارة) ما كتبه (يوسف) ولم ترد ثم ها هي تكتب شيء ما...

- "صباح الخير"
- "أنا لقيتك online قلت أشوفك تلك الفتاة الرقيقة عاملة إيه النهاردة"
- "ليه؟"

تسمرت يد (يوسف) قليلا وهو يقرأ تلك الرسالة...

- "مش فاهم قصدك"
- "(يوسف)، أنا تعبانة، أنا دلوقتي في علاقة مالهاش معنى، دخلت نفسي فيها ومش عارفة أطلع، وماشية بال Inertia، متخيل يا (يوسف) إن حياتك تبقى مستمرة بالقصور الذاتي بس؟ أنا آسفة يا (يوسف)، بس أنا مش عايزة أدخل في علاقة تانية ملهاش معنى، أنا مش حمل حاجة زي دي تاني"

قرأ (يوسف) ما كتبته (سارة) وهو يحاول معرفة ما يشعر به الآن، لا شيء، لا شيء على الاطلاق...

- "(يوسف)، أنت فهمتني في حاجات ماحدش فهمني فيها غيرك، يا ريت تفهمني المره دي كمان"

كان (يوسف) يحاول أن يفكر ولكنه فقط لم يستطع، كتب ومسح ما كتبه عدة مرات... ثم استقر أخيرا على بعض الكلمات التي لم يدرِ حتى معناها...

- "أنا فاهمك يا (سارة)... ربنا يوقفك للخير"
- "شكرا يا (يوسف)... (يوسف)، كن بخير"
- "وانتي، كوني سعيدة"
- "حاضر"

أخذ (يوسف) يتأمل الشاشة دون أن يفعل أي شيء... ها هي صفحة أخرى تطوى في عالمه، يبدو أن من حوله قد قرروا الابتعاد عنه إما بالموت أو بالرحيل...

وفجأة ظهرت على الشاشة رسالة من شخص ليس ضمن قائمة أصدقاءه على ال Facebook...

- "(يوسف)، احنا بنحاول نوصلك من فترة. أنا (مؤمن سراج)، من الأمن الوطني"

شعر (يوسف) بالدم يصعد إلى مخه وهو يقرأ تلك الكلمات... بالتأكيد كان يحتاج هذه الرسالة كي يعود له الإحساس من جديد... وبكل غضب الدنيا بدأ يكتب...

- "انتوا عايزين إيه تاني؟ انتوا بوظتولي حياتي، كلكوا حتدفعوا التمن، انتوا و(بلاتو)"
- "الموضوع مش زي مانت فاهم يا (يوسف)، أنت فين دلوقتي. تقدر تقولي موقعك؟"
- "موقع إيه وزفت إيه؟"
- "(يوسف)، احنا عرفنا نوصلك بالعافية لسا حالا بس مش عارفين نحدد موقعك، أكيد في جهاز تشويش في المكان اللي أنت فيه"
- "ومش حتعرفوا توصلولي، يلا غور في داهية أنت كمان"

وبضغطات سريعة أغلق (يوسف) الشبكة...

التفت (يوسف) إلى المظروف وامتدت يده إليه وفتحه وأخذ يتصفح الأوراق بداخله وقد عاد إليه الإحساس مرة أخرى...

الإحساس بالغضب...

"٢١"

- "مساء الخير"

(يوسف) أمام الكاميرا الآن، الأضواء المسلطة عليه جعلته غير مستريح بالمرة، لابد وأن يتقاضى المذيعون تلك المبالغ الفلكية التي يتقاضونها من أجل أن يجلسوا كل هذا الوقت وتلك الكشافات شديدة الإضاءة تضرب وجوههم بهذه الطريقة...

كان مكان البث قريب من القصر، فلم يُظلِم الزجاج لأكثر من الربع ساعة داخل السيارة التي أحضرتهم إلى هنا، عاد الزجاج بعدها للونه الطبيعي مرة أخرى كاشفا عن... عن اللا شيء... كان هناك رمال، الكثير منها، لابد وأنهم في منطقة صحراوية ما قريبة من القصر، لا شيء يحيط بهم، هبط (سيف) من السيارة وتبعه (يوسف) وهو يتلفت حوله، لا يرى أي شيء على مرمى بصره، أين هم؟ سار (سيف) بعيدا عن السيارة حوالي عشرة أمتار ثم توقف، تابعه (يوسف) بنظره ولم يتحرك، وفجأة سمع صوت شيء معدني ينزلق ثم انزاح جزء من الأرض بجوار (سيف) وبدأ جسم إسطواني شفاف يظهر من تلك الفجوة في الأرض. (بينتا) تحسن التخطيط لكل شيء فيما يبدو... أشار (سيف) لـ(يوسف) فتقدم إلى الجسم الإسطواني وعرف على الفور كنهه بعد أن اقترب منه أكثر. كان باب ذلك المصعد

الإسطواني مفتوح، دلف (يوسف) إلى داخله دون إشارة من (سيف) وتبعه (سيف) وأغلق الباب وبدأ المصعد في الهبوط على الفور...

كان المكان يشي بالتقدم التكنولوجي الهائل، لن يمكن لـ(يوسف) أن يجزم بأنه سيستطيع وصفه جيدا فيما بعد، فمعظم الأجهزة الموجودة هنا لا يدري عنها أي شيئ... استقبلهم رجل متأنق، كان يبدو من الاحترام الذي يعامله به الجميع أنه مدير هذا المكان ثم عرف فيما بعد أنه من سيخرج هذا الفيلم الذي سيصوره الآن، سيصير مشهورا، لم تكن تلك إحدى مخططاته لكنه سيحدث رغم أنفه على كل حال... شرح له الرجل سريعا ما سيتم بالضبط، طلب منه أن يصنع ما يشبه الـ"بروڤا" لما سيقوله... كان قد تدرب سريعا على ما سيقول في غرفته بالقصر، لم يستطع أن يمنع المخرج نفسه من أن يصير وجهه في لون الورقة، لابد وأن ما سمعه قد أصابه بالصدمة، فلتتماسك أيها الوغد، هي المرة الأولى لك إذن في أن تخرج فيلما ينتهي فيه العالم بشكل حقيقي... لم يمر الكثير حتى كان يقف أمام الكاميرا ممسكا بالأوراق التي وضعها (وليد) في تلك الخزانة...

أفاق (يوسف) من أفكاره وهو يرى المخرج الذي يقف الآن بجانب الكاميرا وهو يحثه على الاستمرار، لابد وأن شرود ذهنه قد أخذ وقتا أكثر من اللازم... تنحنح (يوسف) ليعد حنجرته للكلام، جميعهم يفعلون هذا، فلم لا يفعله هو؟ ... نظر إلى الكاميرا وهو يحاول ترتيب أفكاره...

- "انا اسمي (يوسف)، (يوسف تامر)، مهندس روبوتات في شركة بتصنع "الجيوبوليمر"، من أسبوعين تقريبا صاحبي، وصديق عمري (وليد مازن) اكتشف حاجة ممكن تكون أهم وأخطر اكتشاف حصل في تاريخ الأرض كلها، وللأسف (وليد) مش موجود معانا دلوقتي علشان يتكلم عن اكتشافه بنفسه لأن (وليد) مات، أو بمعنى أصح اتقتل... اتقتل علشان الاكتشاف ده ميتعرفش، علشان في ناس، أو مش حقدر أقول ناس، بس للأسف إحنا بنعتبرهم كدة دلوقتي... إللي قتله هو (بلاتو)، رئيس الجمهورية، وقتله ليه، هو ده اللي أنا جاي انهاردة علشان أتكلم عنه"
- "(وليد) كان شغال مهندس جيولوجيا في وزارة الفضاء، في مركز يمكن ناس كتير ماتعرفوش، اسمه مركز جيولوجيا الفضاء"
- ححاول أشرح الموضوع بشكل بسيط لأن فيه مسطلحات كتير خاصة بالجيولوجيا مش كل الناس حتفهمها"
- "الفترة اللي فاتت دي، كلنا لاحظنا إن مصر بدأت تحصل فيها زلازل كتير، في حاجات تانية غريبة برضو حصلت زي النورس اللي هاجمت الناس على البحر والأطفال اللي في المدرسة في أسوان اللي جالهم لوكيميا، كل الناس، وأنا ضمنهم ما عرفوش إن الأحداث دي كلها وأحداث تانية حصلت ليها علاقة ببعض، أو بمعنى أصح، في حاجة واحدة سببتهم كلهم"

- "كوكب الأرض، من بداية الكون كان مجرد جسم درجة حرارته عالية جدا، زي بقية الكواكب بالضبط، وبعد ما برد، اتكونت الطبقة الصلبة اللي احنا بنسميها القشرة الأرضية، بس باطن الأرض نفسه فضل زي ما هو... درجة حرارته بتوصل تقريبا ل ٦٠٠٠ درجة مئوية.... قلب الأرض ده – إللي معظمه تقريبا من الحديد والنيكل – متكون من جزئين، جزء سائل وجزء تاني مصمت، وبيتحرك بحرية مع دوران الكوكب. المزيج ده حركته هي اللي بتكون المجال المغناطيسي لأرض"
- "المجال المغناطيسي للأرض ده مسئول عن حاجات كتير قوي ممكن ناس كتير ما تعرفهاش، زي إنه بيحمي الأرض من التدفقات الإشعاعية اللي جايه من الشمس، الجزيئات المشحونة اللي بتقذفها خلال العواصف الشمسية ممكن تعمل ثقوب في الغلاف الجوي للأرض، وممكن تؤذي البشر"
- "المجال المغناطيسي للأرض ماكانش زي ما هو كده من أول ما الأرض نشأت، متخيلين؟ التاريخ الجيولوجي للأرض بيقول إن في أحجار لقوا إن مغناطيسيتها مقلوبة، ده معناه إن ماكانش القطب الشمالي في الشمال والقطب الجنوبي في الجنوب، في فترة اتقلبوا، آخر مرة بدلوا أماكنهم كان من حوالي ٧٥٠,٠٠٠ سنة تقريبا.

وللأسف من الواضح إن معاد إنهم يتعكسوا تاني جه. أيوا، المجال المغناطيسي للأرض ابتدى يتقلب فعلا"

- "المشكلة إنهم مابيغيروش أماكنهم فجأة، الموضوع ده علشان يحصل لازم في الأول المجال يضعف لحد ما يوصل لصفر وبعد كده بيتقلب، وده معناه إن في فترة المجال المغناطيسي ده حيضعف وبعد كده حترجع شدته تزيد تاني لغاية ما توصل لنفس الشدة اللي كانت عليها قبل ما يتقلب بس بعد ما الأقطاب دي تبدل أماكنها. المشكلة الكبيرة في الفترة اللي بيتقلب فيها، إللي المجال فيها بيبقى أضعف ما يمكن، هو ما بيوصلش لصفر، بس بيبقى ما بيأديش الوظيفة اللي ربنا خلقه عشانها"

- "ده معناه إن الأشعة الكونية اللي حتوصل الأرض حتبقى أكتر بكتير من دلوقتي، وحتسبب سرطانات زي ما شفنا في حادثة المدرسة، الجزيئات المشحونة اللي بتقذفها الشمس خلال العواصف الشمسية حتعمل ثقوب في الغلاف الجوي للأرض والله أعلم حتعمل إيه لما توصل للأرض... الحيوانات التي بتعتمد بدورها على المجال المغناطيسي للأرض في ملاحتها زي الطيور، وأسماك السلامون والسلاحف البحرية حتفقد اتجاهاتها خلال رحلاتها الروتينية وحتتصرف بغرابة زي ما حصل مع النوارس اللي هاجمت الناس على البحر"

- "أنا عايز أقولكم إن ده بالضبط هو تفسير علماء كتير لانقراض الديناصورات، المفترض إن آخر تاريخ للديناصورات على الأرض كان هو نفس زمن حدوث آخر انقلاب للمجال المغناطيسي للأرض"
- "احنا لسة ما وصلناش للمرحلة إللي فيها المجال أضعف ما يمكن، بس إحنا رايحينلها دلوقتي، امتى بالضبط حتحصل أنا مش عارف بالضبط، بس احنا بنتكلم في أسابيع، مش أكتر"
- "أنا عارف قد إيه الكلام اللي بقوله ده صعب، أكيد في ناس كتير حست دلوقتي إنها حتموت، بس أنا عايز أطمنكوا ولو حاجة بسيطة. إللي ساعدتني في إني أوصل الموضوع ده ليكم هي نفس الشخص إللي مجند دلوقتي مجموعة كبيرة من أعظم علماء الجيولوجيا والجيوفيزياء الكوكبية علشان يقدروا يوصلوا لحاجة تخلينا نتلافى التأثير بتاع الظاهرة دي. الشخص ده هو (بينتا)، المرشحة الرئاسية قدام (بلاتو)"
- "(بينتا) ساعديتني إني ألاقي المعلومات اللي اكتشفها (وليد)، واللي اتقتل علشان تختفي، (بينتا) هي اللي ساعديتني إني أقف قدامكو دلوقتي، (بينتا) من كلامي معاها عايزة مصر أحسن، عايزاها تكون متقدمة، أنا كمان نفسي في كده، نفسي مصر تبقى أحسن، أجمل، نفسي بنتي (زينة) يبقى ليها مستقبل، نفسي ماتخافش من بكره زي

ما أنا بخاف وزي ما كلنا ما بنخاف من بكره، حتى قبل الظاهرة اللي اكتشفها (وليد)"

- "وليد اتقتل بطريقة مش حاقدر أوصفهالكم بس هي شنيعة، عمري ما حاقدر أنسى منظره وهو متقطع، أنا شفت القاتل، هو روبوت، من قوات حفظ النظام، (بلاتو) بعته علشان يقتل (وليد) ويخفي كل المعلومات اللي (وليد) كان مخبيها، أنا نفسي كنت حموت لما رحت أدور على (وليد) في بيته وهربت بأعجوبه، ربنا أراد إني ما أمتش، يمكن علشان أوصل الموضوع ده ليكم"
- "في واحده كمان، كان ليها دور كبير في إننا نلاقي الحاجات اللي اكتشفها (وليد)، (سلمى)، اسمها (سلمى)، هي كانت في فريق العمل بتاع (بينتا) واللي قتلها برضو أفراد من نظام (بلاتو)"
- "ما ينفعش حد يحكم بلد وهو مش عايز مصلحة شعبها، ما ينفعش حد بيحكم ملايين الناس يبدِّي مصلحته عن مصلحة الناس دي. لما ثورة المبرجين قامت قلنا إننا عمرنا ما حنشوف حاجة زي كده تاني، تاريخنا مليان حكام عملوا كل حاجة علشان يفضلوا في الحكم، بس ماحدش كان متخيل إن ممكن نشوف الكلام ده من روبوت"
- "(بلاتو) ما ينفعش يحكم مصر، وأي حد زي (بلاتو) ما ينفعش يحكم مصر"

- "دي مش النهاية، (بينتا) وعدتني إن مش دي النهاية، وأنا واثق فيها بعد إللي أنا شفته منها وعندي أمل يبقى فيه بكره، إن العالم ما يخلصش، لسه في حاجات كتير ما عملناهاش، لسه عازين نبقى أحسن، عايزين نعمل حاجة علشان لما نموت ما نبقاش عشنا على الفاضي"

❁ ❁ ❁

"٢٢"

اندفع المخرج غريب الأطوار يهئ (يوسف) على أدائه "الغير مسبوق" على حد قوله، يبدو أنه يعمل مع مجموعة من المعاتيه حتى يصف أداء (يوسف) أمام الكاميرا "بالغير مسبوق". كان (يوسف) يشعر بأن حملا ثقيلا قد انزاح من على كتفيه، لقد فعل شيئا... على الأقل لم يمت (وليد) بلا سبب، ولم تمت (حلا) بلا داع، سيظل يتذكرها كـ(حلا)، (سلمى) تلك لا يعرفها ولم تترك لديه أي ذكرى. لقد انتقم لـ(وليد)، عرف العالم كله أن (بلاتو) هو القاتل. بالتأكيد سيصير مشهورا أيضا، سيتلفت الناس في الشارع عند رؤية وجهه، ستشير له الجميلات ويقلن "مش ده (يوسف) بتاع المجال المغناطيسي؟"، ابتسم، حتى في أحلامه لا يزال مراهق، ثم تذكر أنه سيصير مشهورا أيضا وسط رجال حفظ النظام والأمن الوطني، سيتم التخلص منه انتقاما لما حدث لا محالة، اختفت الابتسامة من على وجهه وهو يتخيل الروبوت الذي قتل (وليد) وهو يتلذذ بتمزيقه.. ابتلع ريقه، على الأقل سيموت مشهورا، وستبكي الجميلات على موت ذلك الشاب الوسيم الذي قُتِلَ من أجل أن يعشن...

أخرجه (سيف) من أفكاره وهو يقول له وعلى وجهه ابتسامة واسعة:

- "الله ينور يا بطل، أنت مولود مذيع يابني والله"

- "آه، بس للأسف حيقتلوني قبل ما أنضم لقناة الحياة"

- "ماتخافش، احنا عارفين إنك حتبقى هدف لرجالة (بلاتو)، علشان كده أنت حتفضل في القصر لغاية لما الانتخابات تخلص و(بينتا) تبقى هي اللي مسيطرة على النظام. ماتقلقش، احنا حاسبين كل حاجة كويس"

- "ربنا يطمنك"

وضع (سيف) يده على كتفه وهو يقول:

- "(يوسف)، أنت دلوقتي بقيت صديق شخصي لرئيسة جمهورية مصر العربية القادمة، يعني أي حاجة حتحتجها بعد كده حتلاقيها، أنت فاهم ده معناه إيه يا (يوسف)؟"

أومأ (يوسف) برأسه وابتسم دون أن يرد، ربت (سيف) على كتفه وقال بلهجه قوية:

- "يلا يا بطل، أنت أكيد تعبت من كل اللي حصل خلال اليومين الي فاتوا دول، احنا حنتحرك خلال خمس دقايق بالكتير. استريح هنا شوية لغاية ما نمشي، في هناك coffee machine لو حبيت تشرب حاجة"

وأشار إلى ركن الأستوديو حيث يوجد مجموعة من الكراسي وماكينة إعداد قهوة وثلاجة مشروبات. ابتسم له (يوسف) واتجه إلى ذلك الركن،

كان يحتاج بالتأكيد إلى بعض القهوة بعد هذا اليوم الطويل، أخذ يبحث في القائمة الهولوجرامية لتلك الماكينة حتى وجد القهوة الأمريكية التي يعشقها ثم ثواني وكان يجلس على أحد الكراسي يرتشف القهوة في تَلذُّذ...

أدار عينيه في المكان لعل شيء ما يلفت انتباهه فيشغل عقله عن العمل بعض الشيء، نظر مرة أخرى تجاه (سيف)، كان يلقي بتعليماته إلى مجموعة من الرجال داخل الأستوديو، انفتح باب الأستوديو وأطل منه رجل اقترب في سرعة من (سيف) ومال على أذنيه وقال له شيء ما، هز (سيف) رأسه وأشار إليه أن يذهب، تابعه (يوسف) بعينيه، كانت المسافة التي تفصل بينهما تفوق العشرين مترا لكن (يوسف) لاحظ أن الرجل لا يبدو غريبا على الاطلاق، لقد رآه من قبل، لم يظهر الرجل أكثر من ثوانٍ معدودة ثم اختفى فجأة كما ظهر فجأة، هز (يوسف) رأسه، يبدو أن كل هذا من تأثير قلة النوم...

ثم توقفت القهوة في طريقها إلى حلقه وقد تذكر الآن...

هذه هو نفس الرجل الذي استجوبهم في ذلك المخزن المهجور هو و(حلا)...

لا، لم يكن يتخيل، هو نفس الرجل، لم يتذكره على الفور بسبب كل هذا الذي يدور في رأسه لكن لا يمكن أن يخطئه...

إذن فالرجل الذي قال لهم أنه من الأمن الوطني يعمل مع (بينتا)...

(حلا) نفسها تعمل مع (بينتا)...

ليس لهذا سوى معنى واحد...

كان (سيف) يقترب منه الآن، حاول ألا يبدو عليه شيء مما بداخله لكن جسده بالكامل كان يرتعد... ليس من الرعب بل من الغضب...

- "احنا لازم نتحرك دلوقتي، أستناك شوية تخلص القهوة؟"

لم يرد (يوسف) واستمر في النظر إلى (سيف) وهو يقطب جبينه، نظر إليه (سيف) باستغراب وقال له مازحا:

- "هما كانوا حاطين حاجة في القهوة ولا إيه؟"

استمرت نفس النظرة على وجه (يوسف) للحظة ثم رفع حاجبيه ورسم ابتسامة متصنعة على وجهه وقال لسيف بلهجة حاول أن يجعلها مرحة:

- "أنا تركيزي باظ خلاص، معلش، أول قهوة أشربها من يومين، أنا جاهز، يلا بينا"

وقام واتجه إلى الباب و(سيف) يتبعه بنظرات متشككة ثم لم يلبث أن هز كتفيه كناية عن عدم الاكتراث واتجه للباب هو الآخر...

وفي الطريق كان عقل (يوسف) الآن يعمل بأقصى سرعة... الأمر ليس له تفسير إلا أن (بينتا) هي الأخرى تريد الإيقاع بـ(بلاتو) لهدف ليس خفيا على أحد بالتأكيد، يبدو أن صراع الروبوتات على الحكم سيكون حديث الساعة... السبب منطقي، (بوتو) لا يجيد أن يحكم وهي تجيد ذلك بشدة، إذن لقد عادت الحياة كما كانت قبل ثورة المبرمجين، روبوتات كانت أم

أشخاص، دائما هناك صراع على الحكم، دائما هناك ضحايا، دائما ما توضع مصلحة البلد المتصارع على حكمها في نهاية الأولويات، بما فيهم شعب هذا البلد بالطبع. إذن فـ(وليد) و(حلا) قد ماتا من أجل أن يجلس روبوت آخر على الكرسي، ولكن، ماذا عن نهاية العالم؟ هناك شيء ما ينقص هذه القصة، شيء ما لا يفهمه، شعر بالصداع مرة أخرى، وضع يده في جيبه لعله يجد قرصا من تلك الأقراص المسكنة التي يحتفظ بها في جيبه إذا ما رفع (موسى) أو (أحمد النرش) ضغطه. ارتطمت يده بشيء ما في جيبه، أخرجه من جيبه ليجد أن هذا الشيء هو ساعة (وليد)! لقد احتفظ بها كل هذا الوقت في جيبه، قلبها في يده، ليتك هنا الآن يا (وليد)، ليتني أسألك ماذا يجب أن أفعل، شعر بالغصة في حلقه تعود مرة أخرى، هو يدور في حلقة مفرغة لا تنتهي، فتح ساعة (وليد)، قرر أن يستمع لصوته مرة أخرى وهو يتحدث إلى ذلك الضابط، أخذ يعبث بالقائمة حتى وصل إلى مسجل الصوت، ثم تراجع، هو يشعر بالسأم الآن من كل شيء..

ثم خطرت في باله فكرة...

كان يعرف أن (وليد) كان يحتفظ أحيانا بفيديوهات إباحية على ساعته، كان يضعها ضمن ملفات العمل أو وسط ملفات نظام التشغيل ويغير صيغة الامتداد للملف حتى لا يظهر أنه ملف فيديو... ولم لا؟ ليس هناك أفضل من فيلم من هذه النوعية لجعله يخرج قليلا خارج تلك الدائرة التي يدور فيها، فلعله يشعر ببعض المتعة... هو مراهق بالفعل، العالم سينتهي، وذلك

الصراع الذي وجد نفسه فجأة في منتصفه ولا يفهم حتى دوره فيه بالضبط، مؤسسة الرئاسة بكل ما تملك من قوة تريد التخلص منه الآن، وها هو يريد أن يشاهد فيلمًا إباحيًّا! سيذهب إلى الجحيم فعلا وليس مجازا...

امتدت أصابعه تعبث في القائمة، لم يجد ملفات خاصة بالعمل، بحث في ملفات النظام في ذلك المجلد الذي تعود (وليد) أن يخبئ فيه تلك الأفلام حتى وجد ملف من ملفات النظام حجمه كبير جدا بالنسبة للملفات الأخرى من نفس الامتداد. ابتسم في مرارة، لقد وجد ضالته، تأكد أولا من أن نظارته تتصل بساعة (وليد) ثم اختار من القائمة أن يتم تشغيل الملف بواسطة مشغل الفيديو...

- "أنا اسمي (وليد) مازن"

كان هذا صوت (وليد) الذي انبعث من الفيديو واخترق أذني (يوسف)، أوقف (يوسف) الفيديو على الفور. كان الفيديو في شقة (وليد)، في حجرة مكتبه بالذات، وتم التقاطه كما يبدو بواسطة كاميرا ثابتة. (وليد) يمتلك واحدة لكن لم يسبق له أن رأى (يوسف) فيديوهات سجلها (وليد) بها من قبل. ثم لماذا هي مختفية بنفس طريقة اخفائه لتلك الفيديوهات الأخرى؟ شغل الفيديو مرة أخرى فعاد صوت (وليد) ينبعث في رأسه...

- "أنا بسجل الفيديو ده ومش عارف حد حيشوفه ولا لأ، انهاردة ٢٠٤٩/٣/١٠، حصل زلزال بمقياس ٦,٦ ريختر والأجهزة اللي موجودة في مركز جيولوجيا الفضاء إللي أنا شغال فيه رصدته طبعا. كان في حاجة غريبة جدا لاحظتها، في البداية ما فهمتهاش بس بعد بعض المؤشرات اللي دورت وراها قدرت أعرف هي إيه"
- "مصر مش على حزام الزلازل، وده معناه إن إي زلزال بيحصل عندها بيبقى من النوع ال ناتج فقط عن الموجات اللي بتتمركز في داخل الصفائح الحاملة للقرات، وبيكون اسمه Intraplate Earthquake لأنها بعيدة عن الشقوق اللي موجودة بين الصفائح الحاملة للقارات."
- "في حاجتين الأجهزة بتاعة المركز سجلتهم. أول حاجة إن الزلزال دي من النوع الانزلاقي، وده معناه إن اللي حصل في مصر ده كان بسبب شق جديد ظهر تحت مصر. بمعنى، إن الصفيحة إللي شايلة قارة أفريقيا انقسمت تحت مصر بالضبط. دي حاجة مستحيل إنها تحصل من نفسها، لأن الصفائح دي مستقرة على مدر عمر الكوكب، وأكبر حاجة ممكن تحصلها إنها تتحرك حركة نسبية بينها وبين بعضها لتفريغ الطاقة اللي في باطن الأرض، وده إللى بينتج عنه الزلازل. وده الحاجة التانية اللي اكتشفتها"

- "الفترة اللي فاتت زاد معدل الزلازل في مصر جدا، وده خلاني أجيب كل القرايات الخاصة بالزلازل دي لغاية لما وصلت لأول زلزال حصل واكتشفت فيه حاجة عجيبة. الزلزال في طبيعته هزة أرضية، بنقدر نشوف الذبذبات والترددات بتاعتها بالأجهزة بتاعتنا، أول زلزال ده كان معاه تردد غريب، مافيش زلزال ممكن يسببه، وده مالوش غير معنى واحد. إن أول زلزال ده كان مُسَبَّب.. في جهاز حد استخدمه علشان يعمل الزلزال ده وهو اللي اتسبب في الشق الجديد إللي ظهر في الصفيحة دي"
- "المشكلة إن اللي حصل ده أثر بشكل جزئي على دوران قلب الأرض وبالتالي حيعمل انخفاض مؤقت في المجال المغناطيسي للأرض، وده حيتسبب في ظواهر طبيعية كتير زي الاشعة الكونية اللي حتخترق الغلاف الجوي في مناطق كتير من مصر، ده غير التأثير على الكائنات اللي بتستخدم المجال المغناطيسي في الملاحة والتحرك"
- "الموضوع ده حيبقى مؤقت لغاية ما قلب الكوكب يستقر وبعد كده كل حاجة حترجع زي ما كانت، المشكلة إن لو الجهاز إللي عمل الموضوع ده كان سلاح فيه جهة ما أو دولة استخدمته وحاولت تستخدمه تاني العواقب ما حدش حيقدر يتوقعها."
- "والفكرة نفسها مرعبة إن في حد استخدم سلاح زي ده جوا مصر من غير ما حد يعرف، علشان كده أنا متوقع إن يا إما ده يكون

عن طريق دولة معادية أو تجربة تكون بتتم داخل مصر ومش عارفين الكارثة اللي هما بيعملوها. وعلشان حد يعمل التجربة دي ويمتلح سلاح بالقوة دي فغالبا يا إما هو جهاز من أجهزة الدولة أو حد يكون عنده من الموارد والنفوذ إنه يقدر يمتلك حاجة زي كده ويجربها بدون ما حد يعرف"

- "أن قررت أسجل إللي اكتشفته قبل ما أوصوا للمسئولين عن البلد، أنا كلمتهم بالفعل بس حسيت إني لازم أوثق الكلام ده برضو بشكل أو بآخر"

انتهى الفيديو في هذه اللحظة...

الموضوع إذا غير ما شرحه بنفسه للناس منذ قليل... ليست هذه كارثة طبيعية إذن.. (وليد) لم يمت من أجل أن يبقى (بلاتو) في الحكم، (وليد) قُتِلَ حتى لا يعرف الناس أن تلك الظواهر الطبيعية ليس طبيعية فعلا، بل هي بفعل فاعل ولم تحدث من تلقاء نفسها... تعجب (يوسف)، لقد قادته شهوته ومراهقته إلى هذا الفيديو... استغفر الله في سره، إرادة الله أكبر من إرادة الجميع بالتأكيد...

ثم تذكر، لقد قال (وليد) أن هذا السلاح الذي استخدم إما أن تكون الدولة هي من تمتلكه أو أن يكون شخص ذو نفوذ ويمتلك من الموارد ما يجعله قادرا على أن يمتلك مثل هذا السلاح... لم يجد في كل من يعرفهم

شخصًا آخر غير (بلاتو) يملك مثل هذا النفوذ داخل مصر سوى روبوت آخر على وشك أن يحل محله...

(بينتا)...

عاد الزجاج إلى لونه الطبيعي ووجد أنهم الآن داخل محيط القصر بالفعل ويسيرون في ذلك الممر المؤدي إلى القصر. وصلوا إلى الباب وتوقفت السيارة، فتح (يوسف) الباب وأشار إليه (سيف) بالدخول فاتجه إلى الباب...

❁ ❁ ❁

"٢٣"

لم يكد (يوسف) يدلف إلى القصر حتى وجد (بينتا) تقف في منتصف الصالة وتشبك يديها وراء ظهرها كأنما تتفقد سرية ما في موقع قتالي. ارتسمت على وجهها ابتسامة عندما رأته فاقترب منها وتبعه (سيف). انتظرت حتى وصل (يوسف) إليها ثم تحركت خطوة للأمام بوقار شديد ومدت يدها إليه فالتقطها فوضعت يدها الأخرى على يده ثم قالت باسمة:

- "الميديا كلها مقلوبة عشان الموضوع بتاعك، الناس كلها بتتكلم عليك، الرئاسة طلعت بيان بتنفي علاقتها بقتل (وليد) أو بمعرفتها بموضوع الاكتشاف بتاعه، ده حيحطها في موقف أسوأ، لأنهم لو عارفين تبقى مصيبة، لو مش عارفين تبقى كارثة علشان نايمين على ودانهم. هايل يا (يوسف)، هو ده بالضبط اللي كنا عايزينه"

حاول (يوسف) إخفاء ما يدور في داخله من تساؤلات وشكوك ولكن كان جليا على وجهه أنه ليس على ما يرام. ارتسمت شبح ابتسامة على وجهه وهو يقول لـ(بينتا) بلهجة لم تخلو من التوتر:

- "الحمد لله، عدت على خير"

ضيقت (بينتا) حدقتيها وهي تنظر في عيني (يوسف) مباشرة:

- "مالك يا يوسف، شكلك متوتر، في حاجة؟"
- "لأ، أنا بس لسا حاسس إن أكيد (بلاتو) مش حيعدي الموضوع ده على خير، وطبعا أنا إللي في الوش"
- "ما تقلقش يا (يوسف)، أنت حتفضل هنا لغاية لما الانتخابات تخلص، بعدها مافيش حد حيقدر يقربلك"

هز (يوسف) رأسه متفهما ومط شفتيه، ظلت (بينتا) تنظر إليه بنفس الحدقتين الضيقتين، لم يحب (يوسف) تلك النظرة وأحس أن (بينتا) قد شعرت بشيء ما التأكيد -إذا كانت تلك الروبوتات تشعر- ولم يستطع قول أي شيء.

- "أنت شكلك تعبان يا (يوسف)، اطلع استريح دلوقتي في أوضتك. حنتكلم تاني"

حياها (يوسف) بهزة من رأسه واتجه إلى السلم المؤدي للطابق العلوي. تبعته (بينتا) بعينيها حتى اختفى داخل الممر الذي يقود إلى غرفته وقد ضاقت حدقتيها أكثر. استمرت على هذا الوضع لدقيقة كاملة ثم اتجهت إلى مكتبها.

لم يكد (يوسف) يدخل إلى غرفته حتى وضع سبابته على شاشة ساعته وفتح قائمة الرسائل في ال Facebook. كان قد قرر أن يتحدث مع ذلك الشرطي (مؤمن سراج) الذي حدثه قبيل ذهابه إلى الأستوديو، لقد تحدث معه بطريقة غير مهذبة لكنهم سيتطرقون إلى هذا الأمر فيما بعد. ستكون

مبادرة خطرة بكل تأكيد، فلم يعد متأكدا من أي شيء، لكنه صار يثق في (بينتا) بنفس درجة ثقته في (أحمد النرش) مديره و(موسى) رئيسهم...

المستندات التي وجدها في خزانة البنك تقول شيئا آخر غير ذلك الفيديو الذي سجله (وليد). ليس لهذا سوى معنى واحد... (بينتا) هي من وضع تلك المستندات داخل البنك. لكن كيف؟ تلك خزانة لا تفتح إلا ببصمة يد أيا من (يوسف) أو (وليد)، كيف أمكنها أن تفتحها؟ ثم لم يمر الكثير من الوقت بين تَذَكُّرِه لتلك الخزانة وذهابهم إلى هناك، فكيف استطاعت أن تفعل ذلك كله في هذا الوقت القصير؟ يبدو أنه لم يعطِ تلك الروبوتات قدرها بالكامل. أخذ يفكر ماذا يكتب لـ(مؤمن) هذا ثم قرر أخيرا...

- "(مؤمن) بك، انا آسف إني اتكلمت معاك بطريقة مش كويسة"

انتظر قليلا ثم وجد أن (مؤمن) يكتب...

- "مش مهم يا (يوسف) دلوقتي، إللي أنت قولته في البث إللي طلعت فيه ده عمل مصيبة كبيرة. مش ده إللي حصل، الرئاسة طلعت بيان ونفت الكلام ده تماما. أنت جبت المعلومات دي منين؟"
- "(وليد) إللي اكتشف الموضوع كله وكان سايب القرايات والتقارير في خزنة في بنك. بس من الواضح إن حد تاني هو اللي حط الورق ده في الخزنة لأني لقيت فيديو تاني لـ(وليد) حالا دلوقتي بيشرح فيه حاجة تانية تماما. وأنا شاكك إن (بينتا) هي إللي عملت كده"
- "الفيديو فيه إيه؟"

- "وليد اكتشف إن في سلاح هو اللي سبب الظواهر دي. وبيقول إنها مؤقته، وإن إللي يقدر يمتلك سلاح زي ده يا إما الدولة نفسها يا إما حد powerful زي (بينتا)"
- "إللي بتقوله منطقي جدا وبيفسر حاجات كتير، بس أنا بأكدلك إن الدولة مالهاش علاقة إطلاقا بموضوع السلاح ده، ووجود (بينتا) في الصورة كل ده بيأكد علاقتها بالموضوع. احنا لازم نوصلك يا (يوسف). احنا بنحاول بس خطك عليه تشويش علشان ما نقدرش نحدد موقعه"
- "أنا في قصر من القصور بتاعة بينتا. أنا معايا الساعة بتاعة (وليد)، ممكن تجربوا تعملوا تحديد لل location على رقم (وليد)؟"
- "طيب استنى معايا يا (يوسف)"

ظل (يوسف) منتظرا لأكثر من دقيقتين حتى فقد الأمل ثم وجد أن (مؤمن) يكتب...

- "التشويش كان معمول على رقم تليفونك أنت بالذات، احنا قدرنا نحدد موقعك وفي قوة بتستعد دلوقتي وحنهجم على القصر"
- "حتهجموا؟ طيب، ربنا يستر"
- "ماتقلقش يا (يوسف)، أنت حياتك تهمنا"

ابتسم (يوسف) في سخرية، يبدو أن حياته صارت تهم الجميع الآن، سيموت في النهاية على كل حال، هو يعرف ذلك تماما. أغلق المحادثة ونظر خلفه ليرى أن (بينتا) تقف عند الباب وخلفها يقف شيء آخر جمد الدماء في عروقه...

ذلك الروبوت الذي رآه في شقة (وليد)...

ظلا يتبادلان النظرات للحظات ثم قطعت (بينتا) الصمت أخيرا...

- "عارف يا (يوسف)، هي دي مشكلة البشر، إنهم بيفكروا بنفس الطريقة، أنت و(وليد)، حتى (بلاتو)، من كتر ما قعد وسط البشر بقى بيفكر زيهم، البشر تفكيرهم محدود، كائنات أدنى، كان عندي حق تماما لما قررت إن وجودكم على الكوكب لازم ينتهي"

ابتلع (يوسف) ريقه بصوت مسموع وهو يسمع هذا الكلام من (بينتا) ونقل بصره بينها وبين ذلك الشيء الذي يقف بجانبها دون حركة...

- "(وليد) المفروض ماكانش يكتشف تردد الجهاز، ماحدش كان المفروض إنه يكتشف الجهاز من الأصل، تصميم الجهاز بيخلي الموجات بتاعته ما تبانش وسط التردد بتاع الزلزال. بس (وليد) عرف. قدرنا نعمل حسابنا عشان (حلا) قالتلنا إن (وليد) عرف حاجة"
- "أول زلزال ده كان طبيعي، كنا عارفين ميعاده بأجهزتنا، علشان كده قررنا نجرب الجهاز في نفس وقت الزلزال علشان التردد

ماحدش يلقطه. علشان كده زرعنا (حلا) في المركز من البداية. هي كانت فاهمة إننا بنجرب جهاز تنقيب جديد حيفيدنا في الحملة بتاعتنا لما نعلن إننا اكتشفنا عن ثروات حتنعش الاقتصاد وتخلى البلد تطلع قدام. كل واحد من الناس اللي معاها فاهم إن أي حاجة بتتم هي في مصلحة الحملة بتاعتي وماحدش فيهم كان يعرف الهدف الحقيقي ورا كل ده"

ظل (يوسف) يتطلع إلى (بينتا) في مرارة. إذن فـ(حلا) هي من وشى بـ(وليد)...

- "التجربة ماكانش المفروض انها تعمل كل التأثير ده، صحيح كانت حتعمل انقلاب مؤقت في المجال المغناطيسي بس ماكانش المفروض إن الشرخ ده يحصل. بس احنا عرفنا الخطأ كان فين وقدرنا نعدل في تصميم الجهاز والمرة الجاية مش حيبقى فيه أخطاء"
- "الجهاز المفروض إنه يوصل بالمجال المغناطيسي للأرض للصفر، كان لازم يتجرب الأول علشان نعرف تأثيره وبعد كده يتم استخدامه بكل قوته عشان الكوكب ما يتأثرش. طبعا أنت ابتديت تستنتج الهدف. إن الجنس البشري ينقرض بنفس الطريقة اللي انقرضت بيها الديناصورات"
- "التاريخ بتاع الكوكب ده بيقول إن سبب انقراض الديناصورات كان الانقلاب إللي حصل للمجال المغناطيسي، الوقت اللي المجال

بيكون أضعف ما يمكن وبعدين بيبتدي يعلا تاني بتبقى الاشعة اللي بتخترق المغلاف الجوي مميتة. آخر مرة الموضوع ده حصل كان من ٧٥١,٣٢٤ سنة بالضبط، بس أنا قررت اننا مش حنستنى لغاية لما تحصل تاني بشكل طبيعي، لازم تحصل دلوقتي"

- "الروبوتات فيه في برنامجها كود بيمنع إنها تعمل حاجة ضد مصلحة الانسان، بس أنا قدرت أعمل override للكود ده. علشان كده لازم الموضوع يتم بشكل زي ما يكون حصل عن طريق كارثة طبيعية، وبعد كده تنتهي حياة الانسان على الأرض ويبتدي عصر جديد. عصر الروبوتات"

كان (يوسف) يستمع إلى ما تقوله (بينتا) ويحاول أن يستوعبه...

- "انتي اللي حطيتي التقارير دي في خزنة (وليد)، مش كده؟"

ابتسمت في سخرية ثم قالت:

- "انتوا برضوا لسا مش فاهمين عقلنا متطور عن عقلكم إزاي، أنا اللي عملت كل حاجة، أنا اللي بعتلك الساعة بتاعة (وليد)، أخدناها منه بعد ما مات، الشرطة كالعادة بتتصرف بعجرفة، المكالمة كانت حقيقية ما حدش لعب فيها، بس أكيد بعد إللي أنت شوفته في الشقة، الروبوت اللي لابس لبس قوات حفظ النظام، أكيد كنت حتربط الحادثين ببعض وتعرف إن (بلاتو) هو اللي قتله"

قالتها وأشارت إلى الروبوت الواقف بجانبها فلم يبتسم بفخر، فقط ظل واقفا كأنما لا يستمع لشيء مما يقال...

- "وكنت عارفة انك مش حتعمل حاجة حتى لما تعرف إن (بلاتو) هو إللي قتله علشان كده خليت (حلا) تكلمك، أو (سلمى)، أنت خلاص عرفت اسمها الحقيقي"

كان (يوسف) يشعر أن هناك شيء غير مقنع فيما تقول... سألها:

- "طيب وليه خلتيني أقول موضوع إن (بلاتو) هو اللي قتله؟ كان ممكن تموتيني أنا كمان وتكملي خطتتك عادي؟"

ضحكت (بينتا)، مخيفة هي فكرة أن تتكلم مع روبوت يبتسم ويضحك ويفهم الدعابة ويسخر من سخافة البشر.

- "أنا قلتلك إن تفكيركم محدود جدا. نفس الفكرة إللي الحكومات بتاعتكم بتستخدمها طول عمرها وانتوا بغبائكم المعهود بتصدقوها. خطة بص العصفورة، عارفها؟"

ابتسم (يوسف) وقد فهم ما تعنيه، دع العالم يتحدث عن ذلك الروبوت الذي قتل إنسان ليوقع بروبوت آخر، دعهم يتحدثون عن تلك الكارثة الطبيعية التي ستنهي وجود الانسان على الأرض، ستتفنن مواقع التواصل في البحث عن تاريخ كلا من (يوسف) و(وليد) ماذا يحب، ماذا يكره، القميص الذي كان يرتديه وهو يتحدث عن نهاية العالم في ذلك البث، التحليل النفسي للغة جسده أثناء حديثه، وهكذا لا ينبض الوقود الذي

يحرك تلك الآلة العملاقة المسماة بالإعلام حتى تنفذ (بينتا) مخططها دون أن يتنبه إليها أحد. بالطبع هي على حق، استخدمتها الحكومات كثيرا جدا حتى صارت اللعبة المفضلة لديهم. لقد سخر كثيرا من هؤلاء الذين وقعوا فريسة لتلك اللعبة ولم يفهموها، لكنه الآن كان جزء من اللعبة ولم يشُكْ للحظة.. حقيقة: من عاب ابتُلِيَ...

لكن هذا لا يمنع أنها لم تنفذها كما ينبغي، لقد اكتسبت عداء (بلاتو) وكل أجهزة الدولة بلا داع، كان من الممكن أن تكتفي باكتشاف (وليد) المزيف الذي جعلته يذيعه دون أن تجعله يتحدث عن قتل (بلاتو) لـ(وليد) من أجل أن يظل في الحكم. هذه المرة كانت تحتاج بالتأكيد لعقلية مصرية فذة لصياغة هذه الخطة لها... على كل حال من الجيد أنها لم تفعل... استمرت (بينتا) في الحديث:

- "ده غير طبعا إن وجودي في الحكم حيسهل حاجات كتير جدا، أنا قلت أخليك تعرف التفاصيل كلها قبل ما تموت، وعلشان ماكدبش عليك، في نوع من المتعة في إنك تتكلم على انجازاتك، على خطتك إللي حتغير تاريخ الكوكب ده بالكامل. حاجة واحدة بس فاتتني، هي إني كنت أتأكد إن (وليد) ماسجلش حاجة تانية على ساعته، كلامك مع الضابط على ال messenger دلوقتي هو اللي عرفني، (يوسف) أنت متراقب تماما، مافيش حاجة بتعملها إلا وبنعرفها، أنت دلوقتي حتديني ساعة (وليد) بهدوء علشان تموت موتة

سريعة، أو حاضطر إني أخلي Hercules يموتك بنفس الطريقة اللي مات بيها (وليد) وبرضو حناخد الساعة.. ولو أنت مستني إن القوة إللي حتيجي دي حتخلصك بجد تبقى لسه لغاية دلوقتي ساذج، على الأقل ماتبقاش ساذج وأنت بتموت"

اسمك هو (هرقل) إذن، هذا بديهي أيها الوغد، على الأقل سيموت على يد شخصية تاريخية. قبض (يوسف) على ساعة (وليد) في يده تلقائيا فنظرت (بينتا) إليه وابتسمت في سخرية.

- "أنت ماسكها في إيدك؟ والله أنت بتسهل علينا الموضوع قوي يا (يوسف)، بس بما إنك ما ادتنيش الساعة علطول فأنا حخلي Hercules يلعب بيك شوية، هو بيحتاج تدريب من وقت للتاني علشان ما يصديش، أنت عارف بقى"

قالتها فتحرك (هرقل) على الفور تجاه (يوسف)، يبدو أنه كان يفهم كل ما يقال على كل حال. شعر (يوسف) بقلبه ينبض في عنف... وصل إليه الروبوت بسرعة فائقة، حاول (يوسف) أن يتراجع لكن الروبوت قبض عليه بكلتا يديه، إذن هذا كان شعور (وليد) ساعتها، سألحق بك الآن أيها العزيز، وبالطريقة نفسها، رفعه الروبوت عاليا كما ترفع طفل صغير، شعر بكتفيه يكادا أن ينخلعان من مكانهما، ثم ألقى به بقوة تجاه حائط الغرفة. وجد (يوسف) نفسه يطير في الهواء، حاول أن يمد ذراعيه أمامه ليتقي الصدمة لكن كل ردود فعله جاءت متأخرة، شعر برأسه يرتطم بالحائط بعنف ثم

شعر بالألم في كل عظمة من عظام جسده كأنما تهشمت جميعها، ثم وقع على الأرض. أظلمت الدنيا أمام عينية، حاول أن يقوم لكنه لم يعد يملك السيطرة على جسده.. هو الآن يهوي في هوة سحيقة ولا يملك إلا الاستسلام لها...

وبعينين لا تريان تقريبا لمح شبح (هرقل) وهو يقترب منه، ثم..

ثم أظلمت الدنيا تماما...

"٢٤"

ها هو (هرقل) يقترب منه بخطوات ثابتة، (بينتا) تضحك بهيستيريا، لابد وأن عطلا ما قد أصاب برنامجها، يمد (هرقل) يده ويرفعه لأعلى ثم يلقيه على الأرض فيتحطم جسده، شعر أن أجزاء من جسده لم تعد في مكانها، ثم....

ثم فتح (يوسف) عينيه...

احتاج لبعض الوقت لكي يميز أين هو، نظر حوله، هو يرقد على فراش في حجرة طُلِيَت جدرانها باللون الأبيض المميز للمستشفيات، أجهزة الكترونية معقدة تحيط به، كان يشعر بصداع شديد في رأسه، حاول تحريك ذراعه اليمنى فشعر بألم شديد في كتفه، جرب اليسرى، حسنا، لا يوجد ألم يذكر، هناك ألم شديد في جانب صدره الأيمن كلما تنفس، هو لم يمت إذن، هذا جيد، لكنه أولا لا يذكر شيئا عما حدث بعد أن هاجمه ذلك الروبوت قاتل (وليد)... ماذا كان اسمه؟ كان يحمل اسم شخصية أسطورية من أبطال الإغريق، نعم، شيء مثل هذا، كان أحد الأجهزة الآن يصدر صوت متقطع، انفتح الباب ودخلت ممرضة حسناء حيته بابتسامة ثم اتجهت إلى الجهاز الذي يحدث ذلك الصوت ففحصته ثم ضغطت بعض الأزرار على

شاشته فاختفى صوت الجهاز وعاد يصدر طنين متقطع، نظرت له مرة أخرى وقالت بابتسامة عذبة:

- "حمد الله على سلامتك"

ابتسم (يوسف) لها رغما عنه، من الصعب أن تجد امرأة على قدر من الجمال تبتسم لك دون أن تبادلها الابتسام، شعر براحة وهو ينظر لوجهها، لابد أن تلك المراهقة المتأخرة التي يمر بها لم تفارقه حتى وهو يرقد محطما في مستشفى ما لا يدري اسمه ولا يعرف إلام صارت تلك المواجهة في قصر (بينتا). قال لها وهو يتحاشى أن يتنفس بعمق حتى لا يؤلمه صدره:

- "أنا هنا بقالي قد إيه؟"
- "أربع أيام تقريبا، الحمد لله إنك قمت بالسلامة"
- "الله يسلمك، أنا بحس بألم كل ما بأتنفس، كتفي اليمين كمان بيوجعني جدا لما بحركه"

ابتسمت له ابتسامة أكثر عذوبة وقالت له:

- "أنت كان عندك خلع في الكتف، وكسر في ثلاث ضلوع، ده غير ارتجاج في المخ، بس الحمد لله، فترة راحة بس وحترجع أحسن من الأول بإذن الله. دكتورة (مي) حتيجي تبص عليك دلوقتي"
- "طب وانتي؟"

نظرت له باستغراب وقالت:

- "أنا إيه؟"

- "اسمك، ما عرفتش اسمك؟"

ضحكت ضحكة قصيرة وقالت له:

- "كارما"

ابتسم لها (يوسف) ابتسامة بلهاء فضحكت مرة أخرى ثم غادرت الغرفة، سمع طرقات على الباب، لابد وأنها الدكتورة (مي)، ستكون إقامته في هذه المستشفى ممتعة بكل تأكيد. انفتح الباب ودخل الغرفة رجل يرتدي حلة رمادية، شعر قصير نوعا، عوينات شمسية سوداء اللون بالكامل، ذقن حليق، كان يبدو من ملامحه أنه لا يعرف المزاح، فليقطع ذراعه إن لم يكن ينتمي لجهة سيادية ما. تقدم منه الرجل ورسم ابتسامة دبلوماسية على وجهه وقال بصوت حازم:

- "حمد الله على سلامتك يا (يوسف)، عقيد (مؤمن سراج)، من الأمن الوطني"

قطب (يوسف) جبينه وهو يحاول أن يتذكر أين سمع الاسم من قبل ثم تذكر، هذا هو الضابط الذي كان يتحدث إليه (يوسف) قبيل دخول (بينتا)، لقد قال له شيء على غرار "غوروا في داهية" في المحادثة التي تسبقها، ابتلع (يوسف) ريقه وهز رأسه محييا الضابط وقد أعاد له ذاكرة الأيام الماضية، تقدم منه الرجل ثم سحب كرسيا ووضعه بجانب الفراش

الذي يرقد عليه (يوسف) وجلس ناظرا إليه بتلك النظرة التي تجعل المجرمون يتوقعون أن تهبط على مؤخرة عنقهم يد المخبر الذي يقف خلفهم حتى أن (يوسف) كاد ينظر للخلف لولا أن تذكر أنه لا يوجد شخص آخر في الحجرة لحسن الحظ... ظهر شبح ابتسامة على وجه الضابط فشعر (يوسف) بعدم الارتياح، هؤلاء القوم لا يجيدون الابتسام، هو ليس في قاموسهم- أثناء العمل على الأقل-، شعر بأنه يفتقد الممرضة (كارما) بابتسامتها العذبة، على الأقل ليست مرعبة مثل ابتسامة الضابط (مؤمن). قال له (مؤمن) أخيرا بلهجة قوية:

- "أنت كنت في غيبوبة بقالك أربع أيام وأكيد ماتعرفش تفاصيل اللي حصل"

أومأ (يوسف) برأسه موافقا فقال الضابط:

- "احنا قدرنا يومها نحدد موقعك عن طريق ساعة (وليد)، وهجمنا على القصر، الموضوع ماكانش سهل، كانت تقريبا معركة، القصر كان مجهز إنه يصد هجوم بالأسلحة الثقيلة، بس الحمد لله كنا مستعدين لكده وقدرنا إننا ندخل القصر، بس للأسف كان فيه ضحايا كتير من ناحيتنا"

ثم أخذ نفسا عميقا واستطرد قائلا:

- "احنا حاولنا إننا نحافظ على (بينتا) علشان نعرف منها تفاصيل زي السلاح إللي هي استخدمته ده مكانه فين، أو مين اللي معاها في

المخطط ده، بس للأسف دفاعها كان شرس جدا واتدمرت تماما، ده غير إن كان في برنامج اشتغل أول ما تم تدميرها بيفعَّل تدمير ذاتي للقصر، وبالتالي خسرنا ناس في الانفجار ده وماقدرناش حتى نحتفظ بجسم (بينتا) علشان نحاول نعرف التفاصيل إللي في برنامجها، ده غير طبعا القصر إللي أكيد كانت محتفظة فيه بحاجة ليها علاقة بالمخطط ده"احنا قدرنا ننقذك باعجوبة، بس مالاقيناش أي أثر لساعة (وليد)"

كان عقل (يوسف) يدور فيه الآن تفاصيل أحداث ما قبل غيبوبته، كل ما يتذكره أنه كان يقبض على ساعة (وليد) في يده، لابد وأنه أسقطها عندما ارتطم بذلك الحائط.

- "أكيد اتدمرت مع القصر، احنا كدا للأسف ماعندناش غيرك علشان يقولنا إيه بالضبط اللي (وليد) قاله في الفيديو اللي سجله. حنحتاج نقعد معاك تقولنا على التفاصيل دي بعد ما تقوم بالسلامة"

أومأ (يوسف) برأسه متفهما وإن كان لم يعجبه أن يضطر إلى رؤية (مؤمن) وزملائه مرة ثانية. ثم تذكر شيئا فقال لـ(مؤمن) في تساؤل:

- "انتم ايه إللي خلاكم تهجموا علينا بعد ما طلعنا من البنك؟ عرفتوا منين علاقتي بالموضوع؟"

ابتسم (مؤمن) ابتسامته التي تنشر عدم الاطمئنان فيمن حوله ثم صمت بعض الوقت كأنما يعيد تنظيم أفكاره ثم قال بهدوء:

- "(وليد) لما كلمنا إحنا في الأول أخدنا كلامه باستخفاف، رحنا لشقة (وليد) فعلا بس تاني يوم، لقينا الشقة فاضية ومافيهاش أثار لأي حاجة. علشان كده استغربنا لما بعد كده الناس عنده في الشغل قالوا انه متغيب من كذا يوم وماحدش يعرف عنه حاجة."
- "كل ده كنا شايفين إنه واحد متطرب عايز بس يتشهر ويقول إنه اكتشف حاجة بحجم نهاية العالم، علشان كده مادينا‌ش الموضوع أهمية في الأول"
- "بس لما رحنا الشغل وقالولنا إن في حد من عندنا جه وصادر الكمبيوتر بتاع (وليد) واستجوبهم بدأنا نعرف إن الموضوع مش طبيعي لأننا مابعتناش حد من عندنا لمكان شغل (وليد)"

لم يستطع (يوسف) أن يتمالك نفسه وهو يقول:

- "طيب والله كويس أنكم ما أخدتوش بالكم إن الموضوع مش طبيعي بعد ما العالم ينتهي"

نظر له (مؤمن) نظرة نارية وقال له في ضيق:

- "احنا عرفنا من حارس العقار بتاع بيت (وليد) انك طلعت أنت وواحدة معاك في شقة (وليد)، قالنا كلام غريب كده عن إنكوا كنتوا طالعين تعملوا حاجات يعني مش ولابد بس احنا عرفنا من

أوصاف البنت اللي كانت معاك إنها (سلمى إياد)، من الناس اللي شغالين مع (بينتا) واتأكدنا بعد كده من سجل المكالمات إنها نفس الشخص، بس كانت بتقولك إن اسمها (حلا) حسب ما سمعنا في المكالمات"

اسمها (سلمى إياد) إذن؟ لا، ستظل (حلا) رغم أنوفكم... إذن لقد فعلها (مراد) وأخبر الشرطة فعلا، لنا حساب آخر أيها الواشي المتعفن...

- "المشكلة دلوقتي إن مافيش حاجة من اللي سجلها (وليد) موجودة، الكمبيوتر بتاعة في الشغل والبيت مش موجودين، ساعته اللي كنا حاطين أمل إنها ممكن يبقى عليها أي حاجة مش موجودة، إحنا كدا ماعندناش أي داتا عن الترددات والقرايات اللي سجلها (وليد) عن الزلازل اللي حصلت"

سمعوا طرقات على الباب فنظر (يوسف) على أمل أن يجد (كارما) أو دكتورة (مي)، انفتح الباب ليجدوا امرأة ترتدي بالطو أبيض وعلى أنفها نظارة أنيقة، كانت تبدو في منتصف الخمسينات وإن كانت ملامحها تدل على أنها رأت أياما أفضل في شبابها... حيتهم بهزة من رأسها وقالت باقتضاب:

- "لو حضرتك خلصت، أنا محتاجة أبص على باشمهندس (يوسف). أنا دكتورة (مي) اللي بتابع الحالة بتاعة الباشمهندس"

بدت على (يوسف) أمارات خيبة الأمل، كان قد نسى أن اسم (مي) هذا لم يعد منتشرا فيمن هم دون الخمسين. وقف (مؤمن) وقال لـ(يوسف) وهو يغلق زر حلته:

- "زي ما اتفقنا، حنقعد مع بعض تاني بعد ما تقوم بالسلامة، يلا، حمد الله على سلامتك"

ثم اتجه إلى الباب وخرج وأغلق الباب خلفه في هدوء...

نظرت الدكتورة (مي) إلى (يوسف) من فوق عويناتها وقالت له بابتسامتها الوقور:

- "ها، قوللي حاسس بإيه دلوقتي يا باشمهندس؟"

"٢٥"

- "صباح الخير"

كانت الدكتورة (مي) تجري لـ(يوسف) بعض الفحوصات عندما سمعا ذلك الصوت الرقيق قادما من عند الباب، التفت ليجد تلك الفتاة الرقيقة ضئيلة الجسد التي تحمل بوكيه من الورد، والتي شعرت بالإحراج مع نظرات (يوسف) و(مي) التي التفتت هي الأخرى لتنظر إليها من فوق نظارتها، تلك الفتاة التي لم يتوقع (يوسف) بأي حال من الأحوال أن يراها أمامه الآن...

(سارة)...

اعتدل (يوسف) في فراشه وابتسم لها، نقلت (مي) نظرها بين (يوسف) و(سارة) من فوق نظارتها ثم مطت شفتيها وقالت لـ(يوسف) وهي تقوم:

- "حسيبك دلوقتي يا باشمهندس وحعدي عليك كمان شوية علشان نكمل الفحوصات"

ثم رمقت (سارة) بنظرة جانبية واتجهت إلى الباب...

وما أن انغلق الباب حتى اتجهت (سارة) إلى (يوسف) ووضعت بوكيه الورد بجانبه ثم جلست على الكرسي بجانب الفراش وقالت بصوت هادئ وبابتسامة مماثلة:

- "حمد الله على سلامتك يا (يوسف)"

- "الله يسلمك يا (سارة)"

التقت عيناهما لثواني ثم أشاحت (سارة) بوجهها وقالت وهي تحاول ألا يبدو عليها الإحراج وإن كانتا وجنتيها قد صارتا بلون الطماطم الآن:

- "طيب ولله كويس إنهم سايبين رجليك من غير ما يجبسوها، فيهم الخير والله"

ضحك (يوسف) وقال:

- "لو شفتي البتاع اللي عمل فيا كده حتقولي كويس إني ماطلعتش منها حتت زي الليجو كدا"

ضحكت (سارة) ووضعت يدها على فمها كعادتها عندما تضحك ولم تقل شيئ، تبادلا النظرات مرة أخرى، لم تشيح (سارة) بوجهها هذه المرة، قطع (يوسف) الصمت قائلا:

- "أنا مبسوط إنك هنا يا (سارة)، صحيح أنا بعد آخر مرة ما كنتش آآآ، يعني ماكنتش متخيل إننا حنتكلم مع بعض زي دلوقتي، بس ..."

قاطعته (سارة) قائلة:

- "(يوسف) أنا آسفه"

نظر لها (يوسف) ولم يرد...

- "(يوسف)، أنا، أنا مش المفروض كنت أ... أنا.."

- "(سارة)، أنتي مش محتاجة تتأسفي على حاجة"
- "لأ يا (يوسف)، أنا محتاجة أتأسفلك، محتاجة أتكلم وأنت تسمعني، زي ما عملت قبل كده"

لم يرد (يوسف)، وإن كان قلبه قد بدأ يدق بقوة الآن...

- "(يوسف)، أنا مش حخبي عليك، أنا زيي زي أي بنت، نفسي أفرح، نفسي أحس بالأمان، نفسي أحب وأتحب، عايزة أبقى زوجة، أبقى أم، مش عايزة أبقى صاحبة حد وبس، مش عايزة أعلق مشاعري بحد وبعدين ملاقيهوش، مش عايزة يفضل جوايا جرح يخليني ولا عارفة أبقى مبسوطة ولا عارفة أسعِد اللي معايا، أنا عارفة إنك فاهمني يا (يوسف)، مش كده؟"

أومأ (يوسف) برأسه ولم يرد...

- "أنا عارفة إنك عندك مشاكل كتير مع (ماهي)، بس في الآخر هي مراتك، وفي ما بينكم بنت، هيا اللي رابطاكم ببعض، العلاقة اللي زي دي مالهاش زرار On وoff، العلاقة اللي زي دي لازم تستمر، لو ما كانش عشانكوم يبقى علشان (زينة)"

كان (يوسف) يود أن يخبرها عما يشعر به نحوها، ثم تذكر أنه يشعر بذلك مع أي امرأة غير زوجته، افتقاده لبعض الأشياء في (ماهي) جعله ينجذب لأي امرأة فيها خصلة من الخصال التي يفتقدها أو ليس فيها خصلة

من تلك الخصال التي يكرهها في (ماهي)، باختصار صار قلبه يتسع لجميع النساء...

- "بس ده ما يمنعش يا (يوسف) إنك كنت محتاج تتكلم، يوم ما أنا قلتلك إني مش عايزة أدخل في علاقة مش مفهومة مع حد تاني أنت كنت محتاجني، حتى لو مش محتاجني كحبيبة، أنت كنت محتاجني كصديقة، حد تفضفض معاه ويفهمك من غير ما تضطر تلبس وش تاني علشان تتعامل معاه، حد تفضي فيه اللي جواك من غير ما تحط فلاتر كتير علشان مايوصلوش غير إللي ينفع يوصله وبس، كان المفروض إني أعمل كده يومها يا (يوسف)، زي لما أنت عملت معايا كده يوم ما كنت محتاجة أتكلم، مع إني ما قلتلكش إني محتاجة أتكلم. أنا بجد آسفة يا (يوسف)"

ابتسم (يوسف)، الذكاء الحسي لهذه الفتاة وصل لمعدلات خيالية، لم يشعر أحد به بهذه الدرجة من قبل... نظرت (سارة) إلى عينيه مباشرة وقالت:

- "(يوسف)، ممكن نفضل مع بعض، نفضل صحاب، نحكي لبعض، بس نفضل برضو عارفين إننا حنبقى صحاب بس، مش أكتر من كدا؟"

أومأ (يوسف) برأسه وهو يبتسم، مرحبا بك في ال friend's zone أيها التعس... اتسعت ابتسامة (سارة) وقالت له وقد بدت عليها السعادة:

- "أنت شخص جميل يا (يوسف)، بجد، ما تعرفش قد إيه أنا كنت خايفة أوي وأنا جايالك انهاردة، بس أنا دلوقتي مستريحة"

اتسعت ابتسامة (يوسف) وقال لها ببساطة:

- "طيب الحمد لله، بعرف أخلي الناس مستريحة وأنا متجبس"

ضحكت (سارة) ضحكة عذبة ثم نظرت في ساعتها وقالت:

- "أنا لازم أمشي دلوقتي، أنا حسيبك تستريح وإن شاء الله ترجع الشغل بالسلامة، آه بالحق، مهندس (موسى) لغى موضوع الوقف عن العمل بتاعك، تقريبا حد مهم كلمه خلص معاه الموضوع، أيوا يا عم ما أنت بقيت مشهور خلاص، أنت عارف الفيديو بتاعك كام واحد شافه على YouTube؟ أنت المفروض تطالبهم بالفلوس دي"
- "طيب الحمد لله إن الموضوع جه بفايدة"
- "الحمد لله، يلا أسيبك دلوقتي وأشوفك قريب إن شاء الله"

ونظرت إلى عينيه للحظات ثم قالت:

- "يوسف... كن بخير"
- "وانتي يا (سارة)، كوني سعيدة"

احمرت وجنتيها واتجهت للباب وغادرت في هدوء...

❁ ❁ ❁

"٢٦"

فتح (يوسف) باب شقته وهو يشعر بذلك الحنين لكل شيء في البيت، ثم تبخر كل هذا عندما سمع صوت (ماهي) السمج...

- "(يوسف)، حمد الله عالسلامة يا حبيبي"

واندفعت تعانقه فشعر بضلوعه تئن من الألم الذي لم يزول بعد فأبعدها برفق، نظرت له معاتبة ثم تعلقت برقبته بكلتا يديها وقالت بدلالها الذي يراه الجميع مثيرًا ولم يعد يراه هو كذلك:

- "إيه يا (يوسف)، (ماهي) ماوحشتكش؟"

كانت ترتدي فستان قصير قادر بأن يوقع بأكثر الرجال بأسا لكن (يوسف) قال لها وهو يبحث بعينيه في الشقة:

- "(زينة) فين؟"

- "عند ماما، أنا قلت نقعد أنا وأنت لوحدنا شوية، نبقى نروح ناخدها بكرة الصبح"

نظر لها نظرة خالية من المشاعر... (ماهي) زارته هي و(زينة) في المستشفى، كان هناك الكثير من البكاء وكلمات الغرام التي وجدها كلها مصطنعة، (ماهي) -والحمد لله- لا تملك ذلك الذكاء الحسي الذي تملكه (سارة)، لن تشعر أنه لا يصدقها، هي تعرف أسلحة الأنثى الخاصة بها تمام

المعرفة وتثق بها ثقة عمياء، لا يوجد من لا يمكن أن تفتك به تلك الأسلحة إلا عديمي الأحاسيس أو الشواذ جنسيا أو هو، حمدا لله أنه لا ينتمي لأي من الفئتين السابقتين... قال لها بفتور:

- "أنا تعبان يا (ماهي) ومحتاج أستريح"

قالت (ماهي) بدلال وهي ترسم على وجهها غضب طفولي:

- "تنام دلوقتي يا (يوسف)، ده أنا مستنياك.. (يوسف)، أنت وحشتني"

نظر لها (يوسف).. جميلة (ماهي) فعلا، لكنه صار يرى أن جمالها أشبه بجمال الملكة الشريرة في قصة سنو وايت،، ذلك الجمال الذي يثير الذعر في نفسك، لا الرغبة، نظر في تلك العينين التي أسرته من قبل وقال لها ببرود:

- "(ماهي) أنا بجد تعبان، سيبيني دلوقتي لو سمحتي"

قالت له بدلال أكثر:

- "لأ مش حسيبك يا (يوسف) غير لما نحتفل"

رفع (يوسف) حاجبيه وقال لها:

- "نحتفل؟!"

- "آه نحتفل طبعا، (يوسف) أنت مش عارف قد إيه أنا فخورة بيك. العالم كله بيتكلم على الفيديو بتاعك، أنت بقيت شخص so famous، أنت بقيت celebrity يا (يوسف)، أنت متخيل؟"

تراقصت ابتسامة ساخرة على زاوية فم (يوسف) ولم يرد...

- "يوسف أنت عارف احنا ممكن نستفيد قد إيه من الشهرة بتاعتك دي؟ احنا لازم نبتدي نتصور أنا وأنت على Instagram كتير، الصور بتاعتنا دي ممكن تخلي ال account بتاعنا يوصل لمليون follower على الأقل، احنا حنبقى أشهر زوجين على السوشيال ميديا، الناس كلها حتتكلم على قد إيه احنا بنحب بعض، صورنا مع بعض حتبقى inspiration للناس كلها، (زينة) حتبقى ال fruit بتاعة ال internet كله، في ناس كتير عاملين الموضوع ده يا (يوسف) بس ماعندهومش الشهرة بتاعتك دي. ثم أنت بعد صاحبك (وليد) ما مات، ممكن تطلع تتكلم على صداقتكم وقد إيه موته ده كان Inspiration ليك، ممكن حتى تكتب رواية عن اللي حصل ده، كل ال followers بتوعنا حيشتروها، أنت ساعتها ممكن تسيب الشركة بتاعتك دي خالص ويبقى عندك بقى career تاني خالص"

نظر إليها (يوسف) طويلا ولم يرد، وبهدوء فك ذراعيها من حول رقبته وأمسك يديها بكلتا يديه وقال لها وهو يشعر برحيقها يخترق أنفه ويصعد مباشرة إلى مخه:

- "(ماهي)"

- "نعم يا روح (ماهي)"

- "انتي طالق!"

شهقت (ماهي) وتراجعت وهي تضع يدها على فمها فأدار (يوسف) ظهره إليها واتجه إلى حجرتهما ودخل وأغلق الباب خلفه بهدوء...

"٢٧"

كان استقبال (يوسف) في العمل حافلا حقا...

اندفع الجميع إليه فور رؤيته، عانقه (زياد) و(إيساف) والتف حوله زملاؤه بوجوه بشوشة. قال له (زياد) وهو يربت على كتفه:

- "حمد الله عالسلامة يا ريس، أيوا كده نورت مكانك رغم كيد الكائدين"

قالها وألقى نظرة على (أحمد) الذي كان يجلس على مكتبه يتصنع الانشغال أمام الكمبيوتر الخاص به، فضحك (يوسف) وقال له:

- "يا عم الحمد لله إني رجعت سليم وخلاص، دي كفاية"

قال (إيساف) وهو يضحك:

- "كنا متلطمين من غيرك يا ريس"

رد (يوسف) ضاحكا:

- "يا عم أنت حتأفور، انتوا كده كده متلطمين، بيا أو من غيري"

ضحك الجميع، ثم صمتوا فجأة والتفتوا إليَّ حيث ظهر (موسى) على باب حجرته بجانبهم حيث يقفون، وضع (موسى) ابتسامة متصنعة على وجهه وتقدم من (يوسف) ومد يده إليه وهو يقول:

- "حمد الله عالسلامة يا باشمهندس (يوسف)، أنا بقول برضو الناس سايبة الشغل بتاعهم والتقارير وواقفين بيعملوا إليه، أتاريك أنت السبب"

نظر له الجميع في غيظ ولسان حالهم يقول "يا لسخافة والدتك" لكنهم لم يقولوها علنا لحسن حظهم وحظه... ابتسم (يوسف) وقال له بابتسامة بسيطة:

- "الله يسلمك يا ريس، ما تقلقش، حنرجع كلنا الشغل حالا"

اقترب (موسى) من (يوسف) وقال له وعلى وجهه باتسامة أكثر اصفرارا من المانجو:

- "أيوا كده، أنا عايزك ترجع أحسن من الأول، أنت عارف طبعا إن الشركة صبرت على غيابك الفترة اللي فاتت دي علشان هي دايما بتقف جنب ولادها"

قال له (زياد) في لهجة ساخرة:

- "طول عمر قلبك كبير يا ريس"

نظر له (موسى) نظرة نارية فزغر (يوسف) له بمعنى "فلتدعه يتقيأ تلك الكلمات التي في حلقه ثم يذهب بعدها إلى الجحيم" فاحمر وجه (زياد) وتصنع النظر إلى السقف كأن الموضوع برمته لا يعنيه. ظل (موسى) يرمقه بتلك النظرة لثانيتين ثم عاد ينظر إلى (يوسف) وقال بعد أن نجح للمرة

الثالثة أن يرسم نفس الابتسامة الصفراء على وجهه محققا رقم قياسي جديد له في عدد الابتسامات الصفراء في الدقيقة الواحدة:

- "الولاد دول محتاجينك معاهم، بصراحة وجودك برضو كان ظابتهم شوية، وكمان المواضيع المفتوحة والتقارير اللي ماكانتش بتتعمل في وقتها، أنا ومهندس (أحمد) مديرك تعبنا قوي معاهم الفترة اللي فاتت، عايزك بقى تدي الموضوع ده أولوية أولى"

أومأ (يوسف) برأسه وهو يتذكر تلك اللحظات التي رأى فيها أن مقتله على يد روبوت هو أسوأ ما يمكن أن يحدث له. اقترب منه (موسى) ووضع يده على كتفه وهو يقول بصوت منخفض:

- "وعلى فكرة، اوعى تفتكر إن موضوع الجزا والوقف عن العمل ده أنا شيلته علشان حد كلمني ولا حاجة، لأ، أنا بس لما عرفت إنك كنت مضغوط في الفترة دي بصيت للموضوع بعين الاعتبار برضو وكلمت الإدارية علشان يشيلوه"

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه (يوسف) رغما عنه ثم سارع بإخفائها وقام برسم ابتسامة ممتنة على وجهه وقال لـ(موسى):

- "متشكر يا ريس، إن شاء الله أعوض اللي فاتني الفترة اللي فاتت"

هز (موسى) رأسه ومط شفتيه واتجه إلى مكتبه، ولم يفته أن يلقي نظرة كارهة أخرى على (زياد) قبل أن يدلف للداخل...

مط (يوسف) شفتيه ونظر إلى زياد معاتبا فاقترب منه زياد وقال له بوجه مكفهر:

- "أعمل ايه بس يا ريس، ماهو ابن مرة الصراحة"

- "ماشي يا (زياد)، كلنا عارفين إنه ابن مرة، بس ماينفعش تقول لابن المرة أنت ابن مرة في وشه كده، اتقل علشان تعرف نلاعبه"

صفق (زياد) بيده وضحك وهو يقول بصوتٍ عالٍ:

- "على وضعك يا ريس، أيوا كده المهندس (يوسف) في ثوبه الجديد يا شركة ماجبتش ر..."

وضع (يوسف) يده على فمه مقاطعا إياه وهو يتلفت حوله، فظهر (موسى) على عتبة مكتبة مرة أخرى وصاح بغضب:

- "إيه يا باشمهندس (يوسف)، إحنا مش قلنا خلاص بقى حنبتدي شغل وحنفتح صفحة جديدة؟ يلا يا جماعة كل واحد على مكتبة، راعوا أكل عيشكو شوية"

هز (يوسف) رأسه ورفع يده متأسفا، فزفر (موسى) ودخل مكتبه مرة أخرى ودفع (يوسف) (زياد) ناحية مكتب الأخير وهو يقول له:

- "اقعد يا زفت عالمكتب وحجيلك، واهدا شويا، ها؟ اهدا"

قالها واتجه إلى (أحمد) ونظرات الجميع في الصالة تتابعه... وقف (يوسف) أمام مكتبه ولم يقل شيئ، تصنع (أحمد) عدم رؤيته في البداية ثم نظر إليه ومط شفتيه وقال له دون أن يبتسم:

- "حمد الله عالسلامة يا باشمهندس (يوسف)"

ابتسم له (يوسف) وقال له:

- "ممكن أقعد معاك شوية يا ريس؟"

أومأ (أحمد) برأسه موافقا دون أن يفارقه عبوس وجهه فجلس (يوسف) ونظر له (أحمد) رافعا حاجبيه لأعلى فابتسم له (يوسف) وقال:

- "باش مهندس (أحمد)، أنت أكيد عرفت الظروف اللي عدت عليا الفترة اللي فاتت، صاحبي اتقتل، ولقيت نفسي فجأة ما بين اتنين روبوتات، واحد فيهم رئيس والتانية مرشحة قدامه، انا شفت صاحبي وهو متقطع في شقته وشفت الروبوت اللي قتله ساعتها وهربت منه بالعافية، أكيد حضرتك عارف تأثير حاجات زي كده على أي حد حتبقى عاملة إزاي... أنا آسف يا ريس، معلش، أنت أخويا الكبير وحتسامحني"

قال له (أحمد):

- "أنت قلتلي (وأنت مال أمك) يا يوسف، دي مافيهاش اخوات ومش اخوات"

قام (يوسف) ونظر إلى الصالة وقال بصوتٍ عالٍ:

- "يا جماعة، أنا بتأسف لمهندس (أحمد) قدامكم، أنا غلطت فيه بس ربنا يعلم أنا كنت مضغوط نفسيا قد إيه، وزي ما غلطت فيه قدامكم بتأسفله قدامكم"

انطلقت صيحات "الله ينور" و"المسامح كريم يا عم أحمد" من بعض الناس وعلا الصوت في الصالة مرة أخرى فظهر (موسى) مرة أخرى على مكتبه وقال بصوتٍ عالٍ:

- "لأ كده مابقتش إدارة بقى، إحنا كده بنهرج"

رفع (أحمد) يده وقال لـ(موسى) بصوته الجهوري:

- "معلش يا ريس، عندي المرة دي"

لان (موسى) قليلا عندما تصدر (أحمد) المشهد وقال له لائما بلهجة أخف:

- "باش مهندس (أحمد)، كدا ماينفعش"

- "معلش يا ريس خلاص، ماحدش حيتكلم تاني"

هز (موسى) رأسه ودخل إلى مكتبه... نظر (يوسف) إلى (أحمد) وقال:

- "يا ريس والله مش عارف أتأسفلك إزاي، أنا بس الدنيا كانت صعبة قوي عندي، حضرتك عارف إني طلقت مراتي؟"

رفع (أحمد) حاجبيه أكثر وقال له بدهشة حقيقية:

- "طلقتها؟ ليه يابني كده بس؟"
- "مش بقولك يا ريس الدنيا ملطشة معايا"
- "طيب خلاص خلاص، المسامح كريم، أنت زي مابتقول أخويا الصغير، بس تظبط بقى الفترة الجاية دي"
- "شوف يا ريس، أنا مستعد أعمل أي حاجة علشان ترضى عني بس، ثم الدنيا مكحرتة معايا خالص بعد الطلاق ومأشفر آخر أشفرة"

لمعت عيني (أحمد) وقال له:

- "يا (يوسف) احنا اخوات، ده كلام ده؟ لو محتاج فلوس قول"

فرك (يوسف) كفيه وقال له:

- "لا يا ريس العفو، أنا بس يعني لو في أي روبوتات حتيجي الفترة الجاية أنا معاك، يعني، .... آآآ أنت فهمني يعني يا هندسة"
- "لأ مش فاهمك"
- "بقول يعني، أنا كنت حمار كبير لما أنت قلتلي على الموضوع ده وأنا رفضته"
- "أنا قلتلك حاجة؟"
- "يا ريس الله يكرمك مش وقت هزار، بص، على بلاطة كدة، لو في أي عمرات جاية وفيها روبوتات تبعك قولي بس وملكش دعوة"

نظر له (أحمد) متشككا ولم يرد. قال (يوسف):

- "أنا كمان علاقتي بقت حلوة قوي بالريس (بلاتو) بعد الموضوع اللي فات ده وحيبقى سهل أخلص أي حاجة بتليفون واحد، يعني يا ريس أكيد حتحتاج تخلص حاجة كده ولا كده، من الآخر يا ريس، أنا راشق معاك في أي مصلحة"

ظهرت ملامح التفكير على وجه (أحمد) وقال:

- "مهندس (موسى) كان قالي إن في حد مهم كلمه علشان موضوع الجزا والوقف عن العمل ده، بقيت واصل يعني يا عم (يوسف)، ماشي، بس أكيد بقى اتأبجت كويس برضو، إذا ماكانش من (بوتو) فمن (بينتا)"

ظهرت ملامح الغضب على وجه (يوسف) وقال مستنكرا:

- "أنا يا ريس آخد منهم فلوس على حاجة زي دي؟ أنا عملت كدا علشان خاطر مصر"

ابتسم (أحمد) ابتسامة ساخرة ثم تحولت إلى ضحكة عالية وقال لـ(يوسف):

- "أيوه، ده أنت طلعت ابن حرام وأنا مش واخد بالي"

ابتسم (يوسف) وقال:

- "تلميذك يا ريس"

- "إيه يلا، انت قصدك اني ابن حرام ولا إيه؟"

- "لا يا ريس العفو، أنا قصدي ان أنت مدرسة"

ابتسم (أحمد) وقد بدا أن دعابة (يوسف) قد راقت له، ثم مال للأمام فاقترب (يوسف) برأسه منه وقال له بصوت خافت نسبيا:

- "الشركة اللي بتورد الروبوتات دي تبعي، يعني مش باسمي بس باسم مراتي"

- "حلال يا ريس"

- "شغل الشركة هنا مافيش مشكله فيه، أنت مادام فتحت دماغك معايا كده يبقى الدنيا حتمشي، ومش حنساك برضو، حيبقى ليك مكافأتك"

- "حبيبي يا ريس"

- "احنا عايزين نعلا بقى عن كده، عايزين نخش كام مناقصة كده تبع الحكومة، التربينات اللي عمالة تتركب دي، بشوف الروبوتات اللي بتشيلها، أي كلام والله، كلها رايحة في داهية وماحدش بيسأل وراهم. إحنا بس عايزين نحط رجلينا جوة، فلو كلمتلنا (بوتو) الموضوع حيخلص"

- "(بوتو) يخلص أبوها كمان يا ريس"

- "هو ده الكلام"

هرش (يوسف) وهو يقول له:

- "بس أنا حشتغل بال commission ولا حدخل معاكم شريك؟"
- "ما تستعجلش بس"
- "يا ريس اللي أوله شرط أخره نور"
- "آه أنت طلعت حقنة، ماشي يا عم، حتدخل في الأول بالكوميشن وبعد ما الدنيا تظبط عايز تشاركنا أهلا وسهلا، بس أنت حتدخل باسمك كده عادي؟"
- "لا يا ريس، ما أنا حكون اتجوزت بقى وحخش باسم المدام زي معلمي"

أطلق (أحمد) ضحكة عالية وقال:

- "مش بقولك حقنة؟ ماشي، يلا روح بقى شوف جوز دكر البط اللي أنت مديرهم دول وظبطلهم دماغهم شوية، وماتنساش تكلملنا (بوتو) بقى"
- "أوامرك يا ريس، بس عايز بقى ورق الشركة علشان نخلص الموضوع مع (بوتو) علش.."

قاطعة (أحمد) قائلا:

- "لا يا عم (يوسف)، من غير ورق دلوقتي، كلمه أنت بس الأول ولو قالك ماشي نبقى نشوف موضوع الورق ده"

- "أصلي يا ريس. حقولك وصلت إيه"
- "ماشي يا (يوسف)، ابقى لاغيني"
- "عينيا"

قام (يوسف) واتجه إلى مكتبه وجلس على كرسيه، ثم نظر يمينا ويسارا ليتأكد من أن أحدا لا ينظر إليه ثم ضغط على شاشة ساعته فظهر برنامج مسجل الصوت وهو يظهر عدد الدقائق التي سجلها، ضغط (يوسف) زر إيقاف التسجيل ثم ضغط زر التشغيل وأخذ يستمع لتلك المحادثة التي دارت بينه وبين (أحمد) منذ قليل وهو يبتسم...

"٢٨"

كانت الإضاءة منعدمة تقريبا في ذلك المكان الشبيه بالكهف...

مكان بعيد تماما عن العمران، يفصله حوالي خمسين كيلومترا عن الطريق الرئيسي للساحل الشمالي، غرب منطقة العلمين...

إذا وصلت إلى تلك المنطقة فلن تشاهد أي شيء، مجرد منطقة صحراوية تمتد فيها الرمال إلى مرمى البصر... فذلك الكهف كان يرقد على عمق مائة متر تحت سطح الأرض...

لم يكن يضيء ذلك المكان الكاحل السواد إلا تلك الإضاءة الخفيفة المنبعثة من تلك الشاشة الضخمة التي تحتل حائط بأكمله من ذلك الكهف الخالي...

وعلى ذلك الضوء الخافت، يمكنك أن ترى شبح ذلك الجهاز العجيب الذي يشبه كثيرا صواريخ الفضاء والذي يصل ارتفاعه إلى حوالي الثلاثين مترا...

ترفع عينيك في محاولة لبلوغ سقف الكهف فلا تستطيع تبين شيء مع تلك الإضاءة المنعدمة تقريبا... يبدو أن الكهف شاهق الارتفاع...

كان ضوء الشاشة يتراقص على ذلك الجهاز فيعطيه مظهرا يثير الرهبة في نفوس من يراه...

وعلى جسم ذلك الجهاز العجيب تراصت كلمات باللغة العربية بأحرف يصل حجمها إلى حجم جسد إنسان بالغ...

"بينتا"...

إذا اقتربت من الشاشة، ستجد صورة هولوجرامية لكوكب الأرض... وعليها تراصت أسماء لروبوتات وموقع كل منهم في العالم أجمع، وفي أعلى الشاشة في المنتصف تماما يوجد عنوان يحتل الجزء العلوي من الشاشة...

"مشروع بينتا"...

أمعن النظر أكثر وتأمل معي في الركن الأعلى على يسار الشاشة، حيث كانت بعض الكلمات تتراص الآن باللغة العربية وتحمل عنوان "قائمة بالتصفية"...

إذا اقتربت أكثر من ذلك الركن في الشاشة لوجدت أسماء عديدة تُكتَب الآن واحدا تلو الآخر وعلى يسار كل اسم من تلك الأسماء كان يكتب تاريخ ما... قد لا تعرف معظم تلك الأسماء لأن كلهم تقريبا من الروبوتات التي لم تسمع عنها من قبل...

إلا إنه كان هناك اسمين من بين تلك الأسماء لابد وأن عينيك قد وقعت عليهما أول شيء كما أنه لابد وأنك تتساءل أيضا عن كنه ذلك الفعل الشنيع الذي اقترفوه ليتصدر اسمهما قائمة أعدت خصيصا ليتم تصفية كل من كتب فيها...

لا بد وأن ما اقترفوه لا تقل عقوبته عن القتل، في عُرف من كتب تلك القائمة على الأقل...

الاسم الثاني على القائمة كان (بلاتو)...

الرئيس الحالي لجمهورية مصر العربية...

أما الاسم الأول والذي يظهر من التاريخ بجانبه أن ميعاد تصفيته هو اليوم بالذات كان هو اسم ذلك البشري الوحيد في تلك القائمة...

(يوسف)...

تمت

❁ ❁ ❁

للتواصل مع الكاتب

برجاء زيارة حسابه على الفيس بوك

@TamerEmamWriter